طاهر المُعتز بالله

الأخوة الأعداء

محمد علي كلاي - مالكوم إكس

الدَحّيحة

KAYAN PUBLISHING
storytel

الإخوة الأعداء
محمد علي ومالكوم إكس

سلسلة الدحيحة
الإخوة الأعداء
محمد علي ومالكوم إكس
طاهر المعتز بالله

سلسلة الدحيحة هي مجموعة كتب صوتية بالعامية المصرية عن سير مؤثرة صدرت علي تطبيق ستوريتل. الكتاب مطبوع بنفس صيغة وتنسيق سكريبت الكتب الصوتية لتسهيل مهمة القراءة علي القارئ العزيز، صغير السن كبير المقام. نتمنى لكم قراءة ممتعة.

إهداء

إلى الصحفية الفلسطينية شيرين أبو عاقلة.
بدها طول نفس، خلي المعنويات عالية.

مقدمة

العنصرية هي أول خطيئة في التاريخ، بدايةً من رفض الشيطان طاعة أمر ربنا، لأنه خلق من نار وآدم خلق من طين، إلى العنصرية ضد السود في أمريكا، والعنصرية ضد العرب في فلسطين.

أرض أمريكا اللي بتروج للمساواة، والحرية، والديموقراطية، شاهدة على واحدة من أبشع جرائم العنصرية في التاريخ.

الأفارقة الأمريكيين شافوا معاناة كبيرة، بس مكنوش الضحية الأولى لعنصرية وأطماع الرجل الأبيض.

فقبل ما نتكلم عن محمد علي، وهو أحد أهم الرياضيين في التاريخ، وعن مالكوم إكس، وهو أهم داعية إسلامي في تاريخ أمريكا وأحد أكتر الشخصيات المؤثرة في القرن العشرين، لازم نشوف المجتمع ده بدأ ازاي، وإيه المبادئ اللي قام عليها، عشان نقدر نفهم اللي حصل لمحمد ومالكوم، وازاي تحولوا من إخوة إلى أعداء، واللي بيحصل حوالينا في عالم ما زال في قلبه جرح نازف، اسمه فلسطين.

غزو أمريكا

أكبر إبادة عرقية في التاريخ.

صعود إسبانيا والبرتغال

في القرن ال١٥ العالم كان على صفيح ساخن، حروب أهلية وصراعات دينية، إلى جانب المجاعات والأوبئة.
إنجلترا شهدت صراع ممتد على الحكم سمي ب war of the roses، أو حرب الورود، اللي استمرت من ١٤٥٥ ل ١٤٨٧ بين عائلات يورك اللي يرمز ليهم بالوردة البيضاء، وعائلات لانكاستر اللي يرمز ليهم بالوردة الحمراء.
وكانت أحداثها ملهمة لجورج آر. آر. مارتن، أثناء كتابة سلسلة: Game of thrones.
أما إسبانيا اللي كانت متقسمة في بداية القرن ل٣ ممالك: أراغون في الشرق وكاستيل في الغرب وغرناطة في الجنوب.
شهدت حرب طاحنة بعد زواج إيزابيلا ملكة كاستيل من فرديناند ملك أراغون سنة ١٤٦٩، لطرد المسلمين من غرناطة، آخر ما تبقى من الأندلس وتوحيد شبه الجزيرة الإيبيرية.
وبينما الإسبان غارقين في حروب الريكونكويستا لاسترداد الأندلس، سنة ١٤٥٣ السلطان محمد الفاتح قدر يغزو القسطنطينية، عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية اللي عرفت لاحقًا باسم الإمبراطورية البيزنطية.
سقوط القسطنطينية كان خبر مفزع لأوروبا كلها، الدولة العثمانية بقى عندها أراضي أكتر من طلعت مصطفى.
موقعها بقى عامل زي المطب على طريق التجارة الدائرة بين أوروبا والهند والصين، حيث البهارات والحرير والورق والبارود، فالدول الأوروبية وبالأخص البرتغال ابتدت تهتم أكتر بالملاحة البحرية.

Prince Henry The Navigator

الأمير هنري الملاح دعم الاستكشاف واهتم بتطوير المراكب، خصوصًا بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح.
الوصول لآسيا عن طريق الدوران حول إفريقيا شيء في منتهى الصعوبة، لأن الرياح والصخور والتيارات البحرية في بعض المناطق بتخلي الملاحة في منتهى الخطورة.
لكن كل الصعوبات دي شبه اختفت بعد وصول البرتغال لتاني أهم اكتشاف في تاريخها ـبعد كريستيانو رونالدوـ

الكارافيل Caravel.

سفينة صغيرة عندها قدرة عالية على المناورة، مكنت البرتغال من الوصول لآسيا وإنشاء مستعمرات على الساحل الإفريقي.
فالبرتغال بقت القوة العظمى في عالم البحار، وبسبب نجاحها البحري وشهرة مستكشفيها زي فاسكو دي جاما،
وبسبب اختراع المطبعة سنة ١٤٤٠ على يد يوهانس جوتنبرج، الكتب انتشرت في أوروبا ومعاها حالة من حب المغامرة والاستكشاف.
في الوقت ده شاب من جنوة اسمه كريستوفر كولومبوس، اتعلم الملاحة وطلع في رحلات

بحرية تجارية من وهو عنده ١٤ سنة.
قرأ كتاب رحلات ماركو بولو اللي بيحكي فيه عن مغامراته في الصين، وحب يخوض نفس التجربة، ولكنه قرر يبحر للغرب بدل الشرق في محاولة لاكتشاف طريق جديد للوصول لآسيا.
واعتمد على حسابات بطليموس الخاطئة، اللي بتقول إن قطر الأرض ١٨ ألف ميل بس مش ٢٥ ألف.
فراح لملك البرتغال وحاول يقنعه يمول رحلته لكنه رفض، فسابه وراح لملوك بريطانيا وفرنسا وإسبانيا
فرفضوا واحد ورا التاني.
فرديناند وإيزابيلا ملوك إسبانيا عرضوا الفكرة على مختصين مختلفين، اتفقوا كلهم على إن البحار ده أكيد مجنون.
وواحد منهم قال على خطته للوصول للصين عن طريق الغرب: أي بني آدم متعلم هيعرف إن الكلام ده مستحيل.
العائلات المالكة بطلوا يردوا على الواتساب، لكن سنة ١٤٩٢ حصلت حاجة غيرت حياته وغيرت معاها تاريخ البشرية كله إلى الأبد، فرديناند وإيزابيلا نجحوا في حروب الريكونكويستا ضد المسلمين.
مع سقوط آخر معاقلهم غرناطة وتوحيد إسبانيا في مملكة واحدة، وبعد ما خلصت الحرب الداخلية بقى لهم أطماع خارجية، خاصة في ظل الحمية الدينية العالية بسبب الحرب على المسلمين ورغبتهم في نشر المسيحية.
فكولومبوس عرض الفكرة تاني على فرديناند وإيزابيلا فوافقوا على أمل اللحاق بالبرتغال، وبالفعل تم تمويل السفن، وبعد رحلة استمرت ٣٦ يوم كان على موعد مع اكتشاف هيغير مجرى التاريخ.

اكتشاف أمريكا

تسألني إزاي ده اكتشاف وأصلًا في ناس عايشة هناك وعندها حضارتها وتاريخها، أقولك إن الرجل الأبيض في الوقت ده كان شايف العالم كله بيدور حواليه، وطالما حاجة ميعرفهاش تبقى جديدة على العالم كله.

كولومبوس نزل في إحدى جزر الباهاماس وسماها سان سلفادور، أو المخلص على اسم سيدنا عيسى.

وبعد ما لف في الجزر وخد معاه دهب وبهارات ومعاهم كام واحد من السكان الأصليين كسوفينير، رجع على إسبانيا عشان يبلغ الملك والملكة باكتشافه، وأغراهم بتمويل رحلة تانية هتكسبهم دنيا وآخرة، باستخدام مثلث الاستعمار الشهير:

الرب والمجد والذهب God, Gold, and Glory.

فرديناند وإيزابيلا وافقوا، ورجع كولومبوس لأمريكا، ومن أول لحظة بدأت رحلة استعمار القارة

وبدأت معاها أكبر عملية إبادة عرقية في التاريخ.

الجزر اللي نزل عليها كولومبوس وبعت لوزير المالية الإسباني يقوله إنه أعلنها ملكًا لإسبانيا من غير ما حد من سكانها يعترض ـ على اعتبار انهم بيتكلموا إسباني ـ هي وغيرها من مدن أمريكا الشمالية والجنوبية كان عايش عليهم عشرات الملايين.

صحيح مكانوش بيلبسوا زي الإسبان ولا بيكتبوا زيهم، ومكنوش مصروعين على الدهب ولا عندهم هوس بالملكية الفردية زيهم، إلا إنهم كانوا عايشين بيتاجروا ويصطادوا ويربوا عيالهم.

بعض المدن كانت في نظر الإسبان اللي احتلوها أجمل مدن على وجه الأرض، بسبب اهتمام أهلها بالعمارة والنظام وحتى النظافة الشخصية.

مكنش عندهم بارود بس كان عندهم فنون، مكنش عندهم عجل بس كان عندهم أسواق منظمة ومدن عايمة على وش المية، زي تينوتشتيتلان اللي كانت في نظر الإسبان أجمل من فينيسيا الأوروبية.

لكن ما دايم إلا وجه الله، المدن اللي وصفها الأوروبيين بالجنة تحولت في خلال وقت قليل لجحيم، جزيرة هايتي اللي استعمرها كولومبوس وسماها هيسبانيولا، مارس فيها أبشع أنواع العنف.

فرض فيها Quote أو حد أدنى من الدهب على السكان الأصليين، اللي مكنش بيجيب دهب كفاية كان بيقطع له إيده.

الاستعمار وجه لعملة وجهها الآخر هو الاستعباد.

والأسبان من أول لحظة شافوا السكان الأصليين سموهم هنود، لاعتقادهم في البداية إنهم لفوا الكرة الأرضية ووصلوا للهند في قارة آسيا، وحتى لما أدركوا خطأهم فضلوا بيستخدموا اسم هنود اللي مش بيمثلهم كأنهم بيخاطبوا عبيد، دون أي مراعاة لغضب السكان لعدم استخدام أسماء جماعاتهم الفعلية، وفضل الاسم ملتصق بيهم بعد كده.

واللي بيظهر منهم شبهة اعتراض على الاستعمار كان بيتقتل هو ومراته وولاده، قرى بآكملها أبيدت بالمنظر ده، طبقًا لواحد من أوائل المستعمرين الإسبان اللي أرَّخوا لأول عشر سنين من الاحتلال: بارتولومي دي لاس كاساس.
اللي قال إن الهنود سُلبت حريتهم واتعرضوا لأسوأ أنواع الاستغلال والاستعباد، أمور لا يمكن حد يتخيلها، حتى الحيوانات كان عندها حرية أكبر وهي بترعى في الحقول.
لكن الإسبان اعتبروا الهنود عبيد، لدرجة إنه أوقات كان بيلاقي جثث لهنود ميتين، وأجساد تانية مرمية على الطريق لهنود في لحظاتهم الأخيرة بيصرخوا من شدة الجوع.
إجبار السكان على التعدين بدل الزراعة والصيد، تسبب في مجاعة أدت لموت الآلاف.
والعنف والغزو والاستعباد قتل آلاف تانيين.
وكله كوم والأوبئة كوم تاني، وصول الأوروبيين جاب معاه أوبئة زي الجديري قتلت عشرات الملايين.
في خلال أقل من ١٠٠ سنة عدد سكان الجزر من التاينو Taino، نزل من ٣ مليون في بعض التقديرات لحوالي ٢٠٠ فرد فقط!
تخيل مش بقولك ٢٠٠ ألف حتى، لأ ٢٠٠ فرد بس، حضارة كاملة أبيدت عشان الراجل الأبيض كان عايز شوية دهب، نفس الدهب اللي قتل الهنود أعاد إحياء إسبانيا اللي بقت قوة عظمى بيتعملها ألف حساب.
وأوروبا عينيها بقت على إسبانيا، من أين لكي هذا؟
فإسبانيا اتوسطت للبابا الإسباني المولد ألكسندر السادس، لحماية ممتلكاتها من الطامعين.
فأصدر أمر سنة ١٤٩٢ بحماية مكتشفات إسبانيا في العالم الجديد، وقال إن أي أرض لا يحكمها مسيحي يحق ضمها للأراضي المسيحية، بهدف نشر الدين وإنقاذ الشعوب، بينما لا يحق لأي دولة مسيحية التعدي على أراضي دولة مسيحية تانية.
فيما سمي ب The Doctrine of Discovery، أو عقيدة الاكتشاف.
ورسم خط بالطول على الخريطة على بعد ٣٢٠ ميل من جزر الرأس الأخضر، وقال إن أي أرض غرب الخط ده ملك أسبانيا.
فملك البرتغال اعترض، الكلام ده معناه إن البرتغال ملهاش في أمريكا، وكمان مش هيبقى عندها مساحة للحركة على سواحل غرب إفريقيا، وبدأ يستعد للحرب.
لكن البابا اتدخل لتاني مرة، وفي محاولة لإرضاء الطرفين زق الخط وخلاه على بعد ١١٨٥ ميل بدل ٣٢٠، فملك البرتغال رضي وتم توقيع معاهدة توردیسیلاس سنة ١٤٩٤ اللي قسمت العالم بين البرتغال وإسبانيا.
البرتغال لها الحق في استعمار الأراضي غير المسيحية شرق الخط، بينما إسبانيا ليها الحق في استعمار الأراضي غرب الخط، وده اللي خلى البرتغال تحتفظ بالبرازيل بعد اكتشافها من بيدرو كابرال سنة ١٥٠٠.
المعاهدة منعت الحرب بين إسبانيا والبرتغال، ولكنها ما منعتش باقي دول أوروبا وبالأخص الدول المطلة على المحيط الأطلسي، من إنهم يتسابقوا عشان ياخدوا حتة من التورتة.
تجاهلوا المعاهدة وبدأوا في إرسال سفن لإنشاء مستعمرات في العالم الجديد، فظهرت مستعمرات زي New Dutchland و New France على الساحل الشرقي لأمريكا

الشمالية.
بالتحديد على ضفاف الأنهار اللي كانت تعتبر بمثابة طرق سريعة في الوقت ده، زي نهر هدسون ونهر سانت لورانس.
ولكن على عكس مستعمرات إسبانيا في أمريكا الوسطى والجنوبية، العلاقة بين سكان المستعمرات الشمالية والسكان الأصليين كانت مختلفة، المستعمرات دي كانت مهتمة أكتر بالتجارة، وبالأخص تجارة الفرو.
ده خلى قدومهم بأعداد أقل، وخلاهم يبنوا علاقات ودية وإيجابية مع الهنود، لدرجة إنهم كونوا تحالفات معاهم وابتدوا يشتركوا في حروبهم ضد القبائل المعادية.
وفي الوقت اللي دول أوروبا كانت بتصنع المجد في أمريكا، الملك هنري الثامن كان مقضي وقته في محكمة الأسرة في بريطانيا.
بريطانيا كانت بتمر بواحدة من أصعب الفترات في تاريخها، مش بسبب الخروج من الاتحاد الأوروبي
ولكن بسبب الخروج من الكنيسة الكاثوليكية.

بريطانيا ترغب في قطعة من الاستعمار

عانى الملك هنري الثامن من وفاة ٥ من أطفاله من مراته الأولى، Catherine of Aragon بنت فردناند وإيزابيلا، معاش من أطفاله غير بنت واحدة، وده خلاه عايز يتجوز تاني على أمل الحصول على ولي عهد.
بعت للبابا في روما وقال له: أنا لا أطيق الانتظار، وطلب منه يلغي جوازته من كاثرين عشان يشوف أكل عيشه.
البابا قال له: لا استهدى بالله، كاثرين دي تبقى خالة الإمبراطور تشارلز الخامس، حاكم ال Holy Roman Empire.
اللي رغم إن فولتير قال عليها:
Not holy, not Roman, and not an empire.
ولا مقدسة ولا رومانية ولا إمبراطورية حتى.
ومع ذلك فالإمبراطور مش الشخص اللي تحب تخش معاه في نزاع عائلي، البابا رفض يلغي الجوازة، فالملك هنري أعلن انفصاله عن الكنيسة الكاثوليكية وعين نفسه رئيس للكنيسة الإنجليزية، واتجوز بدل المرة ٦ مرات.
والموضوع موقفش عند الانفصال عن الكنيسة، الملك صادر أراضي وممتلكات الأديرة.
وده خلق حالة من الصراع والتأرجح الديني لعدة سنوات، بريطانيا مالت تجاه البروتستانتية وقت هنري،
وبعد كده رجعت للكاثوليكية تحت حكم بنته من مراته الأولانية ماري.
لكن الأمور بدأت تستقر تجاه البروتستانتية تحت حكم بنته، اللي خلفها من المرحومة آن بولين ـ مراته التانية اللي أعدمها بتهمة الخيانة ـ بنته الملكة فيرجينيا المعروفة بلقب الملكة العذراء، لأنها رفضت الجواز وحكمت بدهاء خلى التاريخ يذكرها كملكة العصر الذهبي لبريطانيا.
الاستقرار ده خلى الإمبراطورية تمد نظرها تجاه الغرب، فتم إنشاء مستعمرة باسم Virginia على اسم الملكة في الساحل الشمالي الشرقي.
لكنها مستعمرة عمرها قصير، لأن السفن اللي ودت المستوطنين لما سابتهم ورجعت إنجلترا وجت تاني ملقتش حد.
يمكن لأنهم ماتوا أو هربوا، المهم إنه كان استعمار على الضيق كده ومحصلش نصيب.
فبريطانيا قالت وعلى إيه وجع الدماغ؟ بدل ما نعمل مستعمرة إحنا نسرق سفن إسبانيا وهم راجعين من مستعمراتهم.
وبالفعل بدأت مجموعة من القراصنة المدعومين حكومياً باسم ال privateers، في الهجوم على سفن إسبانيا
فلقوا السفن دي محملة بكمية خيالية من الدهب والفضة.
طبقًا لأحد التقديرات، السفينة الواحدة ممكن يبقى فيها فلوس قد اللي بيدخل خزنة إنجلترا من الضرايب سنوياً.

لا ده إحنا نروح ننشر المسيحية بقى!
لكن رغم إغراء الدهب والفضة الوضع استمر كما هو عليه، بريطانيا كانت بتمر بفترة شديدة الصعوبة.
التجارة الدولية وزيادة الطلب على الصوف، شجعت أصحاب الأراضي على طرد الفلاحين اللي كانوا عايشين فيها، عشان يربوا خرفان ومواشي على الأرض بدل ما يزرعوها.
وبدل ما الأرض كانت مفتوحة للكل حتى وإن كانت ملك للإقطاعيين، بدأ الهوس بترسيم حدود الملكية الفردية وظهر معاها ما يسمى بال enclosure movement أو حركة تسييج الأراضي.
كل صاحب أرض بدأ يحط سور حوالين أرضه، عشان يضمن إن مفيش خرفان غير بتاعته هترعى عليها، وده خلق حالة غير مسبوقة من البطالة، وظهر سؤال هشتغل إيه؟ وهشتغل ازاي؟ لأول مرة في التاريخ.
والبطالة أول ما بتزيد الجريمة بتزيد معاها، وده خلى المجتمع الانجليزي يبدأ يناقش حلول لمشكلة ما يسمى بال surplus population أو فائض السكان.
هنعمل إيه في الناس اللي ملهاش لازمة؟
فظهرت دعاوى لتهجير السكان دول للعالم الجديد، وظهرت أفكار زي إن في بريطانيا ناس بس مفيش أرض، وفي العالم الجديد أرض بس مفيش ناس، فهناخد الحلو من هنا ونحطه على الحلو من هنا.
وبالمرة نحط على الإسبان اللي واخدين راحتهم ولا كأن في مستعمرين غيرهم، الاستعمار هيحل مشكلة البطالة وفائض السكان.
وكمان هيخفض معدلات الجريمة وهيقلل عدد المساجين، اللي ممكن ياخدوا فرصة عمرهم لو بعتناهم العالم الجديد يشتغلوا لصالح المملكة، Win win situation والكل هيكسب، ولكن الوحيد اللي هيخسر هم الهنود، ومع ذلك متمش بناء مستعمرات جديدة لأن الحكومة مش عايزة تعيد المحاولة الفاشلة.
لكن كل ده اختلف مع نهاية القرن ال١٦، بعد تغلب الأسطول الإنجليزي على الأسطول الإسباني المرعب The،Armada ظهرت موجة قوية من التفاؤل والرغبة في إنشاء إمبراطورية استعمارية للتغلب على إسبانيا.
واللي ساعد على أخذ الخطوة ـ اللي اتأخرت حوالي ١٢٠ سنة من بعد رحلة كولومبوس الأولى ـ هو تطوير واحدة من أخطر الاختراعات في تاريخ البشرية، الاختراع اللي مخليك آخر الشهر ماشي بتكلم نفسك وفي أول الشهر ماشي بنور الله بتدعي وتقول يا رب.
اختراع الشركة أو ال Joint stock company.
بعد ازدهار التجارة البحرية وفي نفس الوقت زيادة مخاطرها، بسبب القرصنة والعوامل الطبيعية.
تم الوصول لفكرة الأسهم، بدل ما واحد بس يتحمل المخاطرة كلها البضاعة تتقسم على أسهم، بحيث لو حد خسر ميخسرش لوحده، وفي نفس الوقت لو حد كسب ميكسبش لوحده برضه، وده شجع مستثمرين جدد إنهم يخوضوا مغامرة البحث عن الدهب في العالم الجديد.
وبالفعل سنة ١٦٠٧ تم إنشاء virginia company، من أموال المستثمرين الإنجليز في

لنْدن، لتمويل إنشاء أول مستعمرة في فيرجينيا.
الشركة هادفة للربح وكانت متعشمة تلاقي دهب زي الإسبان، ولكن لما وصلوا لقوا إن مفيش دهب زي أمريكا الجنوبية، واكتشفوا إنهم مش لاقيين ياكلوا، العالم الجديد اللي تم الترويج له بقوة في إنجلترا على إنه جنة الله على الأرض، لا عارفين يصطادوا حيواناته البرية ولا حتى عارفين يزرعوه.
أرض فيرجينيا مليانة مستنقعات ومش مهيئة للزراعة، خاصة إن أغلب المسافرين يا إما عساكر يا إما جواهرجية جايين ينجموا عن الدهب، يا إما من ال English Gentlemen الباحثين عن المغامرة.
رايح تستعمر قارة جديدة خد معاك عمال وفلاحين، مش واخد لي معاك سكان زايد والتجمع.
المستعمرين اللي أغلبهم ذكور، مفيهمش ست ممكن تقوم تعمل صينية بطاطس، ولولا مساعدة السكان الأصليين من الهنود كانوا هيموتوا من الجوع.

الهنود كان لهم فضل كبير في بقاء المستعمرين على قيد الحياة خاصة في مستعمرة plymouth، وهما مجموعة من الهاربين من الاضطهاد الديني في إنجلترا سافروا لإنشاء مستعمرة رست شمال مستعمرة فيرجينيا في ماساتشوستس.
المستعمرين أو ال pilgrims زي ما كانوا معروفين، وصلوا قبل الشتاء بست أسابيع، ولولا مساعدة الهنود ليهم في شتاء الشمال القارص، وتعليمهم إزاي يصطادوا ويزرعوا ذرة كانوا حرفيًا ماتوا من الجوع.
ولذلك بعدها بسنة مع حصاد أول محصول ليهم، أقاموا وليمة كبيرة شاركوها مع الهنود تقديرًا لهم على إنقاذ حياتهم.
ورغم التعايش السلمي اللي مهدت له ثقافة الهنود المشجعة على المشاركة والمساواة، ورؤيتهم للأرض كهدية للأبناء من أرواح الأجداد، سنة ١٦٢٤ ال honey moon phase بين الهنود والإنجليز انتهت، بعدما أدركوا إن الرجل الأبيض جاي ياخد الأرض مش جاي يتاجر.
أحد أبناء مستعمرة فرجينيا اللي مكسبتش الشركة ولا جنيه من ساعة ما اتعملت، قرر يزرع نبات كان موجود في المكسيك من حوالي ألف سنة قبل الميلاد، نقله الإسبان والبرتغاليين معاهم لأوروبا وبقى من أشهر النباتات في القرن ال١٦، وفاتحة خير على أصحاب القهاوي والمستشفيات إلى يومنا هذا: التبغ.
الكاتب ومقدم برنامج crash course جون جرين قال: إن اكتساب الأوروبيين عادة التدخين من الهنود كانت كأنهم بيقولوا شكرًا على الجديري اللي جيبتهولنا معاكم، خدوا أحلى سرطان رئة هدية.
.Thank you for the smallpox, here's some lung cancer
مشكلة التبغ إنه محتاج أيدي عاملة كتير، والأهم تكون رخيصة، لأنها لو مش رخيصة تكلفة الزراعة هتزيد وده هيقلل الربح وهيقلل معاه القدرة التنافسية في الأسواق الأوروبية.
فبدأ استيراد الخدم من أوروبا، على وعد بتحريرهم وإعطائهم أراضي بعد حوالي شغل سبع سنين، في نظام سمي بال indentured servants، أو عبودية مؤقتة بالتعاقد، زيك كده بالضبط.
ولكن دول مشكلتهم إنهم كانوا بيموتوا من أمراض العالم الجديد، ولو عاشوا بيتمردوا وأحيانًا بيهربوا، فبدأ استيراد العبيد من خارج أوروبا، وبدأت معاه مأساة أثارها ما زالت مستمرة إلى يومنا هذا.
نجاح زراعة التبغ والرغبة في تحقيق الثراء السريع خلوا المستعمرة كلها تزرعه، وبقى ال Cash crop الأول في فيرجينيا.
لكن مشكلة التبغ إنه بينهك الأرض في خلال سبع سنين، وده خلى المستعمرين يتمددوا وياخدوا أراضي جديدة بهدف تحقيق أعلى ربح، أراضي ابتدوا يحاوطوها بأسوار ويمنعوا الهنود من دخولها، ومش بس كده.
بسبب تفضيلهم لزراعة التبغ على المحاصيل الغذائية، ابتدوا يسرقوا الأكل من الهنود اللي مبقوش فاهمين الرجل الأبيض ليه مهتم يحط إيده على أرض أكتر ما محتاجها؟
وليه ممكن يبقى جعان فيسرق بدل ما يزرع؟

الهنود ابتدوا يقاوموا، وهنا كشر الرجل الأبيض عن آنيابه، وأظهر قدرته على استخدام العنف لإبادة قرى بأكملها لمجرد رفضهم التخلي عن أراضيهم.
سنة ١٦٢٢ الهنود حسوا بخطر واتجمعوا بهدف الثورة على المحتل، ولكن كما هو متوقع تم قمعهم بكل قوة، وبدأ الإنجليز في إنشاء مستعمرات جديدة بعد النجاح النسبي للتجربة.
لكن رغم كده كان في مستوطنين مكنش عاجبهم طريقة العيشة، ولا حالة الصرع المادية المسيطرة على المستعمرات، وبعضهم كان بيطفش منها لدرجة صدور قانون سنة ١٦٤٢: بالسجن مع الأشغال الشاقة لمدة ٣ سنين لأي حد يسيب المستعمرة ويروح يعيش مع الهنود، وده أكبر دليل إن المستعمرات مكنتش ديزني لاند زي ما كان بيتم الترويج لها في إنجلترا.
ومع زيادة التمدد والاستحواذ على الأراضي المصحوب بمذابح وحرق لقرى الهنود، بعد ٢٢ سنة من الثورة الأولى قامت ثورة تانية، ولتاني مرة تم قمعها بكل قسوة.
اللي اختلف المرة دي إن ال٢٠٠٠ هندي اللي عاشوا على الحدود أجبروا، على توقيع معاهدة لتهجيرهم للغرب بعيداً عن المستعمرة، في واحدة من أوائل عمليات التهجير القسري لسكان البلد الأصليين، اللي سوء حظهم حطهم قصاد كيان استعماري بطموحات توسعية سرطانية.
كمان المرة دي المستعمرات الجديدة اتجمعت وبقت تابعة للتاج الملكي مباشرة، لأن المسألة للمحتل بقت حياة أو موت، والأرض اللي كان عايش عليها ملايين الهنود بقت بالنسبة له متسعش حد غيره.
ومهم هنا نوضح رغم التدخل العسكري، إن بريطانيا مش هي اللي بتخدم المستعمرات، المستعمرات هي اللي بتخدم بريطانيا، رغم إن الملك جيمس كان بيكره التدخين وشايفه عادة سيئة، إلا إنه مأمرش بوقف زراعته ولا أمر بإبطاء حركة الاستيطان لتفادي الاحتكاك بالهنود، لإنه على قد ما بيكره التبغ على قد ما بيحب الضرايب.
ده إلى جانب إن المستعمرات مع الوقت بقى لها دور مهم في الاقتصاد البريطاني، بتصدر مواد خام وبتستورد بضاعة معمولة من المواد دي.
ولذلك بريطانيا كانت بتدعمها بكل قوة، وده اللي خلى المستعمرات تقدر تحط إيديها على أراضي شاسعة في وقت قياسي. لكن اللي مكنتش بريطانيا عاملة حسابه إن في قوة عظمى تانية بتدعم مستعمراتها بكل قوة. وأنها على وشك الدخول بسبب المستعمرات دي في أول حرب عالمية في التاريخ: حرب السنوات السبع.
في منتصف القرن ال١٨ بدأ النزاع بين بريطانيا وفرنسا على منطقة ال Ohio River Valley، المنطقة فائقة الأهمية لفرنسا لأنها حلقة الوصل بين مستعمراتها في كندا في الشمال ومستعمراتها في لويزيانا ـ المتسمية على اسم الملك لويس ال١٤ ـ في الجنوب.
فبنوا مستعمرات وحصون على حدود الإنجليز، وبدأ الاحتكاك بين الطرفين، والمناوشات انتهت بإعلان بريطانيا الحرب على فرنسا سنة ١٧٥٦.
الفرنسيين تحالفوا مع بعض قبائل الهنود اللي لهم ثأر مع الإنجليز، وحققوا مكاسب مهمة في السنة الأولى شكلت خطر وجودي على المستعمرات، لكن رئيس الوزراء ويليام بيت قرر إن بريطانيا لازم تدعم المستعمرات الأمريكية بكل قوة، لما تشكله من أهمية لخطط بريطانيا الاستعمارية.

فبريطانيا نزلت بثقلها بالعساكر والفلوس وابتدت تدعم الدول المعادية لفرنسا، والصراع انتقل لأوروبا والهند وباقي مناطق العالم.
الحرب بقت عابرة للقارات بصورة غير مسبوقة في التاريخ، لدرجة إن تشرشل أطلق عليها اسم الحرب العالمية الأولى، وفي خلال سبع سنوات هُزمت فرنسا هزيمة ساحقة، انتهت بمعاهدة باريس سنة ١٧٦٣.
فرنسا تنازلت عن كندا بالكامل لبريطانيا، وتنازلت عن لويزيانا لإسبانيا، بينما إسبانيا تنازلت عن فلوريدا لبريطانيا
وفي المقابل بريطانيا تنازلت عن بعض الجزر في الكاريبي لصالح فرنسا.
ولتاني مرة خلال ٣٠٠ سنة النزاع يخلص بقعدة عرب بين القوى العظمى، في ظل غياب تام لأصحاب الأرض.
الهنود قرروا إن الوضع لا يمكن يستمر بالشكل ده، الصلح معناه إن بريطانيا مش هتسمي عليهم بعد ما تحالفوا مع فرنسا ضدها.
الموضوع مبقاش مجرد صراع على الأرض، ده صراع بقاء، حياة أو موت، فقرروا يضربوا الضربة الأولى،
وأعلنوا حرب شرسة على بريطانيا، اضطرت الملك لإصدار إعلان هو الأول من نوعه سنة ١٧٦٣ لترسيم الحدود الغربية للمستعمرات، لوقف الاشتباكات مع الهنود.
ورسم خط بطول سلسلة جبال الأبالاش، وقال إن أي مستعمرة غرب الخط ده تعتبر غير قانونية، وطالب بوقف حركة استيطان أراضي الهنود.
المستوطنين اعترضوا على إعلان بريطانيا، واعتبروه تدخل غير مقبول في شئون المستعمرات، وكانوا عارفين إن فيما يتعلق بالاستيطان وضع اليد أقوى من القانون، خاصة إذا كان القانون ده ملوش يد تحميه.
فبدأوا في الزحف على أراضي الهنود في الغرب، رغم إن المستوطنات دي غير قانونية في نظر بريطانيا نفسها، وظهرت هوية جديدة لأبناء المستعمرات، اللي ابتدوا يشوفوا نفسهم كيان منفصل عن بريطانيا.
أما بريطانيا اللي فلست بسبب حرب السبع سنوات، زودت الضرايب وحطت قوانين تعسفية حسست المستعمرات إن بريطانيا أصبحت حمل لا بد التخلص منه.
كتَّاب كتير طالبوا بالاستقلال، توماس باين سأل في كتابه: إزاي جزيرة تحكم قارة؟
روح التمرد أدت لاشتباكات عسكرية مع بريطانيا سنة ١٧٧٥، استمدت شرعيتها من إعلان مندوبين المستعمرات للاستقلال سنة ١٧٧٦، لتبدأ واحدة من أهم الثورات في التاريخ.

الثورة الأمريكية

بريطانيا كانت مصممة تفرض سيطرتها على المستعمرات، ولكن فرنسا أول ما عرفت إن في حرب ضد بريطانيا حبت ترد جميل حرب السبع سنوات، ودعمت المستعمرين، اللي بقوا بيسموا نفسهم أمريكان مش إنجليز، بكل قوة.

وفي خلال ٣ سنين إسبانيا أعلنت الحرب على بريطانيا كحليفة لفرنسا، والمملكة التي لا تغيب عنها الشمس بقت بتضرب من كل حتة، وبعد سلسلة من الحروب والمواجهات العنيفة، انتهت الثورة بتوقيع معاهدة باريس سنة ١٧٨٣ ، وإعلان استقلال الولايات المتحدة الأمريكية المكونة من ١٣ ولاية في الوقت ده.

المعاهدة ضاعفت مساحة الأرض الواقعة تحت سيطرة الولايات شرق نهر المسيسيبي، ولتالت مرة القوى العظمى تنهي صراعها بتقسيم الأرض في غياب تام لأصحاب الأرض، وابتدت الولايات تطرد الهنود لغرب الميسيسيبي الواقع في الوقت ده تحت سيطرة فرنسا.

ولكن زي ما بريطانيا فلست بعد حرب السبع سنوات اللي أدت للثورة الأمريكية، فرنسا فلست بسبب اشتراكها في الثورة الأمريكية، اللي تعتبر أحد أهم أسباب اندلاع الثورة الفرنسية.

التاريخ لا يوجد به صفحات منفصلة، العالم كله صف دومينو، واللي بيقع هنا بيوقع اللي هناك، والأمريكان مبيفوتوش فرصة.

سنة ١٨٠٣ الرئيس الأمريكي التالت توماس جيفرسون لقى فرنسا فيها اللي مكفيها، حرب مع بريطانيا وثورة عبيد في تاهيتي، نابوليون اللي كان بيحلم بإعادة أمجاد فرنسا في أمريكا الشمالية، بقى مش ملاحق على المشاكل، فاشترى منه منطقة لويزيانا وأضاف ٢ مليون و١٤٤ ألف كم مربع للولايات المتحدة.

يعني ضعف حجم مصر، ب ١٥ مليون دولار فقط!

في واحدة من أنجح إن لم تكن أنجح صفقة عقارات Real Estate في التاريخ، الصفقة التاريخية دي مش بس ضاعفت حجم أمريكا، لكنها كمان طلعت فرنسا برة اللعبة، ومبقاش فاضل غير إسبانيا في الجنوب، وتبقى كده القارة كلها ملك الولايات المتحدة.

وبالفعل سنة ١٨١٩ الرئيس الأمريكي الخامس جيمس مونرو، اشترى فلوريدا من إسبانيا ب٥ مليون دولار، ولضمان إن الشيطان ميلعبش في دماغ أي دولة أوروبية تقرر تيجي تبني مستعمرات، أعلن في خطاب للكونجرس عما يسمى بال Monroe Doctrine أو عقيدة مونرو، وحذر الدول الأوروبية وقال إن الولايات المتحدة هتعتبر أي تدخل في أمريكا الشمالية بمثابة إعلان حرب.

ولكن على الرغم من مضاعفة حجم الأرض، الأمريكان فضلوا حاطين عينهم على أرض الهنود، اللي بقوا متأكدين إن الرجل الأبيض مفيش حاجة تملى عينه إلا التراب.

سنة ١٨٢٨ تم أكتشاف دهب في ولاية جورجيا، فيما يعد ال تاريخ في الأول gold rush السابع الرئيس ١٨٣٠ فسنة، Cherokee قبيلة أرض في الدهب إن المشكلة، أمريكا Andrew Jackson الحديدية القبضة صاحب الأمريكية المتحدة للولايات، اللي شعاره

الانتخابي كان:
Vote for Andrew Jackson who can fight, not John Quincy Adams who can write.
صوتوا لأندرو جاكسون اللي بيعرف يحارب، مش جون كوينسي آدامز اللي بيعرف يكتب.
أصدر ال Indian Removal Act، لتهجير خمس قبائل من الهنود من ضمنهم الشيروكي وتعويضهم بأراضي غرب الميسيسيبي والتكفل بتكاليف نقلهم، في قبائل حسوا إن مفيش فايدة من المقاومة، وحاولوا يحصلوا على التعويض المادي اللي الحكومة وعدتهم بيه، لكن بعد ما نقلوا الحكومة قالت لهم عوضكم على الله.
وقبائل تانية زي السيمينولا في فلوريدا رفضوا وقاوموا وخاضوا حرب مسلحة استمرت لسنين، ولكنها انتهت بالهزيمة كما هو متوقع، الغير متوقع هو اللي قبيلة الشيروكي عملته، لجأت للمحكمة!
قالت إن الأرض دي ملكهم وفي معاهدات بتثبت الملكية دي من الحكومة، ولأول مرة السكان الأصليين بيخوضوا صراع قانوني في محاكم المحتل، والمفاجأة الكبرى إن المحكمة نصرتهم!
سنة ١٨٣٢ المحكمة الدستورية العليا قالت: الهنود قوم مستقلين لا تنطبق عليهم قوانين ولاية جورجيا، وبالتالي لا يحق للأمريكان طردهم من أراضيهم.
الرئيس أندرو جاكسون قال لهم: ابقوا قابلوني لو الحكم اتنفذ، المحكمة تقول اللي تقوله وأنا هاعمل اللي أعمله، في دليل على إن الديمقراطية نبتة لا تزرع في أرض العنصرية البور.
ورغم وجود حكم محكمة، سنة ١٨٣٨ خليفة أندرو جاكسون مارتن فان بيورن ـ اللي شارك بنفسه في حملات إبادة ضد الهنود ـ قرر تنفيذ قرار التهجير بالإجبار، وبعت ٧٠٠٠ عسكري ثبتوا الشيروكي تحت تهديد السلاح وسرقوا ممتلكاتهم ونهبوا بيوتهم، وأجبروهم على المشي ١٢٠٠ ميل غرباً لما يسمى المنطقة الهندية في أوكلاهوما.
مشي المسافة دي كلها على الأقدام أدى لوفاة أكتر من ٥٠٠٠ هندي من الجوع والمرض والتعب، فاتعرف الطريق اللي مشيوه باسم The Trail of the Tears أو ممشى الدموع، اللي بيشهد ليومنا هذا على واحدة من أبشع عمليات الإبادة العرقية والتهجير القسري في التاريخ.
وبداية من منتصف القرن، بعد فوز الولايات المتحدة في حربها ضد المكسيك، وبعد ضم ولايات تكساس وكاليفورنيا، ظهر ما يسمى بال Manifest Destiny: الاعتقاد بأن الولايات المتحدة مصيرها المحدد من الإله هو التمدد حتى ساحل المحيط الهادي غرباً، لنشر مبادئ الديمقراطية والرأسمالية في القارة كلها.
عندكم بترول؟ لا ده إحنا ننشر الديمقراطية بقى!
وفي سبيل تحقيق هذا المصير كان لا بد من التخلص من تجمعات الهنود، اللي بتشكل عائق أمام مد خطوط السكة الحديد واستغلال الموارد الطبيعية، بس مينفعش كل شوية نقعد نهجر ونحارب، لازم حل حاسم ونهائي، والحل ده ظهر سنة ١٨٥١ مع صدور ال Indian Appropriations Act: اللي أصدر قرار بعمل مستعمرات للهنود في أوكلاهوما وعدة ولايات أخرى، ومنعهم من مغادرة المستعمرات دي.

سكان الأرض الأصليين أصبحوا سكان مُستعمرات، سميت indian reservations أو المحميات الهندية، وهي تسمية في محلها بما إنهم في نظر الحكومة مجرد حيوانات مهددة بالانقراض.

المشكلة إن الهنود صيادين مش مزارعين، متعودين على الرعي بحرية لو قفلت عليهم يموتوا، عشان كده تهجيرهم للمحميات كان معناه الفقر والجوع، وكمان المرض بسبب التكدس.

قبائل كتير قاومت ورفضت قرار التهجير، ولكنها مقاومة انتهت زي اللي قبلها بالقمع والإبادة.

نسيب بقى الهنود في حالهم يعيشوا ما تبقى من حياتهم البائسة؟

لأ... طالما لسه معاهم أرض يبقى لأ!

الحكومة ابتدت تحط عينها على أراضي المستعمرات، وسنة ١٨٨٧ أصدرت ال Dawes Act: اللي بيدي الحق للحكومة لتقسيم أراضي المحميات على العائلات الفردية، بدل ما كانت ملكية عامة للقبائل، والأرض اللي تفضل يحق للحكومة إنها تبيعها للمستوطنين البيض، خطة في منتهى الذكاء أدت لخفض حجم المحميات بنسبة ٥٠٪.

وهنا الأرض كانت مجهزة لدخول علاقة أمريكا بالهنود للمرحلة التالتة والأخيرة، بعد المعايشة ثم الإبادة والتهجير جه معاد مسح الذكرى والابتلاع الثقافي، فصدر قرار بإجبار أطفال الهنود على دخول :مديريها لأحد أطبق هدفها داخلية مدارس، boarding schools .Killing the Indian, and saving the man

الأطفال بيتمنعوا من التواصل مع أهاليهم، ومن إبداء أي شكل من أشكال الثقافة الهندية، وفي المقابل بيتم إجبارهم على ارتداء الزي الأمريكي، وبيتم الضغط عليهم لاعتناق المسيحية، على أمل محو الثقافة الهندية إلى الأبد.

ومع نهاية القرن ال١٩، انتهت كل أشكال المقاومة باستثناء بعض المحميات اللي كانوا بيخبوا الأطفال، عشان ميروحوش المدارس دي، وبقى واضح إن الهنود في طريقهم إلى الانقراض.

لكن على عكس المتوقع عددهم زاد، ومع تغير المد في القرن العشرين واكتساح حركة الحقوق المدنية للرأي العام،

ظهرت المسألة الهندية على الساحة وبقوة، وبسبب ده تم إلغاء قانون dawes وإرجاع بعض الأراضي للهنود، إلى جانب ظهور العديد من الكتب والدراسات اللي أعادت النظر للي حصل في الهنود ووصفته بالإبادة العرقية الممنهجة.

تم وصف الأمر في بعض الأحيان بالهولوكوست من شدة بشاعته، حوالي ١٢٠ مليون هندي في أمريكا الشمالية والجنوبية أبيدوا في سبيل: الاستيطان والبحث عن الدهب والأرض الشاسعة والعمالة الرخيصة، ١٢٠ مليون هندي من السكان الأصليين مكانوش قادرين حتى يوصلوا صوتهم للعالم، اللي متربطهمش بيه لا أرض ولا لغة ولا دين.

قصة تراجيدية اللي يشوفها يقول إن العالم اتعلم الدرس ومش هيسمح بتكرار المأساة، لكن التاريخ بيعيد نفسه

واللي حصل للهنود من ٥٠٠ سنة، بيحصل النهارده في فلسطين.

التاريخ يعاد باسم أسطورة أرض الميعاد

من كل أنحاء الأرض، فلسطين تعتبر من أهم الدول دينيًّا وجغرافيًّا وتاريخيًّا.
من الناحية الدينية، فلسطين فيها المسجد الأقصى، وده مش المسجد المشهور في الصور أبو قبة دهبي، لأ ده مسجد قبة الصخرة، ومش المسجد التاني اللي بيظهر في الصور برضه اللي لونه رمادي، ده المصلى القبلي، المسجد الأقصى هو ال ١٤٤ ألف متر مربع المحاطة بسور، في أقصى الجنوب الشرقي من منطقة البلدة القديمة في القدس.
وجواه مسجد قبة الصخرة، والمصلى القبلي، والمصلى المرواني، وحوالي ٢٠٠ معلم آخر، كل حاجة جوة السور بما فيها الشجر والساحة الفاضية هي المسجد الأقصى.
المسجد الأقصى ذكر في القرآن في سورة الإسراء: (سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ).
وهو أولى القبلتين وتالت الحرمين الشريفين، بعد المسجد الحرام والمسجد النبوي.
وبالنسبة للمسيحيين فلسطين مكان ميلاد سيدنا عيسى وفيها كنيسة القيامة، أما اليهود فهي بتمثل لهم أرض الميعاد، اللي وهبها الله لسيدنا إبراهيم وأحفاده.
والسؤال هنا هو احنا ولاد الغسالة؟ ما احنا أحفاد سيدنا إبراهيم برضه!
ومش بس كده، اليهود مؤمنين إن واجب عليهم إنشاء معبد تالت بدل الاتنين اللي اتهدوا فيما يسمى بال temple mount ال فين Temple،mount ؟ في المسجد الأقصى.
عشان كده بالنسبة لهم الأرض كلها كوم، والقدس والمسجد الأقصى كوم تاني.
أما من الناحية الجغرافية فلسطين موقعها استراتيجي، بتربط بين إفريقيا وآسيا وبين البحر الأبيض والبحر الأحمر، وده خلاها مطمع للقوى الاستعمارية في القرن ال١٩ ، وبالأخص بريطانيا بسبب قربها من قناة السويس، ولكن مش بريطانيا بس اللي كانت حاطة عينها على فلسطين.
في القرن ال١٩ ظهرت الحركة الصهيونية في أوروبا، وصهيونية جاية من صهيون وهو تل في القدس، الحركة بتنادي بضرب عصفورين بحجر واحد عن طريق تأسيس دولة لليهود، فتريح اليهود من الاضطهاد في أوروبا وتريح أوروبا من اليهود.
الحركة اللي قادها الصحفي اليهودي ومؤلف كتاب The Jewish State: تيودور هرتزل، فكرت في إقامة الدولة في أوغندا وفي الأرجنتين وفي سيناء، ولكنهم أدركوا إن الدافع الأقوى لتشجيع اليهود على الهجرة هو الدافع الديني، ولذلك وقع اختيارهم على فلسطين.
في الوقت ده فلسطين كانت تابعة للدولة العثمانية، وسكانها ٨٧٪ منهم مسلمين، و١٠٪ مسيحيين، و٣٪ يهود، عايشين عيشة أحسن من اللي اليهود عايشينها في أوروبا، في نموذج للتسامح الديني والتعايش السلمي.
والمناخ ده عرفت تستغله المنظمة الصهيونية العالمية أسوأ استغلال، فمولوا رحلات اليهود من أوروبا، واشتروا عن طريق الوكالة اليهودية الشبيهة بشركة فيرجينيا، الأراضي المملوكة لغير الفلسطينيين اللي سابوا البلد، زي بعض الضباط العثمانيين.

وابتدا يبقى ليهم وجود على الأرض، ولكنه وجود هش وغير كافي لإنشاء دولة مستقلة، لو عملوا كده الفلسطينيين ياكلوهم.

وهنا ظهرت الحاجة لدولة تتبنى المشروع الاستعماري، لحد ما اليهود عددهم يكبر وإمكانياتهم تزيد ويقدروا يدافعوا عن نفسهم، عدد اليهود في فلسطين لا يتعدى ال١٠٪، والنخبة اليهودية في الوقت ده كانت بتحاول تندمج في المجتمع مش تنفصل عنه، ولكن كل ده اختلف سنة ١٩١٤.

مع اشتعال الحرب العالمية الأولى، بريطانيا بقى هدفها تفكيك الدولة العثمانية، وهنا حصل تحالف بين الحركة الصهيونية اللي هتموت على الأرض، والحكومة البريطانية اللي هتستفيد من شق الوطن العربي بالطول والعرض.

كتير بينظروا لاتفاقية سايكس بيكو: اللي قسمت الشرق الأوسط بين بريطانيا وفرنسا، في نسخة أحدث من معاهدة توردیسیلاس اللي قسمت أمريكا بين إسبانيا والبرتغال، ووعد آرثر بلفور وزير الخارجية الإنجليزي للورد روتشيلد بإقامة وطن لليهود، على إنه بداية احتلال فلسطين.

ولكن الحقيقة إن الاتفاقيات والوعود بحاجة لقوة عسكرية تقدر تفرض واقع جديد، والقوة دي ظهرت باحتلال الجيش البريطاني لفلسطين ودخوله القدس سنة ١٩١٧.

وزي ما بريطانيا حمت المستعمرات في أمريكا من الهنود، حمت اليهود من الفلسطينيين، وبدأت في إصدار قوانين تمهد لإنشاء الدولة المستقبلية، عن طريق تسهيل الحصول على الأراضي، وإقامة أجهزة إدارية كنواة للبيروقراطية الحكومية اليهودية في المستقبل.

بالإضافة لزيادة التواجد الثقافي عن طريق نشر اللغة وافتتاح الجامعة العبرية، رغم إن مؤتمر الحركة الصهيونية الأول في بازل سنة ١٨٩٧، عقد باللغة الألمانية لعدم إجادة الحاضرين للغة العبرية.

ده بالإضافة لغض البصر عن المجازر، اللي كانت بتحصل في حق الفلسطينيين بهدف تهجيرهم والحصول على أراضيهم.

وكل ده سرع من معدلات الهجرة وضاعف عدد اليهود، بينما الفلسطينيين قاوموا وما زالوا بيقاوموا ليومنا هذا

وعملوا بدل الثورة ثورتين: ثورة البراق سنة ١٩٢٩ والثورة الفلسطينية سنة ١٩٣٦ اللي استمرت لـ٣ سنوات.

في حد باع أرضه يعمل ثورتين؟

المشكلة عمرها ما كانت في غياب المقاومة ولكن في وجود الاحتلال، لكن بسبب المقاومة المستميتة والمستمرة للفلسطينيين، وبسبب قيام الحرب العالمية التانية، بريطانيا نفسها ابتدت تدرك إن الوضع بالشكل ده لا يمكن يستمر، وإن مفيش أي منطق يقول إن دولة يهودية تقوم على أرض فلسطينية، لأنها ببساطة لن تستطيع ابتلاع الفلسطينيين لا عسكريًا ولا حتى ثقافيًا.

فابتدت بريطانيا تغير سياستها لتقليل حركة الهجرة والاستيطان، وبدأت تنادي بضرورة إنشاء دولة فلسطينية في خلال ١٠ سنين، وهنا اختلفت نظرة الحركة الصهيونية لبريطانيا، زي ما الأمريكان شافوا بريطانيا عبء يجب التخلص منه لما أمرت بوقف الاستيطان، اليهود شافوا

بريطانيا عبء يجب التخلص منه، خاصة بعد ما عودهم شد وبقى ليهم جهاز بيروقراطي وعسكري يقدر يدافع عن المستعمرات.
فبدأوا في شن هجوم على القوات البريطانية، بريد ملغم وخطف ضباط، وتفجير لجناح الانتداب البريطاني في فندق داود.
حوالي ٥٠٠ عملية إرهابية، خلوا الإنجليز يقرروا إنهاء الانتداب بعد الحرب العالمية التانية، خاصة بعد ما الحارة بقى ليها فتوة جديد وهو الولايات المتحدة الأمريكية، وقررت تباصي الكرة المشتعلة للأمم المتحدة.
وفي ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧، تم التصويت لصالح تقسيم فلسطين وإعطاء حوالي ٥٠٪ من الأرض لليهود: ٣٣ دولة مع، ١٣ دولة ضد، وامتناع ١٠ دول عن التصويت.
٣٣ دولة مفيهمش دولة واحدة في الشرق الأوسط، زي بوليفيا وكوستاريكا ولوكسمبرج وأستراليا وبنما والباراجواي وبولندا وأوكرانيا وفنزويلا وأمريكا وكندا وفرنسا والاتحاد السوفييتي، ورغم رفض دول الجوار وعلى رأسهم مصر والعراق وسوريا والسعودية ولبنان، تم إقامة دولة يهودية بإعلان دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨.
الدول العربية وعلى رأسهم الفلسطينيين رفضوا التقسيم لأنه بيشق الأرض بالنص، وبيمنع غزة من أرضها الزراعية، وبيمنع الفلسطينيين من الموارد المائية، ده بالإضافة لأن اليهود في الوقت ده كانوا بيملكوا أقل من ٦٪ من الأرض
بأي حق وأي منطق يستحوذوا على نص الأرض، ويحتكروا مصادر المياه والأرض الزراعية؟
كل ده خلى العرب وعلى رأسهم مصر وسوريا والعراق والأردن ولبنان يرفضوا قرار التقسيم، ويعلنوا الحرب على الاحتلال، ولكنهم خسروا الحرب.
وعلى عكس الأسطورة الإسرائيلية اللي بتشبه فوزهم في الحرب، بفوز داود على جالوت باعتبار إنهم underdogs، فالحقيقة إن القوات الجوية الإسرائيلية، حجمها كان أكبر من حجم القوات الجوية العربية مجتمعة، ولولا معاناة الدول العربية من الاحتلال في الوقت ده كان ممكن يكون في كلام تاني.
نتيجة الحرب دي كانت احتلال إسرائيل لفلسطين بأكملها، باستثناء غزة اللي أصبحت تحت الإدارة المصرية، والضفة الغربية غرب نهر الأردن اللي أصبحت تحت الإدارة الأردنية.
ورغم احتلال نص القدس الغربي، إلا إنه مكنش كفاية لإسرائيل لأن النص الشرقي هو اللي فيه المسجد الأقصى، سنة ١٩٦٧ إسرائيل احتلت غزة وسيناء والضفة الغربية وهضبة الجولان وجنوب لبنان، وأصبح هناك حوالي مليون فلسطيني في الضفة الغربية وغزة.
بالإضافة ل٢٠٠ ألف وأولادهم اللي ماتهجروش سنة ١٩٤٨، تحت الاحتلال غير القانوني حتى في نظر الأمم المتحدة، اللي طالبت بالانسحاب الفوري لحدود ما قبل ١٩٦٧، ولكن الوضع اتغير.
الأمم المتحدة اللي الاحتلال كان بيسعى للحصول على الشرعية من خلالها من ٢٠ سنة، النهارده أصبحت مجرد إزعاج لا بد من تجاهله.
وبدل ما يتم إعلان دولة مستقلة للفلسطينيين في الضفة الغربية، أو حتى إرجاع المنطقة للإدارة الأردنية، بدأت حركة بناء مستوطنات داخل الضفة، وهي الصيغة الأشيك للمستعمرات ولكنهم في النهاية وجهان لعملة واحدة.

ورغم طلب المجتمع الدولي ـ بما فيهم بريطانيا وأمريكا ـ بوقف بناء المستوطنات، لإنه بيلغي إمكانية إقامة دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية عاصمتها القدس الشرقية، الاستيطان زاد لدرجة إن حالياً في أكتر من ٤٠٠ ألف واحد أو حوالي ٥٪ من دولة الاحتلال، عايشين في مستوطنات على أعلى مستوى متوزعين في كل حتة في الضفة. بتربطهم شبكة طرق حصرية ممنوع دخولها للفلسطينيين، هدفها التحرك بسهولة بين المستوطنات دون المرور في مناطق الفلسطينيين، لدرجة تسميتهم بال flyovers، بينما أصحاب الأرض ممنوعين من مغادرة الضفة، ممنوعين من تصاريح البناء.

وكمان بيتم تهجيرهم زي ما حصل في الشيخ جراح في القدس الشرقية، لفرض أمر واقع جديد يخلي من المستحيل إقامة دولة فلسطينية مستقلة، وزي ما حصل للهنود في المحميات، الفلسطينيين بيتعرضوا لحياة في منتهى القسوة، لا تخلو من الإبادة العرقية وسياسات الفصل العنصري، ولكنها أيضاً لا تخلو من المقاومة.

والمقاومة دي سواء بالفعل أو الكلمة، مش بس هي الخيار المنطقي الوحيد قصاد احتلال هدفه الإبادة، ولكنها كمان أحد أهم العناصر اللي بتحمي الفلسطينيين من الانتهاء لنفس مصير الهنود، لإن على قد ما الوضع متشابه، على قد ما الوضع مختلف.

فلسطين مرتبطة جغرافياً ولغوياً ودينياً بدول الجوار، إلى جانب إن التقدم التكنولوجي زي ما بيُستخدم عسكرياً لصالح الاحتلال، النهارده بقى بيستخدم إعلامياً ضده.

لأول مرة العالم اللي مبقاش معتمد على الإعلام الرسمي، بيشوف بشاعة الاحتلال السرطاني اللي بيرتكب جرائم بصورة يومية، لا تصنف فقط كجرائم حرب ولكنها جرائم في حق الإنسانية، احتلال لسه مش قادر يدرك إن الفلسطينيين عددهم بيزيد مش بيقل، ومش قادر يفهم إن الوضع الحالي لا يمكن يستمر.

احتلال خايف من حل الدولتين، لأنه عارف إن الفلسطينيين أول ما عودهم يشد هيحاربوا، وفي نفس الوقت رافض لحل الدولة الواحدة، لأنه عارف إنه لو إدى حقوق المواطنة لكل السكان، بغض النظر عن الديانة هيسقط بكرة، لأن الفلسطينيين الله أكبر عليهم في الخصوبة معندهمش ياما ارحميني.

وبسبب رفضه لأي حلول، وبسبب خوفه من مصير محتوم بيكابر ويطبش، زي الحيوان المحاصر اللي بيزداد شراسة، مش بسبب القوة ولكن بسبب الخوف، الخوف من جيل قادم لا محالة، ويمكن ده الدافع الحقيقي وراء قتله للأطفال.

أطفال لازم نفتكرهم، قتلهم الاحتلال جوه بيوتهم وفي حضن أهاليهم، أطفال لازم أطفالنا يعرفوهم ويحفظوا أساميهم، أطفال ماتوا ولكنهم مهما فات الزمن، هيفضلوا عايشين.

(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)

أسماء القتلى من الأطفال في الحرب على غزة سنة ٢٠٢١ وأعمارهم:

(براء الغرابلي ـ ٥ سنوات)

(مصطفى عبيد ـ ١٦ سنة)

(يزن المصري ـ سنتين)

(مروان المصري ـ ٦ سنوات)

(رهف المصري ـ ١٠ سنوات)
(ابراهيم المصري ـ ١١ سنة)
(حسين حمد ـ ١١ سنة)
(إبراهيم حسنين ـ ١٦ سنة)
(محمد سليمان ـ ١٥ سنة)
(حمزة علي ـ ١٢ سنة)
(مينا شرير ـ سنتين)
(لينا شرير ـ ١٥ سنة)
(زيد طالباني ـ ٤ سنوات)
(ميريام طالباني ـ سنتين)
(هالة الريفي ـ ١٣ سنة)
(بشار سمور ـ ١٧ سنة)
(حمادة العمور ـ ١٣ سنة)
(عمار العمور ـ ١٠ سنوات)
(محمود طلبة ـ ١٢ سنة)
(يحيي خليفة ـ ١٣ سنة)

ادعوا لهم بالرحمة والمغفرة، ولعائلاتهم بالصبر والسلوان.
وللأمة العربية بالنصر والوحدة، والأمن والسلام.

طوفان الأقصى

كُتب ما سبق من هذا الكتاب عام ٢٠٢١ بعد أحداث الشيخ جرَّاح وما تلاها من حرب على غزة، وظننتها آخر حرب ضد الاحتلال تشهدها فلسطين لسنوات طويلة قادمة.
بدا أن حركة المقاومة الإسلامية (حماس) اختارت المهادنة على المقاعد الوثيرة، بدلًا من المواجهة الدامية في الخنادق.
استمر قصف الاحتلال للقطاع لأكثر من عامين، ولم تحرك حماس ساكنًا، فظنَّ الاحتلال أنها ارتاحت لرغد العيش، ولن تغامر بخسارة كل شيء في حرب محسومة من البداية.
عامان شهدا سقوط نتنياهو عام ٢٠٢١، ثم عودته مجددًا كرئيس للوزراء عام ٢٠٢٢، ليصبح بذلك الزعيم الأطول حكمًا، والأكثر خطورة في تاريخ إسرائيل.
عاد نتنياهو للسلطة ممتطيًا جواد اليمين المتطرف الجامح.
الكنيست، أو البرلمان الإسرائيلي، مكون من ١٢٠ مقعد، يحكم الحزب الذي يحصل فيه على ٦١ مقعد، وهو أمر لم يحدث في إسرائيل منذ نشأتها.
ولذلك يلجأ رئيس الحزب الفائز بأكبر عدد من المقاعد، للتحالف مع أحزاب أصغر للحصول على الأغلبية مقابل تعيينهم في مناصب وزارية.
شهدت إسرائيل خمس انتخابات خلال ثلاثة أعوام، انخفضت فيهم شعبية حزب الليكود بقيادة نتنياهو قبل أن يعود للسلطة بعد التحالف مع بن غفير، وبيزاليل سموتريتش، أبرز الوجوه الصاعدة لليمين المتطرف.
حزب القوة اليهودية بقيادة بن غفير، المدعوم بقوة من أفراد الجيش والمستوطنين لرغبته في الاستيلاء على أراضي الضفة الغربية وغزة، وحزب الصهيونية الدينية، الذي يرى الصهيونية ركن أساسي من العقيدة اليهودية، بقيادة بيزاليل سموتريتش، حصلوا على ١٤ مقعد، مكنا نتنياهو بالتحالف معهما من الوصول لإجمالي ٦٤ مقعد اللازمين لرئاسة الحكومة.
وكثمن للدعم، عيَّن نتنياهو بن غفير، اللي رفض جيش الاحتلال انضمامه لقواته بسبب آرائه المتطرفة، كوزير للأمن القومي، بينما عين سموتريتش كوزير للمالية، في حكومة وصفت بأنها الأكثر تطرفًا في تاريخ إسرائيل من الإسرائيليين أنفسهم.
ومن أول لحظة دخلت الحكومة في مواجهة واسعة مع المعارضة بمحاولتها تمرير إصلاحات قضائية هدفها الحد من قدرة السلطة القضائية على مراجعة قرارات السلطة التنفيذية.
خطة رآها العديد كمحاولة من نتنياهو لتحويل الديمقراطية العرقية، العنصرية، الإسرائيلية، إلى ديكتاتورية.
فخرج الآلاف في مظاهرات حاشدة يوم السبت من كل أسبوع للاعتراض على التعديلات القضائية، ونتنياهو عازم على المضي، لأن من يضمن له كرسيه هو اليمين، فانحرف إلى اليمين بسرعة قصوى، وقسوة.
فغض البصر عن جرائم المستوطنين في الضفة، وحاول جاهدًا توسيع دائرة التطبيع الدبلوماسي بمحاولة التقرب إلى المملكة العربية السعودية، والهند، وأعلن عن مشروع اقتصادي عملاق يشمل عمل خط سكة حديد من الهند إلى أوروبا مرورًا بإسرائيل.

صرحت المملكة إنه لن يكون هناك تطبيع دون وجود تسوية عادلة وفعالة للقضية الفلسطينية، بينما تباهى نتنياهو، الذي جعل منع إقامة دولة فلسطينية هدفه الأكبر، بأن القضية الفلسطينية أصبحت مجرد بند على الورق.

العرب الآن يهتمون بالأسهم لا بالأسرى، وتُجمع الحجارة لبناء الأبراج لا رمي الدبابات.

ثم أتى طوفان الأقصى.

(وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) ـ الأنفال.

بينما كان يستعد نتنياهو لمحو القضية، كانت المقاومة الفلسطينية بقيادة يحيى السنوار تستعد لإحيائها.

ولد يحيى السنوار عام ١٩٦٢ في مخيم خان يونس للاجئين في قطاع غزة.

عاشت عائلته على بعد كيلومترات قليلة في عسقلان قبل أن تجبر على النزوح بسبب النكبة عام ١٩٤٨.

درس السنوار في مدارس المخيم الذي وقع تحت الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧، ثم التحق بالجامعة الإسلامية في غزة وحصل على بكالوريوس اللغة العربية.

في نفس الوقت شارك الشيخ أحمد ياسين في تأسيس منظمة الجمعية الإسلامية عام ١٩٧٦ في غزة بهدف نشر الوعي الإسلامي، وتجهيز جيل جديد من المقاومة والجذور.

إسرائيل لم تعارض الجمعية التي بدأت ببناء المساجد والمدارس، بالعكس شجعتها، ويقال إنها ساهمت في تمويلها في بدايتها.

ليس حبًّا فيها، وإنما كرها في حركة التحرير الفلسطينية (فتح) بقيادة ياسر عرفات، ورغبة في تقسيم الفلسطينيين من الداخل، حتى تكون الحجة لعدم قيام دولة فلسطينية هي عدم وجود ممثل يمكن التفاوض معه.

فتح حركة علمانية بها أجنحة يسارية، وأفضل خيار لضرب اليسار العلماني هو اليمين الديني.

ولكن كما جرت العادة، كبر الوحش وانقلب على الساذج الذي ظن إنه قادر على ترويضه.

سنة ١٩٨٧ أسس الشيخ أحمد ياسين حركة المقاومة الإسلامية (حماس) تزامنا مع قيام الانتفاضة الفلسطينية الأولى.

ولكن قبل مواجهة الاحتلال، قررت الحركة ضرورة البدء بالقضاء على عملاء الاحتلال في الداخل.

السنوار انضم للحركة الناشئة وأصبح مسؤولًا عن جهاز الأمن الداخلي.

شبكة من العيون ترصد ما يحدث في الشارع الغزاوي المحتل، لفت انتباهها قيام أحد الفلسطينيين باستضافة السيدات في محله لفترات طويلة بمفرده.

وبالتتبع والمراقبة اكتشفوا إنه عميل للاحتلال، يعمل على إفساد السيدات، وتجنيدهم.

قتله السنوار، واكتسب شهرة مرعبة كجزار خان يونس الذي لا يتردد في الفتك بالعملاء.

وحين قبض عليه الاحتلال بتهمة قتل أربعة أفراد عام ١٩٨٨، اعترف ولم ينكر.

وأدلى بتفاصيل العمليات ومنها أماكن الدفن، وأضاف إنه قتل العميل الأول بيده باستخدام الكوفية التي يرتديها، فتحولت من رمز للمقاومة إلى أداة للعدالة.

دخل السنوار السجن فتعامل معه كجامعة، تعلم فيها العبرية، وقرأ وشاهد العديد من الكتب

والأفلام لدراسة العدو الذي يتحرق شوقًا لقتاله.
أعوام طويلة قضاها السنوار في السجن، انتهت فيها الانتفاضة الأولى بتوقيع ياسر عرفات اتفاق أوسلو سنة ١٩٩٣ كخطوة أولى على طريق حل الدولتين.
وأصبحت هناك سلطة فلسطينية في الضفة على رأسها فتح وياسر عرفات، تنبذ العنف وتسعى للتفاوض، بينما حماس في غزة تقوم بعمليات انتحارية مُبررها إن العين بالعين، والمدنيين بالمدنيين، وترفض أن تتخلى كفتح عن السلاح، مبررة بأنه لولا سلاح فتح ما تفاوضوا معها.
مرت الأعوام لتثبت عدم صدق إسرائيل.
اغتيل إسحاق رابين عام ١٩٩٥ على يد متطرف يهودي،
وطبقًا لكتاب Rise and Kill First: The Secret History of Israel's Targeted Assassinations للصحفي الإسرائيلي رونين بيرغمان، إسرائيل اغتالت الشيخ أحمد ياسين في مارس عام ٢٠٠٤، واغتالت بعده ياسر عرفات عن طريق تسميمه بالبولونيوم المشع في نوفمبر، فقضت على رؤوس الأفاعي في نظرها، لتفاجأ بأن المقاومة لها ألف رأس.
استمرت إسرائيل في الاقتناع بقدرتها على إخضاع الفلسطينيين إلى ما لا نهاية، فزاد ذلك من شعبية حماس، على حساب فتح والسلطة الفلسطينية.
وعلى الرغم من فوز محمود عباس، وهو خليفة عرفات وشريكه، برئاسة السلطة الفلسطينية من بعده، فازت حماس بالانتخابات التشريعية في يناير عام ٢٠٠٦، لتصبح أول حركة سياسية تصعد للسلطة عن طريق الانتخابات في الشرق الأوسط.
فوز تلاه حرب أهلية قصيرة طرد على إثرها رجال فتح من القطاع عام ٢٠٠٧، فردت إسرائيل بفرض حصار كامل على قطاع غزة، برًا، وبحرًا، وجوًا، لتصبح أكبر سجن مفتوح في العالم.
حصار يقوم به آلاف من الجنود المدججين بأحدث وأخطر الأسلحة، ولكن واحد منهم فقط كان على موعد بتغيير التاريخ: جلعاد شاليط.
تمكنت حماس من أسر شاليط عام ٢٠٠٦، وطالبت مقابل الإفراج عنه الإفراج عن الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال.
خلال أعوام طويلة من التفاوض بوساطة مصرية، وافق الاحتلال على الفكرة بشكل مبدئي، ولكن اعترض على الإفراج عن بعض قادة حماس، واشترط نفي بعض من يفرج عنهم إلى الخارج لضمان عدم قيامهم بأي دور في المستقبل.
حين علم يحيى السنوار، وهو المرضي عنه من مسؤولي السجن وغير مدرج في قائمة الاستثناءات، رفض بشكل قاطع، وطلب إلغاء الصفقة إلى أن يتم تحسين شروطها.
وبالفعل، رضخ الاحتلال مع يقينه بعدم قدرته على تحرير شاليط بالقوة، ليفرج عنه مقابل الإفراج عن ١٠٢٧ أسير فلسطيني، من ضمنهم يحيى السنوار.
حين أُفرج عنه أجرى التلفزيون الإسرائيلي مقابلة معه قبل مغادرة السجن، فتحدث العبرية بطلاقة، وقال إن الحل الأفضل هو عمل هدنة لمدة عشر سنوات بين المقاومة وإسرائيل.
التلفزيون أشاد برغبته في السلام، بينما توقع بعض رجال الأمن الإسرائيليين أنه سيمضي ما تبقى من حياته، بعد ٢٢ عام قضاها في الأسر، في القراءة والكتابة، متوقعين إنه ربما يقوم بكتابة مذكراته مثل كل الرجال الذين كانوا وانتهوا.

ولم يعرفوا حينها آن هناك فصل آخير، لم يكتب بعد.
عاد السنوار إلى القطاع، وأعلن منذ اليوم الأول عن رغبته في تحرير جميع الأسرى، كهدف شخصي لأسير سابق، وهدف عام لوطن نازف.
تدرج سريعًا في مراتب الحركة إلى أن تم انتخابه رئيسًا لمكتبها السياسي في غزة، وهو منصب يعني أنه الرجل الأول في القطاع، بينما إسماعيل هنية، عميد قسم الفلسفة بالجامعة الإسلامية في غزة، وسكرتير الشيخ أحمد ياسين، هو الرجل الأول في الخارج.
رأس السنوار المكتب السياسي، وقاد محمد ضيف الجناح العسكري المعروف باسم كتائب الشهيد عز الدين القسّام، على اسم العالم المجاهد عز الدين القسّام، الذي ولد في سوريا، وتعلم في القاهرة، وقاتل الاحتلال في فلسطين، قبل أن يقتل على يد القوات البريطانية عام ١٩٣٥، وتشتعل الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦.
نجح السنوار في إصلاح العلاقات مع مصر، وفي مد جسور الوصل بعد سنوات القطيعة مع السلطة الفلسطينية.
وبدأ الكلام يدور حول انتخابات فلسطينية مرتقبة، هي الأولى بعد انتخابات عام ٢٠٠٦.
السلطة وحماس كلاهما ينتقل للبقاء في السلطة بشرعية انتخابية منتهية.
في العام المقرر لإجراء الانتخابات المنتظرة سنة ٢٠٢١، فوجئ العالم بقدرة حماس على إطلاق صواريخ قادرة علي ضرب العمق الإسرائيلي في تل أبيب.
ردًّا على الاعتداء المتكرر على المسجد الأقصى، وتهجير الأهالي القصري وطردهم من بيوتهم في حي الشيخ جراح، شنت حماس هجوم مفاجئ بصواريخ سُمع صداها في العالم أجمع.
تمكنت إسرائيل من اعتراض معظمها باستخدام منظومة القبة الحديدية الدفاعية، التي تعمل بنسبة دقة ٩٠٪، وقصفت القطاع قبل وقف إطلاق النار بوساطة مصرية بعد ١١ يوم.
الهجوم زاد من شعبية حماس في الضفة الغربية، وأصبح من المعتاد سماع هتاف «حط السيف قبال السيف، إحنا رجال محمد ضيف» في رام الله، مقر السلطة الفلسطينية.
ومع ذلك إسرائيل لم تشك لحظة في نية حماس الهجوم عليها، وفضّل نتنياهو عدم الإجهاز عليها عسكريًّا قبل أن يشتد عودها، للحفاظ عليها كشوكة في جانب السلطة الفلسطينية.
خطر محدود يتم ضربه كل فترة عسكريًّا، والاستفادة من وجوده سياسيًّا.
العدو في نظر نتنياهو في الضفة الغربية، فأعماه الكيد عن رؤية الضربة القادمة من غزة.
يوم ٧ أكتوبر ٢٠٢٣ شنت حماس أكبر هجوم في تاريخ المقاومة الفلسطينية.
هجوم شامل كالحصار، فكسر الحصار برًّا وبحرًا وجوًّا.
طبقًا لإسرائيل تم اختراق ٣٠ موقع على الحدود بينها وبين غزة.
هجوم زلزل العالم كله، أدى لقتل ١٢٠٠ إسرائيلي من ضمنهم ٣٥٠ جندي وضابط في جيش الاحتلال.
بالإضافة لأسر أكثر من ٢٥٠ شخص والعودة بهم لغزة.
أعلنت إسرائيل الحرب على حماس، وتعهدت بعدم انتهاء الحرب قبل القضاء على القدرات العسكرية للحركة، وقتل قادتها، وعلى رأسهم ضيف والسنوار، الذي طالب بالإفراج عن جميع الأسرى في فلسطين مقابل عودة جميع الأسرى الإسرائيليين في غزة.

أكثر من ٥٠٠٠ أسير فلسطيني في سجون الاحتلال من ضمنهم ألف قابعين خلف الأسوار دون محاكمة، فيما يسمى بالحبس الإداري، الذي يمنع عن المتهم حتى معرفة تهمته.
ردت إسرائيل بالرفض القاطع، وتعهدت بإرجاعهم بالقوة رغم فشلها السابق في إرجاع شاليط، وقامت بحملة قصف دموي في غزة، وحملة اعتقال عشوائي في الضفة، فزاد عدد الأسرى لأكثر من ٨٠٠٠ أسير، نصفهم دون محاكمة، منذ السابع من أكتوبر.
وبعد قتل ما يقارب العشرين ألف فلسطيني، بنسبة أكثر من قتيل لكل ٢٠٠ إنسان في قطاع غزة.
وبعد اجتياح بري دعمته أمريكا بالمال والسلاح والجهود الدبلوماسية.
وبعد قتل أكثر من ٥٠٠٠ طفل لا ذنب لهم سوى مكان مولدهم.
وبعد قصف المستشفيات، والمدارس، والجوامع، والكنائس، واستهداف ملاجئ الأمم المتحدة، وقنص الصحفيين.
بعد كل ذلك، فشلت إسرائيل في تحقيق أي هدف من أهدافها العسكرية المعلنة، فاضطرت لقبول اتفاقية تبادل أسرى شملت الإفراج عن ٥٠ طفل وسيدة في غزة مقابل الإفراج عن ١٥٠ طفل وسيدة في سجون الاحتلال، بالإضافة لهدنة من أربع أيام تُكتب هذه السطور في يومها الثالث.
أفرج حتى الآن عن ١٠٠ أسير فلسطيني، خرجوا جميعًا وقالوا: شكرًا للمقاومة.
لا أحد يعرف كيف ولا متى ستنتهي الحرب، لكن المؤكد هو أنه أيًّا ما كانت النهاية، لن تنتهي المقاومة.
الاحتلال هو من يصنع المقاومة وليس العكس.
وإذا ضربت غزة بقنبلة نووية، لا سمح الله، فستقضي على العدد والعتاد، ولكنها لن تقضي على الفكر.
والسؤال هو كيف تستمر المقاومة رغم كل ما تتعرض له من تنكيل؟
وكيف يستمر دعمها رغم كل ما يتعرض له الشعب من ويلات؟
من المهم تذكر أن أي مقاومة هي بالضرورة الطرف الأضعف في مواجهتها مع الاحتلال، لأنها إن كانت أقوى منه لاستطاعت القضاء عليه منذ البداية.
وأنها لا تنتصر دائمًا بشكل عسكري في ملحمة درامية تليق بالمعالجات السينمائية، وإنما يكمن نجاحها في إقناع المحتل والعالم حوله باستحالة بقاء الوضع كما هو عليه.
كمثال، لم تهزم الجزائر فرنسا، ولم تهزم مصر بريطانيا، ولم يُهزم البيض في جنوب إفريقيا، ولكنهم اقتنعوا بضرورة التفاوض بعد سنوات طويلة من القمع أُدرج فيهم نيلسون مانديلا وحزب المؤتمر الإفريقي على قوائم الإرهاب في جنوب إفريقيا والولايات المتحدة، قبل أن يفرج عنه بعد ٢٧ سنة في السجن ويصبح أول رئيس بعد سقوط نظام الفصل العنصري.
ولذلك فالنصر هو ساعة صبر، طالت أو قصرت.
والسؤال هو كيف تستمر المقاومة وتصبر، رغم أن كل الأسباب المادية تُغري بالاستسلام؟
في كتاب هيكل الروح المعنوية The Structure of Morale، الطبيب النفسي الكندي جون مكاردي يقول إن على عكس ما توقع هتلر وقادة الجيش البريطاني، لم ينجح القصف الألماني في كسر الروح المعنوية للإنجليز أثناء الحرب العالمية الثانية.

٥٧ يوم من القصف المتتالي للعاصمة لندن، فشلوا في قلب الإنجليز على تشرشل كما توقع هتلر، وأدوا لإصرارهم على مقاومة النازية حتى تحقيق النصر.
وبدراسة ما حدث، يمكن تقسيم الإنجليز تحت القصف إلى تلات مجموعات.
المجموعة الأولى، وهي الأكتر تضرراً، هم من فقدوا حياتهم، ولكن المجتمع يتشكل بسلوك الناجين وليس القتلى.
أما التانية فهي ما يطلق عليها مجموعة ال Near Miss، القريبين من الحادث من أهل وجيران وأصدقاء.
هؤلاء يتعرضون لصدمة قوية قد لا يتعافون منها طوال حياتهم نتيجة لما فقدوا من أحباء.
أما المجموعة التالتة وهي الأهم والأكتر عدداً هي مجموعة ال Far Miss البعيدة عن موقع الحادث.
القاطنين بشارع آخر غير الذي قصف، عاشوا الخوف وكانوا على بعد أمتار من الخطر، ثم عاشوا ليشعروا بأنهم لا يُقهرون.
هؤلاء الذين نظروا إلى الموت في عينيه ثم بقوا على قيد الحياة، يولد لديهم شعور جارف بالقوة والشجاعة يحثهم على المقاومة والاستمرار، فقد نجوا مرة، وسينجون ثانية.
ولذلك فكل قنبلة تلقيها إسرائيل تقوي المقاومة ولا تضعفها، وكل شهيد يرتقي يزيد من عدد المقاومين، وليس العكس.
اللهم حرر الأسرى، والأقصى، وفلسطين.

مالكوم إكس

قصة حياة الحاج مالك الشباز

من بعد ما افترس الرجل الأبيض سكان أمريكا الأصليين، نشأته الاستعمارية خلته ميقدرش يعيش غير كمصاص دماء، وطول الوقت بيدور على الفريسة اللي تخدم مصالحه وطموحاته التوسعية.

وبعدها جه الدور على عرق تاني كامل اختاره الرجل الأبيض لإكمال مسيرة المعاناة، هيُطلق عليهم فيما بعد الأفارقة الأمريكيين، نزلهم من مكانة البشر لمرتبة العبيد، عشان يمارس ببشاعة هوايته المفضلة في إشباع أطماعه.

عاشوا مئات السنين في عذاب العبودية والمعاملة غير الآدمية، وفي هذه الأجواء ظهر مالكوم إكس.

خليني أقولك يا عزيزي، إن مالكوم إكس واحد من أكتر الشخصيات المؤثرة في القرن العشرين، بل قد يكون واحد من أكتر الشخصيات المؤثرة في التاريخ.

الأب الروحي لمحمد علي والخصم اللدود لمارتن لوثر كينج، المدمن السابق اللي قضى نص حياته في الإجرام، والنص التاني بيحاول يساعد الناس متكررش نفس غلطته، وكان سبب في دخول عشرات الآلاف من الأمريكان إلى الإسلام.

الشخص اللي حارب العالم عشان مُعلمه قبل ما يحارب معلمه عشان خاطر مبادئه، مالكوم ليتل المعروف باسم مالكوم إكس، أو الحاج مالك الشباز.

منفصلون لكن متساوون

يوم ١٩ مايو سنة ١٩٢٥ بعد سبع سنين من انتهاء الحرب العالمية الأولى، لويز ليتل بنت جزيرة جرانادا الكاريبية حست بآلام الوضع.
فجوزها النجار والداعية المسيحي إيرل ليتل، خدها وطلع على مستشفى الجامعة في مدينة أوماها بولاية نبراسكا، ومدينة أوماها اتسمت على اسم قبيلة من الهنود الحمر كانوا عايشين هناك، ومعناها Those going against the current أو اللي ماشيين عكس التيار.
وهناك في حدث أقرب للنبوأة اتولد ابنهم مالكوم ليتل، اللي اتكتب عليه يعيش من أول يوم لآخر يوم في حياته عكس التيار.
مالكوم هو الابن الرابع لأمه ولكنه الابن السابع لأبوه إيرل، اللي كان متجوز قبل كده ومخلف ٣.
تقول لي: لا إله إلا الله، البقاء لله! حياتك الباقية يا عزيزي، ولكن مراته الأولانية عايشة وصحتها زي الحديد.
تقول لي: أومال اتجوز ازاي؟
الحقيقة للإجابة على السؤال ده محتاجين نرجع لورا شوية لنهاية القرن ال١٩، إيرل اتولد في ولاية جورجيا في الجنوب سنة ١٨٩٠، بعد ٢٥ سنة من نهاية الحرب الأهلية اللي قامت بعد انتخاب أبراهام لنكولن كرئيس للجمهورية سنة ١٨٦٠.
الحرب كانت بين الشمال والجنوب اللي طالبوا بالانفصال وإنشاء كونفدرالية خاصة بهم لوحدهم، تسمحلهم بالاحتفاظ بالعبيد اللي كانوا يعتبروا مجرد ممتلكات زيهم زي الاحصنة، وانتهت رسميًا ولكن فضل اللي في القلب في القلب.
وحاولت الولايات بشتى الطرق الاحتفاظ بنوع من أنواع التمييز بين البيض والسود، فأنشأت نظام عرف باسم التعديل أو 13th amendment ال ١٣ إقرار حول للالتفاف، jim crow equal but شعار تحت الفصل على قائم نظام وده، العبودية بإلغاء للدستور ال١٣ separate.
يعني كمثال في كولديرات المياه متفرقين عن بعض، البيض لهم كولدير والسود لهم كولدير، فصل في التعليم وفي العلاج وفي المواصلات وحتى في المطاعم، بيفكر السود في كل لحظة إنهم مواطنين درجة تانية.
وفي ظل الظروف الجميلة دي اتولد إيرل ليتل ببشرة شديدة السواد، دخل المدرسة ٣ سنين وبعد كده ساب التعليم عشان يتعلم صنعة تنفعه، وبما إنه شاطر في الشغل اليدوي اتعلم النجارة والبناء، وابتدا يشتغل جنبهم كداعية مسيحي.
اتجوز وخلف ٣ مرات، ومن كتر الخطب اللي كان بيلقيها كداعية قدراته الخطابية كبرت وكبر معاها كرهه للبيض، اللي قتلوا ٤ من اخواته واحد منهم عن طريق الشنق، وده خلاه يدرك من سن صغير الوضع السيئ والخطير اللي السود عايشين فيه.
وابتدا من سن صغير يتعرف إنه uppity nigger، أو أسود شايف نفسه، مش معناه إنه مغرور أو متعالي لا سمح الله، ده تعبير يطلق على أي أسود شايف نفسه مش أقل من البيض

وبيعاملهم على إنه الند بالند.
وده شيء في منتهى الخطورة، خاصة بعد إعادة بعث واحدة من أخطر المنظمات في التاريخ، منظمة مش بس عادت السود ولكنها قتلتهم ومثلت بجثثهم، ال Ku Klux ال أو، KKK Klan.
أُنشئت الKKK بعد نهاية الحرب الأهلية على إيد ضباط في جيش الانفصاليين الجنوبي، بهدف إبقاء الوضع كما هو عليه ومنع العبيد من ترك المزارع وتأديبهم لدرجة قتلهم إذا تطلب الأمر، أو لمجرد إذا حسوا إن في واحد من السود نسي نفسه وابتدا يطالب بالمساواة مع البيض.
المنظمة إرهابية، أعضاءها كانوا بيلبسوا ـخير اللهم اجعله خيرـ أبيض في أبيض، وبيغطوا وشهم وبينزلوا بالليل ماسكين مشاعل زي ذئاب الجبل، واللي بتقع عليه القرعة وحظه السيئ بيخليهم يقرروا إنه محتاج التأديب، بيروحوا يجيبوه من بيته وبيشنقوه على شجرة عشان يبقى عبرة لمن يعتبر.
المنظمة ضعفت مع بداية القرن العشرين، ولكن مع صعود الزينوفوبيا وكره المهاجرين والأجانب بسبب الحرب العالمية الأولى، عادت المنظمة إلى الحياة خاصة بعد عرض فيلم Birth of a nation سنة ٢٠١٥، اللي بيعرض فيه إزاي السود عاثوا في الأرض فساداً بعد نهاية الحرب الأهلية، وازاي الكلان أهل البلد الطيبين أنقذوا أهل الجنوب من السود المجرمين.
الفيلم كسر الدنيا، والكلان اللي كانت ضد اليهود والكاثوليكيين والأسيويين والمهاجرين بوجه عام مش بس السود، عدد أعضائها وصل في بعض التقديرات لحوالي ٣ مليون واحد في أوائل العشرينيات، منهم سياسيين وضباط وأعضاء مجالس تشريعية محلية وفيدرالية، يعني على مستوى أمريكا كلها.
إيرل حس إنه مش هيعرف ياكل عيش في وسط اللبش، خاصة بعد ما اتعرف إنه بتاع مشاكل،
فحس إنه محتاج يسافر، خاصة إنه كان عنده مشاكل كبيرة مع مراته وبيتخانق معاها بصورة مستمرة، خلت أهلها مش طايقينه ولا هو طايقهم.
فعمل زي أي راجل عنده شعور بالمسؤولية من اللي ماليين محكمة الأسرة، وسافر وسابها هي والأولاد
وراح فيلادلفيا وبعدها راح نيويورك.
وكل بلد بيروحها بتواجهه نفس المشكلة، بيعترض على التفرقة العنصرية فالعنصريين بيقطعوا عيشه، وبيجبروا صاحب العمل يرفده بدل ما يولعوله في العمل ويولعوا فيه هو شخصياً.
ومن شغلانة لشغلانة ومن بلد لبلد، واجه نفس العنصرية وحس بنفس الرغبة إنه يعمل حاجة عشان ينهيها، وفي أحد الأيام سمع عن ناشط جمايكي شاب باسم ماركوس جارفي، بيطالب بعودة الأفارقة الأمريكان لإفريقيا وبيطالب بإنشاء دول مستقلة ليهم هناك.
جارفي شايف إن الرجل الأسود لازم يحس بفخر لكونه أسود، وإنه لا يمكن هيصل للحرية إلا إذا قدر يبقى مستقل اقتصادياً عن الرجل الأبيض.
جارفي متحدث جبار ومتعلم أحسن تعليم في إنجلترا اللي درس فيها فلسفة وقانون، دراسة

مش متاحة لأغلب السود اللي زيه في أمريكا، ولذلك على عكس ناشطين حماسيين تانيين لما جارفي كان بيتكلم كله بيقف يتعلم.

تقول لي: أهو كلام وخلاص، هو الكلام بفلوس؟

عزيزي، جارفي ده زعيم مش مدير إتش آر، بعد سفره لأمريكا اللي شافها مكان مناسب لنشر دعوته بسبب القهر اللي بيشوفه السود فيها، أنشأ منظمة ال Universal ال أو UNIA Negroe Improvement Association، منظمة لتحسين أوضاع السود.

تقول لي: وازاي هيحسنها؟

عن طريق برنامج تعليمي ثقافي اقتصادي شامل، جارفي عن طريق فروع منظمته اللي بدأت في نيويورك وانتشرت زي النار في أغلب ولايات أمريكا، بدأ فصول لتعليم التاريخ والمهارات وبعض الحرف البسيطة لأعضاء المنظمة من السود.

وكمان بدأ في حملة جمع تبرعات واشتراكات، لم بيهم رأس مال كافي لإنشاء خط نقل ملاحي باسم Black star line، أو النجمة السوداء.

باعتبار إن الثروة هي الطريق إلى الحرية زي ما قال:

Wealth is strength. Wealth is power. Wealth is influence. Wealth is justice. Wealth is liberty. Wealth is human rights.

الثروة قوة وتأثير وعدالة وحرية وحقوق إنسان.

تقول لي: إنت قصدك الثورة؟

لا يا عزيزي، دي اللي بتودي السجن، هو بيتكلم عن الثروة اللي بتودي مراسي.

وثروة المنظمة زادت بزيادة عدد أعضائها خاصة بعد إنشائه لجريدة The Negroe World Newspaper، أو جريدة عالم السود.

تقول لي: هو مش نيجرو يعني زنجي؟

الحقيقة يا عزيزي، نيجرو كلمة إسبانية معناها أسود، وزنجي كلمة أطلقها العرب على الأفارقة من البشرة السودا، ولذلك أنا أفضل أسود لأنه لون جميل بيفكرني بأغنية الفنان محمد منير: دول عايروني وقالولي يا أسمر اللون يا لالالي.

إيرل فضل ماشي يخبط في الدنيا والدنيا تخبط فيه، لحد ما سمع عن جارفي ومنظمته فانضم ليهم، وسافر معاهم في إحدى الرحلات إلى مونتريال في كندا، وهناك أعجب بشابة كاريبية من جزيرة جرينادا اسمها لويز، سنها صغير بس عقلها كبير، بالإضافة إلى إنها متعلمة ومهتمة بحقوق السود وزي القمر.

ورغم إن أهلها من السود إلا إن بشرتها كانت ناصعة البياض، لأن مامتها على حسب حكايات بعض قرايبها اتعرضت للاغتصاب من رجل إسكتلندي، فخدت لويز منه لون بشرته، اللي بيفكرها بمدي القمع اللي بيتعرضله السود على إيد البيض كل ما تبص في المراية.

لويز أعجبت بإيرل وبحماسه فاتجوزوا، وقرروا وهب حياتهم لنشر رسالة جارفي والنضال من أجل تحرير السود في أمريكا.

تقول لي: هو إيرل كان عايز يسيب أمريكا ويرجع إفريقيا؟

الحقيقة يا عزيزي، إيرل كان متبع مع جارفي مبدأ ما لا يدرك كله لا يترك كله، رغم إنه

مكنش بينادي أبدًا بالرجوع لإفريقيا ولا بإنشاء دولة مستقلة للسود، إلا إنه كان منجذب لدعوة جارفي للاستقلال وتغيير الفكر الانهزامي المنتشر وسط السود.
ومن أهم الحاجات اللي شدته لدعوة جارفي، هي تأكيده على ضرورة افتخار السود بهويتهم، وأهمية اقتناعهم إنهم يقدروا يعملوا أي حاجة هما نفسهم فيها، زي ما كان بيقول في شعاره الشهير:
Up Up You Mighty Race, You Can Accomplish What You Will!
أو كما قال حزلقوم: الحديد بولي واحنا لامبولينا.
ولنشر الرسالة لكل أنحاء أمريكا إيرل سافر فيلاديلفيا مع لويز، عشان ينضموا للgarvyietes أو أعضاء المنظمة اللي عددهم كبير هناك.
وفي عاصمة ساندوتشات اللحمة بالجبنة أو ال مسقط وفي، philly steak sandwich كفاءة أثبت إيرل، ستالوني سيلفستر الزميل الفنان دوره لعب اللي بالبوا روكي الملاكم رأس UNIAال فقادة، عالية تنظيمية طلبوا منه السفر لأوماها اللي السود فيها كانوا بيعانوا أشد المعاناة، واتعرض بعضهم لحوادث قتل جماعي شارك فيها المئات من البيض على مرأى ومسمع من البوليس.
وبسبب العنصرية البغيضة دي، الكوكلوكس كلان لقت أرض خصبة في أوماها، وشعبيتها كانت أكبر من شعبية النادي الأهلي، لدرجة إن المرشحين في الانتخابات التشريعية المحلية من الحزبين الرئيسيين الديموقراطيين والجمهوريين، الاتنين كانوا أعضاء في الكلان.
اللي قال عنها جارفي إنها الحكومة الحقيقية للولايات المتحدة الأمريكية، وتعرض لانتقاد شديد بسبب مقابلته لإدوارد كلارك ال imperial wizard.
تقول لي: إيه ده هو قابل دامبلدور؟
عزيزي، كلارك ده زعيم المنظمة، وجارفي قابله باعتبار إنه عايز دولة مستقلة للسود وكلارك عايز دولة مستقلة للبيض فها (بصوت الفنان عادل إمام).
وفي أوماها الوضع كان في غاية الصعوبة، زي ما انت عارف يا عزيزي، مصر مش تونس وأوماها مش فيلاديلفيا، إيرل حاول يعرض خدماته كنجار وحاول يأكل عيلته اللي كبرت وبقت مكونة من أب وأم و٣ أطفال، عن طريق تربية الفراخ وصيد الحيوانات.
وإلى جانب الشغل كان بيحاول يجذب أعضاء جدد للمنظمة، ولكن عدد السود القليل في أوماها كان بيخليه يسافر لمسافات طويلة للبحث عن أعضاء جدد، ونشاطه وحماسه ده لفت إليه أنظار الكلان اللي قررت إن الراجل ده زودها ومحتاج يتأدب.
سنة ١٩٢٥ أثناء سفر إيرل في إحدى رحلاته التنظيمية خارج أوماها، لويز الحامل في طفلها الرابع صحيت في نص الليل على صوت خبط وترزيع على الباب، الأطفال قاموا مفزوعين وهي فتحت الباب لقت مجموعة من الناس لابسين أبيض في ابيض.
خير اللهم اجعله خير، بتحلم بالجنة؟
جنة إيه يا عزيزي، لويز مكانتش بتحلم، واللي لابسين أبيض في ابيض دول مش ملايكة، دول زبانية الجحيم.
عشرات من أعضاء الكوكلوكس كلان، راكبين خيولهم وشايلين مشاعل ومولعين في صليب عملاق لإثارة الرعب في قلب أي حد بيتفرج، ومغطيين وشوشهم عشان محدش يعرفهم أو

ينتقم منهم، بيسألوها عن جوزها وبيطلبوا منها تسلمه بهدوء عشان متحصلش مشاكل.
الأطفال شافوا المنظر اترعبوا على امهم، اللي وقفت زي الوتد وقالت لهم بمنتهى الثقة إن جوزها مش موجود، فقالوا لها إن جوزها بتاع مشاكل وانهم غير مرحب بيهم في المنطقة، وقبل ما يمشوا كسروا إزاز البيت بكعوب بنادقهم ككارت إرهاب، فحمدت ربنا إن جوزها مكنش موجود، لإنها أدركت إنه لو كان موجود كان اتكل على الله.
الكلان عبارة عن كتيبة إعدام مش وفد مفاوضات، وقوف لويز في وشهم بكل ثقة كان موقف ميتنسيش للأولاد اللي حسوا مش بس بالفخر بأمهم، ولكن كمان بالقوة، القوة اللي ورثتها لابنها الرابع اللي خلفته بعدها بشهور، ومكنتش تعرف إنه هيبقى واحد من أهم الشخصيات في القرن العشرين.

ميلاد الكساد وازدهار العنصرية

بعد ولادة مالكوم العيلة رجعت تاني للتنقل، سافروا من ميلووكي لإنديانا لحد ما استقروا في مدينة لانسينج في ميتشيجان، وهناك إيرل المتقمص لشخصية ميدو مشاكل، اشترى بيت في منطقة سكنية مملوكة حصريًا للبيض.

طلبوا من إيرل يعزل هو وعياله ولكنه رفض، ودخل في صراع قانوني لإثبات أحقيته في البيت اللي اشتراه من عرقه وشقاه بصورة قانونية، واستمر في جهود تنظيم السود، وعلى عكس براسكا ولاية ميتشيجان شهدت نجاح تنظيمي بسبب أعداد السود العالية في ديترويت.

لكن النجاح ده مكنش في البيت، إيرل ولويز كانوا في حالة خناق مستمر، هو مكملش تعليمه وهي متعلمة ومثقفة وملهاش في الذكورية، وهو على العكس عصبي وعنيد وكمان عنيف بيمد إيده عليها وبيضربها.

تقول لي: معقول الرجالة الأمريكان بيضربوا مراتاتهم؟

نعم يا عزيزي، ضرب الراجل لمراته كان منتشر حتى في أمريكا، ومبقاش جريمة لحد بعد ما الستات حصلوا على الحق في التصويت، بإقرار التعديل ال١٩ للدستور سنة ١٩٢٠.

ولذلك العنف الأسري كان منتشر، وإيرل كان مش بس بيضرب مراته لكن كمان بيضرب عياله

ما عدا مالكوم ابنه السابع والمفضل، يمكن بسبب تفاؤله بالرقم ويمكن لمجرد إنه آخر العنقود، الأكيد إنه مكنش بيضربه وكان بياخده معاه اجتماعات المنظمة.

فاتحفر في ذهنه مشهد باباه وأصحابه في نهاية كل اجتماع وهم بيقفوا ويهتفوا:

UP UP YOU MIGHTY RACE FOR YOU CAN ACHIEVE WHAT YOU WILL!

ولكن الحقيقة كانت مختلفة عن الشعارات، سنة ١٩٢٩ ومالكوم عمره ٤ سنين، صحي هو واخواته في نص الليل على صوت انفجار مرعب، نزلوا جري لقوا البيت بيولع والدخان طالع من كل حتة، أعضاء الكلان ولعوا في البيت ورموا عليه قنابل مولوتوف.

مش عايزين تعزلوا بالذوق أديكم هتعزلوا بالعافية، إيرل ولويز اللي خلفوا ابنهم الخامس ريجينالد شالوا ولادهم وطلعوهم برة زي المجانين، واتصلوا بالمطافي اللي مبعتتش ولا عربية لحد ما البيت ولع قدام عينيهم، في تذكرة لكل أسود إن الاستسلام هو الحل الأسلم، ولكن إيرل مبيستسلمش.

بعد الحريق راح يصرف وثيقة التأمين اللي كان عاملها على البيت، لقى إنه اتأخر في دفع اشتراك آخر شهر

فدفعه من غير ما يقول إن البيت ولع، ورجع تاني بلغ بعدها بيوم، الشركة بلغت البوليس وعرفت إن إيرل خبى تاريخ الحريق.

فالبوليس شك إن هو اللي ولع في البيت وحبسوه على ذمة التحقيق، ياخوانا ما لو هو اللي مولع في البيت كان دفع التأمين قبل ما يولع مش بعدها، لمدة أربع أشهر إيرل الضحية اتعامل

كجاني لحد ما التحقيق اتحفظ لعدم كفاية الأدلة وأفرجوا عنه.
ولكن بعد ما سمعته باظت في نظر السود والبيض، اللي شافوه مش بس بتاع مشاكل لكن كمان نصاب، وبما إن المشاكل مبتجيش فرادى...
صعود نجم ماركوس جارفي، لفت انتباه ضابط شاب في ال Bureau of investigation J Edgar Hoover باسم، FBI ال بقى كده بعد اللي التحقيقات مكتب أو.
هوفر حط عينه على جارفي وابتدا يجند مخبرين ويزرعهم في فروع المنظمة، اللي شافها منظمة تحريضية وهدفها تعمل مشاكل، وابتدا يجهز لقضية ضد جارفي متخرش المية.
لكن المشكلة إن جارفي اللي المخبرين كانوا محاوطينه في كل حتة، مارتكبش أي فعل غير قانوني، فهوفر بدأ يدور في سجلات شركة البلاك ستار، وقدر يثبت إن في تلاعب تم في السجلات، ورفع قضية تزوير على جارفي اللي دخل السجن سنة ١٩٢٥.
ولكن اتباعه فضلوا متمسكين بأمل الإفراج عنه، لدرجة إن إيرل بعت جواب لرئيس الجمهورية بيطالبه بالعفو عن ماركوس المظلوم، وبالفعل سنة ١٩٢٧ في محاولة للقضاء على الحركة عن طريق إبعاد مؤسسها، الرئيس الأمريكي كالفن كوليدج أصدر أمر بالعفو عن ماركوس، لكن بشرط ترحيله إلى جامايكا كأجنبي غير مرحب بيه على الأرض الأمريكية.
ورغم إن جارفي استمر في نشاطه وفي الدعوة لتحرير السود في أمريكا، ولف العالم وألقى خطاب أمام The League of Nations أو عصبة الأمم، اللي أصبحت بعد الحرب العالمية التانية الأمم المتحدة.
إلا إن بسبب ترحيله الحركة داخل أمريكا ضعفت، ومعنويات أعضائها بقت في الأرض، والوضع المادي اتدهور لدرجة إن المقر الرئيسي اتباع في مزاد، لكن إيرل استمر على العهد. متوقفش عن الدعوة لمذهب جارفي ولا بطل يعلم ولاده أهم مبادئه، فإدى كل واحد فيهم حتة في الجنينة عشان يبقى مسؤول عنها ويزرعها، فيتعلم المسؤولية وأهمية إنه يعتمد على نفسه من سن صغيرة، وده درس كان في غاية الأهمية في نهاية العشرينيات.
تقول لي: إشمعنى نهاية العشرينيات؟
لإن العشرينيات نفسها كانت فترة ذهبية في الاقتصاد الأمريكي، لدرجة إن البعض بيطلق عليها The Roaring Twenties، إجمالي الثروة اتضاعف من سنة ١٩٢٠ ل١٩٢٩، وده خلق حالة من الإقبال التاريخي على سوق الأسهم.
أي حد معاه باقي خمسة جنيه في جيبه بقى wolf of wall street وبيشتري أسهم، فالأسهم فضل سعرها يعلى بصورة مبتعكسش الوضع الحقيقي للاقتصاد، وده أدى لواحدة من أسوأ الكوارث الاقتصادية في التاريخ الحديث.
يعني من أغسطس سنة ١٩٢١ لسبتمبر ١٩٢٢ مؤشر Dow تضاعف حوالي ٦ مرات، لدرجة إن بعض المحللين توقعوا إن الأسعار مش هتنزل عن المستوى ده لفترة طويلة، لكن زي ما انت عارف يا عزيزي، الدوام لله وحده.
الناس بقت تشتري أسهم عشان خايفين تفوتهم فرصة الثراء السريع حتى لو معهمش فلوس، كانوا يدفعوا جزء ويستلفوا الباقي.
إحدى القصص الشهيرة اللي بتعبر عن مدى انتشار حالة الاستثمار في البورصة، بتقول إن رجل الأعمال والسياسي وكبير عائلة كينيدي: جوزيف كينيدي، كان بيلمع جزمته في مرة

فلقى الراجل اللي بيلمعّاله بيديله نصايح في البورصة، فكينيدي حس إن في bubble أو زيادة أسعار بسبب إقبال الناس مش بسبب تحسن في الوضع المالي للشركات، وإنها مسألة وقت قبل ما الفقاعة دي تفرقع والسوق ينهار، فباع كل أسهمه وخلع قبل ما يبيع هدومه.
واللي زود من الأزمة حدوث حالة من الركود الزراعي، زي أي دورة اقتصادية، محصول الطلب عليه بيزيد فسعره يزيد، فالعرض بتاعه يزيد لدرجة إن العرض يبقى أكبر من الطلب، فالسوق يتملي والسعر ينزل والمزارعين تتخرب بيوتهم.
وطبعًا في الاقتصاد مفيش حد بيتخرب بيته لوحده، لو قطاع عطس القطاع اللي جنبه يجيله برد،
فمعدل البطالة زاد، وبقى في حالة من التشاؤم العام فيما يخص الاقتصاد لأول مرة من بداية العشرينيات، وفي سبيل وقف حالة الشراء الجنوني للأسهم، وفي محاولة للسيطرة على الفقاعة عشان متفرقعش في وشهم، تم رفع سعر الفايدة واحد في المية في البنوك.
ورفع سعر الفايدة ده عادة بيبقى محاولة للسيطرة على التضخم، كأن الحكومة بتقول للمستثمر كفاية شراء وتعالى حط فلوسك عندنا، ولكن السوق مش عبيط، الناس فهمت الرسالة على إنها تحذير من الحكومة إن في مشكلة في الاقتصاد.
فالناس بدأت تسحب فلوسها من البنوك ويبيعوا أسهمهم في البورصة، ولما الكمية المطروحة للبيع زادت سعرها قل، فالناس خافت تخسر فلوسها وابتدت تبيع أكتر، فسعر الأسهم نزل أكتر وأكتر، لحد يوم ٢٩ أكتوبر المعروف بيوم الخميس الأسود، المستثمرين اتصابوا بحالة من الهلع فابتدوا يبيعوا الأسهم بصورة جنونية، أدت لل stock market crash أو وقوع البورصة.
أمريكا دخلت في ال great depression أو كما يسمونه الكساد العظيم، ودخل معاها العالم كله.
وزي ما الكساد ده أدى لصعود النازية في ألمانيا، الكساد أدى لصعود العنصرية في أمريكا، وزود شعبية الكوكلوكس كلان، اللي ظهرت تحت اسم Black Legion في مدينة لانسينج.
وصعود نجم الكلان خلى لويز تخاف على إيرل أكتر من أي وقت فات، وابتدت تحذره من خطورة نشاطه الزيادة تحت شعار عايزين نربي العيال، ولكن إيرل كان شعاره يا جبل ما يهزك ريح.
وفي أحد أيام شهر سبتمبر سنة ١٩٣١، إيرل لبس واستعد للنزول، فاتفاجئ بلويز بتصرخ وبتطلب منه عدم النزول، وقالتله if you go, you will never come back، لو نزلت مش هترجع، فقال لها: ليه هو انا رايح العراق؟ ده هو مشوار صغير وراجع على طول، ونزل إيرل.
وبعد فترة طويلة لقت الباب بيخبط، فتحت ملقتش إيرل، ولقت بداله ضابط شرطة بيبلغها إن جوزها عمل حادثة وداسته عربية، وبعد فترة قصيرة في المستشفى توفى إيرل وساب وراه أسرة مكونة من زوجة وسبع أطفال.
الحادثة بعض الشهود أكدوا إنها كانت غير مقصودة، ولكن مالكوم صدق الإشاعات اللي بتقول إن الكوكلوكس كلان هي اللي قتلت باباه، رغم إن الكلان مأعلنتش مسؤوليتها ورغم شهادة بعض الشهود اللي كانوا موجودين وقت الحادثة.

وعلى قد ما سبب الوفاة شيء مهم ومؤثر لطفل متعلق بباباه زي مالكوم، لويز مكنش فارق معاها سؤال مات ازاي على قد ما كان فارق معاها سؤال هيعيشوا ازاي؟
لحسن الحظ إيرل كان مدرك خطورة نشاطه ودعوته لتحرير السود، ولذلك عمل بوليصتين للتأمين على حياته واحدة بألف دولار والتانية بعشر آلاف دولار، ولكن المشكلة إن أول بوليصة فلوسها طارت على مصاريف العزا، أهله وأولاده من مراته الأولانية جم من جورجيا وخدوا الجثمان عشان يدفنوه في بلده الأم.
فتقول لي: مش مشكلة، خير ربنا كتير ولسه معانا ١٠ آلاف دولار تانيين، المفاجأة يا عزيزي، إن لويز اكتشفت إن معهاش لا عشر آلاف دولار ولا ١٠ دولار حتى، رغم إن البوليصة بتغطي حالات الوفاة بالحوادث شركة التأمين قررت متدفعش الفلوس، وتتجاهل التقرير الطبي بتاع الحادثة وقالت إن إيرل انتحر، والبوليصة بتدفع في حالات الحوادث، لكن في الانتحار الشركة بترفع شعار عاش خاين ومات كافر.
تقول لي: هي البلد دي مفيهاش محامي يقول عيب اللي بيحصل ده ويرفعلهم قضية؟! في محامين يا عزيزي، بس دول عيلة سوداء فقيرة مش لاقيين ياكلوا.
لويز بقت في موقف لا تحسد عليه، اترملت وهي عندها ٣٤ سنة ومعاها ٧ عيال محتاجة تأكلهم وتشربهم وتربيهم، فبقت ماشية تكلم نفسها وتقول: أنا مليش لا حبيب ولا قريب ولا غريب ولا حتى عم سامح.
لكن لويز اللي تولت لفترة منصب سكرتيرة منظمة ال NIA تحت قيادة جارفي، شخصيتها كانت قوية ومتعرفش الاستسلام، فقررت إن نظام البيت هيمشي بحزم وانضباط زي ما كان إيرل عايش بالضبط، لكن أولادها باستثناء ويلفرد اللي بقى راجل البيت بعد وفاة باباه، رفعوا شعار إن غاب القط العب يا فار.
مالكوم ابتدا يكبر وتكبر معاه صفات الطفولة المشردة، اكتشف الشارع لأول مرة في حياته ولقى نفسه فيه، ولما كان يعمل بلوة ومامته تيجي تضربه، كان على عكس اخواته ميتكسفش من نفسه ويتقبل عقابه في صمت؟
لا، كان يزعق ويصرخ ويصحي الجيران ويلم عليها أمة لا إله إلا الله، لدرجة إنها كانت بتضطر تسيبه عشان الفضيحة، وده خلاه يكتشف لأول مرة قدرته على استخدام لسانه للخروج من أي مشكلة.
ولكن في مشاكل مبتتحلش باللسان، لويز كانت بتعاني ماديًّا ومش ملاحقة على المصاريف، وفي نفس الوقت رافضة المساعدة من ال social welfare أو مكتب التضامن الاجتماعي عشان مش عايزة ولادها يحسوا إنهم شحاتين باعتبار إن الشكوى لغير الله مذلة.
كانت بتستغل إنها بيضا وبتقدم على أي وكل شغلانة تلاقيها، لكنهم أول ما بيكتشفوا إنها من أصل أسود كانوا بيرفدوها على طول، وده خلاها حرفيًّا مش قادرة تأكل ولادها، لدرجة أنها ابتدت تلم ورق الشجر من الشارع وتسخنه في ميه مغلية وتفهمهم إنها عملت لهم شوربة.
مالكوم اليتيم عرف الجوع لأول مرة في حياته، وعرف معاه السرقة.
بقى بيسرق فاكهة من المحلات ومن الجناين اللي حواليهم، ومكنش بيحس بالذنب إطلاقًا، وقال:
?What would happen if I take a chicken from a truck full of chicken

طبق كشري مليان، خدت منه معلقة، هتحس بحاجة؟ والله ما هتحس بحاجة!
مالكوم ابتدا يهمل دروسه وميروحش المدرسة، ويفضل صايع طول اليوم في الشارع ومعاه فيلبرت أخوه الأكبر وأقرب واحد له في السن، اتنين أطفال في عمر الزهور أقرب للملايكة.
تسألني: ملايكة الرحمة؟
لا يا عزيزي، ملايكة العذاب!
مالكوم وفيلبرت كانوا شياطين، يلعبوا شوية ويعملوا مقالب في جيرانهم شوية، ويصطادوا شوية ويسرقوا شوية، تحت شعار كل اللي يجيبه ربنا كويس.
الأطفال أحباب الله بجد، ومامته بقت لا قادرة عليه ولا قادرة على اخواته، ومن شدة الضغط اللي كانت فيه ابتدت تنهار نفسيًا وعصبيًا، وبقت تقعد بالساعات سرحانة يكلموها ومتردش عليهم، أو تمشي تكلم نفسها.
لويز المتعلمة المثقفة اللي طول عمرها بتقول للسود، ارفعوا راسكم فوق واتمسكوا بكرامتكم، مكنش سهل عليها أبدًا تتحط في الموقف ده.
وتدهور حالتها ده ورفضها للمساعدات الحكومية، خلى مكتب التضامن يهددها إنها لو معرفتش تاخد بالها من ولادها، هيخدوهم ويحطوهم في بيوت تبني أو foster homes، بقم مش فاهمين الست دي بتتأمر على إيه؟ وبترفض مساعدتهم إزاي؟
ده إنتي مش لاقية تاكلي يا حجة!
ابتدوا يحاولوا يتكلموا مع الأطفال كل واحد لوحده، عشان ياخدوا منهم شهادات بسوء رعاية الأم ويقلبوهم عليها، لكن لويز رفضت الاستسلام، وفي عز فقرها رفضت التخلي عن أي واحد من ولادها،
كانت مقتنعة إن الاحتفاظ بالبيت وبالتماسك الأسري في حد ذاته إنجاز.
لكنها مكانتش تعرف إن مالكوم، هيبقى صاحب أول مسمار يتدق في نعش العائلة.

الطريق الحتمي للضياع

سنة ١٩٣٧ مالكوم اتمسك وهو بيسرق، سرقة عبيطة من سرقاته بتاعة جناين الفاكهة والسوبرماركت، ولكنها سرقة متكررة، وكمان متوقعة نظرًا إنه قاعد طول النهار في الشارع لدرجة إنه اترفد من المدرسة.

فمكتب التضامن الاجتماعي نقلوه لأحد بيوت الرعاية اللي جنب بيته، عايش فيهم راجل وست مسنين فرحوا بيه وخدوا بالهم منه، وهو على قد ما زعل إنه فارق اخواته، على قد ما انبسط إنه أخيرًا بقى عايش في بيت فيه أكل، وأنه خلاص مش هينام من غير عشا.

ولويز على قد ما زعلت على مالكوم، على قد ما أولادها ابتدوا يلاحظوا تحسن ملحوظ في حالتها النفسية، بعد حوالي ست سنين من وفاة جوزها ظهر في حياتها راجل تاني، راجل حبته وابتدت تحب معاه الدنيا من أول وجديد.

رجعت تضحك وتهتم بنفسها ومظهرها، وولادها حسوا إن وجود شريك حياة خفف من مصاعبها، وخلاها تتفائل إن اللي جاي أحلى، وفي تطور طبيعي للحاجة الساقعة، لويز حملت منه وخلفت طفلها الثامن سنة ١٩٣٨.

لكن المفاجأة إن العريس المنتظر جاله fear of commitment أو خوف من الارتباط، حس إنه بيتدبس في أسرة مكونة من ٩ أفراد، فسابها وساب ابنه وساب البلد كلها، ورفع شعار انتظروني أنا مش جاي.

وكأن دي القشة اللي قسمت ظهر البعير، لويز انتكست انتكاسة شديدة، بقت تقعد بالساعات متردش على ولادها اللي مبقوش لاقيين حد يأكلهم أو يربيهم، وتنزل تتمشى في الشارع حافية على الثلج مش عارفة هي مين؟ ولا رايحة فين؟ بصورة خلتها خطر على أولادها وعلى نفسها.

فتم نقلها لمستشفى Kalamazoo للأمراض العقلية، وبكده مالكوم فقد الأم بعد ٧ سنين من وفاة الأب، واخواته الصغيرين نقلوهم على دور الرعاية باستثناء ويلفرد وهيلدا الكبار نسبيًا، انهارت الأسرة والإخوة اتفرقوا.

غياب الأم شال الرادع الأخير بين مالكوم وبين الضياع، فبقى تقريبًا عايش في الشارع مقضي يومه في السرقة والتدخين والقعدة مع أصحابه، وخد أول خطوة في طريق اللي يروح ميرجعش، وبالفعل تم القبض عليه وهو بيسرق وبقى على موعد مع الإصلاحية.

لكن يشاء ربنا يبعتله فرصة تانية لإنقاذه من الضياع، وبدل ما يروح الإصلاحية يروح يقعد في بيت تأهيلي للأطفال مثيري الشغب اللي زي حالاته، وتم تسجيله في مدرسة تانية أحسن من اللي قبلها أغلب طلابها من البيض.

مالكوم فهم إن دي فرصة أخيرة مفيش بعدها فرص تانية، فابتدا يهتم بمذاكرته وبالأنشطة الطلابية، المدرسة كانت فرصة هايلة لنمو شخصيته وتطورها، فظهرت أولى علامات الزعامة وقدرته على جذب التابعين.

تم انتخابه ال في دائم عضو وبقى، بتاعته السنة طلاب اتحاد رئيس أو، class president debate team.

تقول لي: إيه ده كان بيلعب مع الكراش في نفس الفريق؟
عزيزي، debate teamال، date مش debate ده اللي هو فريق المناظرات ودي من أهم الأنشطة الطلابية في المدارس الأمريكية، لإنها بتعلم الطلبة القدرة على الجدل واستخدام الحجج وإيجاد نقط الضعف في حجج الفريق المنافس.
ودي كلها مميزات بتحسن من مهاراتهم اللغوية وقدرتهم على التواصل، عشان كده ده النشاط المفضل للأطفال اللي حابين يشاركوا في السياسة أو الخدمة العامة، بالإضافة لاشتراكه في فريق كرة السلة بسبب طوله، الراجل الله أكبر عليه ١٩٣ سم، يعني هاتها من الشبكة.
لكنه عمره ما كان متميز رياضيًا، على عكس اخوه فيلبرت، اللي أظهر موهبة طاغية في الملاكمة وبدأ ينافس في بطولات المنطقة، ومالكوم كان بيعتبر فيلبرت صديقه الصدوق وفي نفس الوقت عدوه اللدود مينفعش يبقى شاطر في حاجة هو مش شاطر فيها.
فقرر يلعب ملاكمة هو كمان، تقول لي: وإيه بس اللي يخلي أطفال في عمر الزهور يلعبوا لعبة عنيفة زي الملاكمة؟ ما يلعبوا جولف أو يلعبوا تنس؟
عزيزي، هو أنا جاي أحكيلك قصة واحد من القطامية هايتس؟
الملاكمة في الوقت ده كانت الرياضة المفضلة للسود، بعد هزيمة الملاكم الأسود جو لويس للملاكم الأبيض جيمس برادوك، وحصوله على لقب بطولة العالم للوزن الثقيل سنة ١٩٣٧، في حدث كان أشبه بالعيد القومي للسود، اللي كتير منهم حس إن حلبة الملاكمة هي المكان الوحيد اللي ممكن يضربوا فيه البيض، من غير ما يتحبسوا أو يتضربوا بالنار.
ده خلى شعبية الملاكمة بقت في السما، ولما فيلبرت أظهر موهبة في الملاكمة، مالكوم قال مبدهاش وقرر يلعب ملاكمة، وفي أول ماتش ليه كل علقة موت وخسر خسارة فادحة، وحس إن منظره بقى عرة قدام ريجينالد أخوه الصغير اللي طول عمره بيبصله على إنه قدوة.
الهزيمة زعلته ولكن مكسرتوش، قال مش مشكلة، حصل خير، الرياضة مكسب وخسارة، أهم حاجة الاستمرار، فشغل أغنية فيلم النمر الأسود، وبدأ يتمرن بمنتهى الجدية استعدادًا لمباراة رد الاعتبار.
جدية مالكوم خلت زمايله في حالة ترقب، وبقم متشوقين يشوفوه بينتقم من هزيمته السابقة، وفي الموعد المحدد للنزال، الحكم صفر من هنا، ومالكوم خد الضربة القاضية من هنا.
وقع على الأرض وفقد الوعي، وقرر ميلعبش اللعبة دي تاني أبدًا، بعد ما أدرك أنها مش لعبته، وإن قوته الحقيقية مش في الإيد، ولكن في اللسان.
تقول لي: طب وكان لاقي وقت يذاكر وسط الstudent activities دي؟
أنا واحد صاحبي دخل اتحاد الطلبة مخرجش منه غير وهو متجوز، اللجان ياما وفقت بين الطلبة في الحلال وشنط رمضان ياما فتحت بيوت.
الحقيقة يا عزيزي، مالكوم مش بس كان بيذاكر ولكن كمان كان من المتفوقين، الاستقرار اللي لقاه في بيته الجديد، بالإضافة للاهتمام اللي لقاه في المدرسة، وبالأخص من مدرس الإنجليزي اللي شاف فيه موهبة وحاول ينميها، ساعدوه على النجاح اجتماعيًا وأكاديميًا، وده خلاه يشيل الشارع من دماغه ويبدأ يبقى عنده طموح ويفكر في مستقبله.
وزي ما انت عارف يا عزيزي، Life is unfair، مالكوم نسي إن مستقبله محكوم بلون بشرته، ولكن الحياة خير منبه.

في واحدة من حصص اللغة الإنجليزية، مدرسه المفضل عمل فيها كارير كوتش وسآل الطلبة يحبوا يطلعوا إيه لما يكبروا، فكل واحد فيهم جاوب، اللي عايز يبقى ضابط واللي عايز يبقى دكتور واللي عايز يبقى إنفلونسر، ولما جه الدور على مالكوم المشهور بموهبته في البلاغة والخطابة، قال إنه عايز يطلع محامي.

فالمدرس قال له: محامي إيه يابني إحنا هنهرج؟ إنت فاكر نفسك يوسف بك وهبي؟! لازم تفكر بواقعية، واحد أسود زيك صعب يبقى محامي، ولكن ممكن يبقى صنايعي شاطر، فنصحه يتعلم حرفة زي النجارة عشان ربنا يكرمه ويبقى كسيب.

مالكوم حس إن السما نزلت على الأرض، وسمع صوت أحلامه وهي بتتكسر، وابتدا ياخد باله لأول مرة من حقيقة عاش بيتجاهلها، وهي إن لون بشرته هو اللي هيحدد مستقبله، مش موهبته ومش جهده، لأ بشرته.

وحس لأول مرة بمرارة كلمة يحس وابتدا، منها باله ومبياخدش بيسمعها كان اللي Nigger إنه حاسس فبقى، لقدام يطلع حاول مهما لتحت شداه هتفضل، رقبته في مربوطة سلسلة إنها Ella افتكر وهنا، بحالها البلد ولا المدرسة طايق مش أخته من باباه اللي شافها في الجنازة وقالت له يبقى ييجي يزورها، وحجز تذكرة أوتوبيس لأول مرة في حياته واتجه إلى بوسطن.

إيلا هي الابنة الكبرى من ولاد إيرل ليتل، اللي كان بيتنبأ لها بالنبوغ وبياخدها معاه اجتماعات ال UNI، ولكن إيلا لما كبرت اتجهت للسرقة، سرقة الهدوم وبيعها.

فقدرت تعمل قرشين كويسين، خاصة بعد ما اتجوزت واطلقت مرتين وخدت فلوس في تسوية الطلاق خلوا الزهر لعب معاها، اللهم بارك... إنها حقًا عائلة محترمة!

ولكن إيلا رغم ميولها الإجرامية كانت جدعة وبنت بلد، لما ابتدا يبقى معاها فلوس اشترت عقارات، وبدأت تدعو قرايبها من جورجيا عشان يهربوا من جحيم الجنوب وييجوا يبدأوا حياة جديدة في الشمال، تحت شعار البخت مال من المشي الشمال!

تقول لي: وإيه الفرق ما كلها بلاد ربنا؟

يا عزيزي، الجنوب لسه طالع من حرب أهلية عشان مكنوش عايزين يحرروا العبيد، إنما في الشمال الوضع أرحم نسبيًا، عشان كده لما مالكوم وصل بوسطن حيث هارفارد و MIT مبقاش مصدق نفسه، وإيلا رحبت به وشالته من ع الأرض شيل.

وفرق السن بينهم خلاها تلعب دور الأم وتحاول تاخد بالها منه، فقضى معاها إجازة صيف في منتهى الجمال، انبهر فيها ببوسطن وبدرجة الاندماج الأعلى بين البيض والسود، اللي بتبان بوجه خاص في نهاية الأسبوع في حفلات قاعات الرقص الصاخبة، اللي بتشمل في بعض الأحيان حضور من البيض والسود في نفس الوقت.

مالكوم أبهرته أضواء المدينة، ولما رجع لانسينج تاني في نهاية إجازة الصيف، ابتدا يشوف العلاقة بين البيض والسود في الجنوب، اللي طول عمره بيبصلها كأمر مسلم بيه، فحس إنه ملوش عيش في البلد دي وقرر يروح يقعد مع إيلا في بوسطن.

وإيلا رحبت بيه لتاني مرة، وبدأت تفكر إزاي ممكن توفر له ظروف تساعده يطلع أحسن ما عنده، فاشتركت له في مدرسة خاصة على أمل إنه يتعلم أحسن تعليم، ولكن لما مالكوم راح المدرسة ولقى إنها مدرسة ولاد بس مفيهاش بنات، قال لأ على الله حكايتكم، فساب المدرسة وساب معاها التعليم كله.

إيلا حاولت تقنعه يكمل تعليمه، لكنه كان حاسس إنه سواء اتعلم آو ماتعلمش مش هتفرق في حاجة، ورفع شعار التعليم في الراس مش في الكراس، وبدأ يدور على شغل ويستكشف المدينة.

وفي إحدى صالات البلياردو اللي كانت منتشرة لفترة طويلة في أمريكا، اتعرف على أول صديق له في الغربة: مالكوم جارفيس، واحد بلدياته من لانسينج عايش في بوسطن.

مالكوم أو شورتي زي ما كانوا بيقولوا له كان شغال في صالة البلياردو، ولما عرف إن مالكوم جديد في المنطقة عمل زي أدريانو في فيلم همام في أمستردام وبدأ يساعده يدور على شغل، وفي أحد الأيام شورتي قال له: جبتلك شغلانة لقطة. هتطلعك على أول سلم المجد، تقول لي: إيه هيشغله في سويفل؟

لا يا عزيزي، شورتي جابله شغلانة في قاعة حفلات كماسح أحذية، لأن الراجل اللي شغال هناك كسب في ال numbers وقدم استقالته.

تقول لي: وإيه النامبرز دي؟

دي حاجة عاملة كده زي اليانصيب أو الرهانات، وكانت منتشرة انتشار رهيب وسط السود الفقراء اللي بيحلموا بالثراء السريع، فكانوا بيراهنوا كل يوم بمبلغ معين ويختاروا ٣ أرقام، ويستنوا الجرنان تاني يوم عشان يشوفوا البورصة قفلت على كام، ولو الرقم اللي اخترته كان نفس آخر ٣ أرقام من حساب البورصة يبقى ألف مبروك كسبت معانا.

الرهانات دي طبعًا خارج القانون، ولكنها في نفس الوقت تحت عين جهات تنفيذ القانون أو البوليس، وفي ما يسموا بال runners اللي بياخدوا الرهانات ويلموا الفلوس من الناس، كل واحد من دول بياخد ١٠٪ من الفلوس اللي بيلمها.

وبعد كده بيسلم الباقي لمدير المنطقة، اللي بياخد ٥٪ من إجمالي الفلوس اللي بتجيله من الرانرز اللي تحته، وبعد كده يسلم الفلوس للمحطة الأخيرة، ال bankers.

ودول اللي بياخدوا أكبر حتة من التورتة، بعد ما بيدفعوا فلوس الرهانات الكسبانة، وبيدفعوا معاها فلوس الشاي للبوليس عشان يسيبهم شغالين، تحت شعار شخلل عشان تعدي يا بلدينا.

والراجل اللي كان بيمسح جزم في القاعة، ربنا كرمه وكسب ومكانه فضي، وبما إن مالكوم مش خريج جامعة أمريكية ومعهوش ثانوية عامة حتى حس إنها فرصة هايلة، من ناحية هيبقى راجل كسيب ومكفي مصاريفه، ومن ناحية تانية هيبقى وسط الحياة الليلية اللي بتجذبه زي ما الصاعق بيجذب الناموس.

وفي أول أيامه كماسح أحذية قد الدنيا الماسح القديم لعب دور مدير الإتش آر وعمله One on one coaching session، وقال له: في الشغلانة دي لازم تبقى حرك ولسانك حلو، ولازم كمان تتعلم ازاي تعمل فلوس منها جنب مرتبك.

القاعة بتعمل سهرات راقصة على أنغام الموسيقى، في نهاية الحفلة لازم تبقى جاهز ومعاك شوية معاك لو كمان سلام ويا، محتاجينها هيبقوا الرجالة عشان ذكرية أوقية أو rubbers reefers أو سجاير ماريجوانا تبيعهم لعازفي الموسيقى أو للعايز بوجه عام.

تقول لي: يا لهوي هيبيع حشيش وأوقية ذكرية والولد عنده ١٦ سنة؟

وهو يعني شغال في مركز مجدي يعقوب؟ هو ده ال eco system اللي حواليه وهي دي الحياة اللي اختارها.

ومن أول يوم ليه في الشغل مالكوم سمع نصايح المينتور بتاعه بالحرف، اللي عايز مخدرات يجيبله، اللي عايز ستات يقوله يروح فين، اللي عايز كندومز يديله. تقول لي: إيه الإجرام ده؟ عزيزي، واحد شغال في كباريه هيطلع إيه يعني؟ محمد صلاح؟ واحدة واحدة مالكوم اتقن الشغلانة والدنيا مشيت معاه حلاوة، المزيكا والرقص والأضواء شدوه، وبقى عامل زي اللي أول مرة يروح الملاهي، فبقى بياخد المرتب ويسهر بيه، وبعد فترة ساب الشغل في القاعة، وراح اشتغل بياع في صيدلية بتبيع حاجة ساقعة وآيس كريم.

فبقى بيشتغل الصبح ويروح يسهر بالليل، وواحدة واحدة بقى خبير بالحياة الليلية في بوسطن، وبقى عارف أحسن أماكن السهر، اللي كان بيروحها مع شورتي يتعرف فيها على بنات ويرقص فيها للصبح، وواحدة من البنات دول كانت صوفي، اللي ساهمت في تغيير حياته إلى الأبد.

في إحدى الليالي اللي مالكوم كان مولع فيها الدنيا على ال dance floor، قابل بنت زي القمر، بيضا وشقرا وكل العيون عليها، اتعرف عليها وعاش معاها قصة حب عنيفة، خلته كسب احترام سود كتير حسوا إنه أكيد شخصية مهمة، بما إنه نال إعجاب واحدة بيضا وجميلة وكمان غنية زي صوفي.

ورغم نجاح صوفي في نيل إعجاب أصحابه، إلا إنها فشلت فشل ذريع في نيل إعجاب أخته، اللي حست إن أخوها الصغير بيضيع؛ مش كفاية مكملتش تعليمك وكل يوم سهر لحد الصبح، كمان رايح تحب واحدة بيضا وأكبر منك كمان؟! الله يرحمك يابا، تعالى شوف ابنك اللي جايبلنا العار!

ولكنها رغم معارضتها فشلت في إقناعه إنه يقطع علاقته بيها، لإنه كان شايف إن إيلا نفسها مش رئيسة مجلس إدارة البنك الأهلي، هي كمان حياتها منيلة ولذلك ملهاش حق تلعب دور الفنان محمد صبحي في حياته.

فاستمر في علاقته بصوفي، وابتدا تغيير شخصيته يظهر على شكله وملامحه، وبما إنه بقى زائر دائم لقاعات الرقص والحفلات، قرر يشتري بدلة، وبما إنه معهوش فلوسها اشتراها بالقسط، رغم إنه باباه ومامته ياما حذروه هو واخواته من الدين، وياما قالوا لهم إن الديون هي أول خطوة على طريق الاستعباد.

لكن مالكوم مكنش فارق معاه حاجة غير متعته الشخصية، فاشترى البدلة، لكنها مكنتش كفاية، كشاب أسود شعره أكرت حس إنه لازم يعمل كونك.

تقول لي: وإيه الكونك ده؟

الكونك ده خلطة كيماوية حارقة بتتحط على الشعر عشان تفرده، السود وصل بيهم كره الذات ومحاولة تقليد البيض، لدرجة إنهم بقم بيحطوا خلطة حارقة في غاية الألم على شعرهم عشان يفردوه زي البيض، ومنهم ابن الناشطين السود إيرل ولويز، اللي حس إن الروشنة متكملش من غيرها.

شكله بالبدلة والشعر المفرود خلى أصحابه ميعرفهوش لما رجع يزورهم، وهو كان حاسس إنه خلاص الشارع علمه وبقى مقطع السمكة وديلها.

التغييرات دي كانت محتاجة مصاريف والمصاريف محتاجة شغلانة تانية، فقدم في هيئة السكة الحديد واشتغل كبياع ساندوتشات على خط القطر بين بوسطن ونيويورك، ولما عينه

شافت نيويورك آو التفاحة آلكبيرة وقع في حبها من آول نظرة، وحس إن بوسطن دي بتاعة الفلاحين بينما عندنا في نيويورك أهم حاجة الكوميونيتي.
مالكوم اقتنع إن نيويورك وبالأخص حي هارلم حيث الحياة الليلية الماجنة، دي جنة الله على الأرض، فاندمج في قاعات هارلم اللي اتشهر فيها بسبب حبه وموهبته في الرقص، وكمان بسبب زيارة صوفي ليه اللي وجودها معاه كان بيعليه في نظر السود اللي بيحسدوه عليها.
وواحدة واحدة الرقص مبقاش كفاية بالنسبة له، وابتدا يتجه لسكة المخدرات.
في البداية الموضوع بدأ بسجاير، وكما قالت كايروكي: «وسيجارة جابت جوان وجوان جاب حباية»، السجائر جابت ماريجوانا، والماريجوانا جابت معاها مزيج من الهيروين والكوكايين والسموم اللي بتقتل الواحد رغم أنها بتحسسه بالنشوة مؤقتاً.
وكل ده جه على حساب الشغل، بقى بيروح الشغل متأخر ومسطول وبقى بيعمل مشاكل مع الزباين، فاترفد.
وزي كل مشكلة واجهته قبل كده بسبب الشارع، خرج منها منغمس في الشارع أكتر وأكتر، الرفد مضايقوش لإنه أخيراً يقدر يقعد في نيويورك بصورة دائمة، ولكنه حطه تحت ضغط مادي، صوفي كانت بتحبه ومتعلقة بيه، وفضلت على علاقة بيه وبقت بتزوره وتصرف عليه من فلوس جوزها اللي في الجيش.
تقول لي: إيه ده وهي صوفي اتجوزت وفضلت على علاقة بيه؟
أومال!
العلاقة استمرت بينهم حتى بعد سفر مالكوم لنيويورك، وهناك مالكوم لقى شغل في بار، واتعرف على واحد قواد اسمه سامي، سامي قابل واحدة وحيدة بتمر بفترة صعبة في حياتها فقرب منها واطمنت له، وفي مرة خرجت سرق الشقة فرجعت لقت الشقة على البلاط ومعهاش ولا مليم، فقال لها: ولا يهمك أنا معاكي لحد ما تقفي على رجلك.
وواحدة واحدة جرها لسكة الدعارة، بعد ما بقت معتمدة عليه اعتماد كلي مادياً ونفسياً، قصة معتادة لذئب متنكر في ثوب حمل وديع، والذئب ده بقى صديق مالكوم اللي راح سكن معاه في مبنى مليان بفتيات ليل، حبوه واعتبروه أخ أصغر ليهم، وهو حبهم ولكن كون بسبب عيشتهم والقصص اللي كان بيسمعها منهم رأي فضل متمسك بيه لآخر يوم في حياته، وهو إن الستات ملهمش أمان.
وإذا كان الشارع بالنسبة له كان مدرسة، فالبار كان الجامعة اللي درس فيها بكالوريوس ودراسات عليا كمان، هناك قابل كل أشكال المجرمين والمنحطين، قاع المجتمع اللي حبهم ولقى نفسه معاهم، وبقى طموحه يبقى واحد منهم في يوم من الأيام، ومبقاش بيخاف غير من ٣ حاجات في حياته: الشغل والجيش والسجن.
الشغل لإنه بقى شايف إن الملاليم اللي هياخدها في شغلانة شريفة، ممكن يعمل أضعافها في شغلانة شمال، لو شغل دماغه وعرف يضحك على الزبون.
والجيش لأن أمريكا أعلنت دخولها الحرب العالمية التانية، بعد هجوم اليابان على أسطولها في بيرل هاربور، ودخوله الجيش مش بس كان معناه نهاية الصياعة والسرمحة في الشوارع، ولكن كمان كان معناه نهاية حياته كلها؛ لأنه سمع إن السود في الجيش مش بس بيتعرضوا للعنصرية لكن كمان بيتم التضحية بيهم في الخطوط الأمامية.

والسجن لأنه عارف إنه كرجل أسود لو وقع، القانون مش هيرحمه، والقانون المرة دي مش في صالحه.

السجن والإيمان

واحدة واحدة مالكوم ابتدا يدرك إنه بيخسر كل حاجة، الأهل والصحاب والحرية، شاب عنده ٢٢ سنة محكوم عليه بالسجن لمدة عشر سنين، يا عالم هيعيش لآخرهم ولا لأ.
شعوره ده خلاه ينعزل أكتر وأكتر عن اللي حواليه، حتى الشغل الإجباري في السجن بقى بيعمله بأقل جهد وأدنى اهتمام، فالمشرفين كتبوا في تقاريرهم إنه: Poor in skill and poor in effort.
بس على قد ما كان مش طايق نفسه وهو بيشتغل، على قد ما الشغل خلاه يقابل واحد من أهم الناس اللي عرفهم في حياته، شخص هيبقى السبب في تحول مسار حياته ١٨٠٪، جون ألتون بمبري.
بمبري حرامي سابق وأكبر من مالكوم بعشرين سنة، ومثقف ثقافة موسوعية، يعرف حاجة عن كل حاجة، بمبري كان أول واحد أسود مالكوم يشوفه عنده هذا الكم من المعرفة، وهذه القدرة على كسب احترام اللي قدامه.
بمبري في السجن كان شخصية محبوبة ولها احترامها، مش بس من المساجين ولكن كمان من الحراس، السجن كله عارف إن لما بمبري يتكلم كله يقف يتعلم!
مالكوم انبهر بيه وابتدا يقرب منه ويحاول يسمعه كل ما يتكلم، وبمبري حس إن الشاب الصغير ده ييجي منه، فابتدا يحطه تحت الملاحظة من غير ما يكلمه بشكل مباشر، زي أي صياد ماهر مش عايز يشد السمكة قبل ما يتأكد إنها بلعت الطعم، وكل مرة مالكوم يسمعه بيتكلم في مواضيع تتراوح من الفلسفة للتاريخ للدين، ينبهر بيه أكتر وأكتر.
لحد ما في مرة بمبري خده على جنب، وقال له: إنه المفروض يستغل دماغه في تحسين وضعه، وأول حاجة عملها هو إنه عرفه إنه ميعرفش، فناقشه في آرائه الإلحادية ومالكوم بقى مش عارف يرد عليه، فانبهر أكتر إزاي قدر باستخدام الكلمات، ينصف أفكاره ويغير طريقة تفكيره تمامًا.
أول مرة يحس إن الكلمات ممكن يبقى لها قوة خارقة بالشكل ده، وبقى مستعد يعمل اللي بمبري يقول عليه، فأول حاجة قالها له هي إنه يسجل في الكورسات المجانية، اللي مش بس هتعلمه ولكن كمان لو نجح فيها هتقلل مدة العقوبة.
فسجل لدراسة اللغة الإنجليزية وأساسيات اللغة الألمانية واللاتينية، وابتدا يستعير كتب من مكتبة السجن، ويسهر عليهم في العنبر لدرجة إنه جاله استجماتيزم من كتر القراءة في نور واطي.
وفي سبيل تحسين قدراته اللغوية، بمبري نصحه يقرا القاموس، فمالكوم ابتدا في حفظ الكلمات اللي في الdictionary لحد ما خلصه، وترسانته اللغوية بقت نووية!
التحول ده ظهر في خطاباته لاخواته، وبالأخص إيلا اللي حست إن أخوها بالفعل بيتغير للأحسن، فبدأت حملة للمطالبة بنقله لسجن تجريبي شبه السجون الإسكندنافية، يعتبر الفور سيزونز لو اتقارن بالسجن اللي هو فيه، سجن هدفه الإصلاح والتأهيل لإعادة دمج المساجين في المجتمع.

عبارة عن ساحة كبيرة فيها ٢٤ بيت، كل غرفة فيها باب وشباك والمساجين مبيتقفلش عليهم بالليل، ولكنه في نفس الوقت متأمن ضد الهرب ومحاط بسور عملاق فوقه سلك مكهرب، يعني اللي هيتهور هيتعور.

وعلى الرغم من الخطابات المستمرة، الحملة فشلت ومالكوم اتنقل لسجن كونكورد الأفضل نسبيًا من الثقب الأسود اللي كان فيه، وهناك استمر في القراءة وفي رحلة التعلم اللي خلت لسانه سلاح ذو حدين، ممكن يخليه إنسان أفضل، وفي نفس الوقت ممكن يخليه نصاب أشطر يعني أيهما أقرب.

سجلات السجن بتوضح إن أغلب زياراته كانت من إيلا وإيفيلن ويليامز، اللي واضح إن حبه استمر في قلبها، ولكن إحنا في إيه ولا في إيه.

وفي أحد الأيام جاله جواب من أخوه فيلبرت بيقوله إنه دخل الإسلام، وبيدعوه للانضمام للدين الجديد، فمالكوم قال له: هو انت كل ما تزهق تقوم رايح تنضم لحاجة جديدة، مرة تقول لي: أنا انضميت لكنيسة جديدة، ومرة تقول لي: أنا انضميت لدين جديد، يا عم اتكل على الله، يا عم هو أنا ناقص!

مالكوم مكنش يعرف إن مش فيلبرت لوحده اللي دخل الإسلام، وبعدها بفترة جاله جواب تاني، المرة دي من ريجينالد أخوه الأصغر والمحبب إلى قلبه بيقوله:

Don’t eat any more pork, and don’t smoke any more cigarettes. I’ll show you how to get out of prison!

متاكلش لحم خنزير ومتشربش سجاير، وأنا هاقولك إزاي تخرج من السجن! ريجينالد عرف إزاي يثير فضول أخوه، وازاي يخاطب رغبته العارمة في الخروج من السجن، ومالكوم مبقاش فاهم إيه علاقة الخنازير والسجاير بالخروج من السجن؟

بس مش مهم إن شا الله ما عن حد فهم، ريجينالد شكله فاهم هو بيقول إيه وخلينا نجرب. وهكذا وكأنه داس على زرار، مالكوم اللي كان بيشرب حوالي ٤ علب سجاير في اليوم توقف تمامًا عن شرب السجاير، وبطل ياكل لحم خنزير، المساجين مبقوش فاهمين إيه اللي جراله؟ مالك يا عم مالكوم عامل كيتو ولا إيه؟

ومالكوم كل اللي همه يعرف ريجنالد هيطلعه من السجن إزاي، في الوقت ده خطابات إيلا لمصلحة السجون اتقبلت وتم نقله لسجن نورفولك، وبعد ما كان في سجن مفيهوش ميه ولا حمامات، بقى قاعد في سجن خمس نجوم.

في نورفولك مالكوم استمر في القراءة، وبقى زائر دائم لمكتبة السجن، اللي قرأ فيها عن الاستعمار وتاريخ العبودية، وبعد فترة من التحصيل بقى عايز يشارك المعلومات اللي عنده دي، زي ما قالت الكاتبة فيرجينيا وولف:

.Read a thousand books and your words will flow like a river

ومن حسن حظه إن السجن فيه تأهيله برنامج ضمن من، للمناظرات فريق أو debate team debateال مسابقات في اشتراكه كان حول أمريكا، أول مرة مالكوم يقف ويتكلم قدام الناس حس بسعادة غريبة، القدرة على التأثير في الجموع وتحريك مشاعرهم كانت بالنسبة له موهبة فطرية.

لدرجة إن المساجين ابتدوا يحضروا المنافسات، اللي بعضها كان ضد طلبة جامعة من

هارفارد و debate ال في ومالكوم، بيتكلم وهو ويسّمعوه عليه يتفرجوا عشان، MIT public speakingوال معندوش ياما ارحميني.
مزيج من قبول ماجد الكدواني وفكاهة محمد سلّام وكاريزما سيد رجب، ولكنه رغم التطور الملحوظ في شخصيته كان حاسس إن في حاجة ناقصة، والحاجة دي كملت مع زيارة غير متوقعة غيرت حياته إلى الأبد.
في أحد الأيام ريجينالد زار مالكوم في سجنه الجديد، وبعد السلامات والتحيات ريجينالد سأله سؤال أشبه بالفزورة، قال له: لو في حد يعرف كل شيء عن كل شيء، الحد ده يبقى مين؟
فمالكوم اللي هيموت ويعرف السر ورا عدم شرب السجاير وأكل الخنازير، قال له: الحد ده يبقى إله، قال له: الله ينور عليك، أهو الإله اللي يعرف كل شيء ده موجود بالفعل واسمه الله، وظهر لواحد أسود زينا وكلفه يبلغ رسالته للسود كلهم عشان يحررهم.
رسول من عند ربنا بينشر الإسلام وبيحرر السود، وبيدعو لإقامة وطن مستقل للسود بما إنهم الجنس الأرقي والأقوى، بينما البيض دول شياطين سماهم ال blue eyed devils،
فمالكوم قال له: يا عم إيه اللي انت بتقوله ده بس صلِّ على النبي!
فريجينالد قال له: عمرك شفت راجل أبيض طيب؟ عمرك عرفت واحد أبيض وساعدك أو احترمك من غير ما يحاول يستغلك؟ فمالكوم فكر شوية وقال له: لأ، فريجينالد حب يضرب على الحديد وهو سخن، وقال له: إن الرسول ده هو The Honorable Elijah Muhammad زعيم Nation of Islam، أو منظمة أمة الإسلام.
تقول لي: لا دي كده وسعت منهم خالص، رسول مين يا اخوانا إحنا هنكفر؟ إنهم يدعون إلى دين جديد! ومين إليجا محمد ده؟
إليجا ده يا عزيزي، واحد من أكتر الشخصيات المؤثرة في أمريكا في القرن العشرين، اتولد سنة ١٨٩٧ لأب sharecropper أو فلاح على قد حاله، بقى داعية لما كبر زي أبو مالكوم في ولاية جورجيا، إحدى عواصم الجنوب المرعبة.
إليجا من صغره كان بيسمع قصص دينية من باباه، وكانت بتشده نبوآت نهاية العالم التوراتية، لدرجة إن جده أطلق عليه لقب: Elijah the prophet أو إليجا الرسول.
ساب المدرسة بعد رابعة ابتدائي، واشتغل عشان ياكل عيش، وهو طفل شاف العنصرية بعينيه وعانى منها عن قرب، وفي إحدى المرات راجل أبيض ابتسم في وشه ومد إيده عشان يسلم عليه، إليجا مدله إيده لقى الراجل ماسك ودن سودة مقطوعة، تذكار مشهور من عمليات القتل الجماعي للسود.
وسنة ١٩١٢ اتعرض لصدمة في منتهى القسوة، بعد قتل صديق طفولته المحبب إلى قلبه ألبرت هاملتون، إليجا رجع من جنازته بيعيط وقال:
If I ever got to be a man, I would find a way to avenge him and my people.
مسيرك يا ملوخية تيجي تحت المخرطة!
إليجا كبر والغضب كبر معاه، غضب تجاه العنصرية اللي بيواجهها والملاليم اللي بياخدها، في الوقت ده إيلا أخت مالكوم من باباه كانت لسه عايشة في جورجيا وقابلته هو ومراته،

ولكن إليجا على عكس باباه الداعية المسيحي، بعد عن الكنيسة ومقبلش المسيحية، لإنه حس إن إرهاب الكوكلوكس كلان بيتم تحت مباركة من المسيحية.
لإنهم بيقتلوا بإيد وبيرفعوا الصليب بالإيد التانية، وبعد ما شاف جريمة قتل جماعي وشنق لأحد السود، علنية على جذع شجرة، قرر إن الدين ده لا يمثله، إليجا هادي وقصير وصغنن كده ومش بتاع مشاكل، لكنه مبينساش ومبيقبلش الغلط في كرامته.
سنة ١٩٢٣ مديره الأبيض شتمه، فقرر إنه معادش له عيش في البلد دي، فانضم هو ومراته إلى موسم الهجرة إلى الشمال، وسافروا ديترويت على أمل الحصول على حياة أفضل.
ولكن في ديترويت العدد كبير والشغلانات قليلة، فشل إنه يلاقي شغل في مصانع العربيات فجاله إحباط شديد، من كثر الجوع كان بياكل هو وأولاده من الزبالة، وبقى بيخلص فلوس الدعم الحكومي على الشرب، وبيسكر ليل ونهار عشان يداوي أحزانه، لدرجة إنه قرر ينتحر ورمى نفسه على شريط القطر من كثر ما فقد الأمل في الحياة، وكان هيموت لولا إن واحد جارهم أبيض شافه ولحقه قبل ما القطر يدوس عليه.
ولكن سنة ١٩٣١ في عز الإحباط والاكتئاب، إليجا كان على موعد مع مفاجأة غير متوقعة، في أحد الأيام سمع راجل اسمه والاس فارد على محاضرة بيدي، Wallace D Fard UNIA ال مقر في، السود من المنطقة لأهل الضيق منظمة جارفي القديمة، وقال لهم إنه مسلم من مكة.
فارد بياع متجول بيلف على البيوت يبيع سجاجيد ومنسوجات، والله أكبر عليه هبِّيد قد الدنيا، يحب يسرح بالزباين ويبهرهم بحكايات سفره عشان يبيع، ومحدش كان عارف أصله منين، لأنه مش بس كان بيغير في قصة حياته لا كمان كان بيغير اسمه، مرة يقول فارد محمد مرة والاس وكل شوية باسم.
وفي العشرينيات انضم لل Moorish science temple of America، طائفة من الطوائف الدينية اللي انتشرت في القرن ال١٩ وبدايات القرن العشرين في أمريكا، وهي منشقة عن الإسلام، يعني واخدة من الإسلام بعض الأمور، زي الصلاة والوضوء وعدم شرب الخمر أو أكل لحم الخنزير.
لكن مؤسسها Timothy Drew اللي غير اسمه لنوبل درو علي، ادَّعى النبوة وطبع كتاب سماه على اسم القرآن الكريم رغم إنه لا يمت للقرآن بصلة، تقول لي: وده اسمه كلام؟ مفيش حد عاقل يبلغ عن شوية النصابين دول؟
يا عزيزي، إحنا بنتكلم عن عصر ما قبل الإنترنت، محدش عارف حاجة، وأي حد بيقول أي حاجة الكل بيصدقه، وبعدين الراجل مكنش رايح يدعو ناس من MIT، ده بيكلم أفقر وأغلب ناس في أمريكا، اللي معظمهم مكملوش تعليمهم.
وبالتالي عمل إسلام custom made، وهو عارف إن أغلب الظن محدش هينخرب وراه، ديانة مخصوصة للرجل الأسود في أمريكا، رغم إن الإسلام أوحى لسيدنا محمد رحمة وهدى للعالمين.
فارد مجهول الأصل انضم للمنظمة وقابل درو علي، ومكنش باين إن عنده أي طموح في القيادة، ولكن بعد وفاة درو سنة ١٩٢٩ أعلن إنه ال reincarnation أو إعادة البعث بتاع درو، والله أعلم كان يقصد الموضوع ده حرفيًا ولا مجازًا.

الأكيد إنه أعلن انفصاله عن الموريش ساينس تيمبل، وتأسيسه لمنظمة جديدة باسم Nation Of Islam، منظمة بتدعو لاستقلال السود روحيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وكمان سياسيًا.
وبتدعو السود إنهم يفخروا بلونهم، لإنهم الجنس الأصلي للإنسان، وروج لأسطورة بتقول إن السود كانوا الجنس الوحيد على الأرض، أبناء قبيلة شاباز أول ناس سكنوا مكة المكرمة ووادي النيل العظيم، القبيلة دي ظهر فيها من حوالي ٦٦٠٠ سنة عالم شرير ورأسه كبيرة اسمه يعقوب.
تقول لي: وإيه علاقة الشر بالرأس الكبيرة؟
أقولك يا عزيزي، يعني من كل العبث اللي قولته ده رأسه الكبيرة بس هي اللي ضايقتك؟
المعلم يعقوب ده كان بيدعو لنسخة غريبة وخطيرة من الإسلام، لما السلطات عرفت اللي بيعمله طردوه، هو و ٥٩٩٩٩ من أتباعه لجزيرة من ردُط ولما، وتركيا اليونان بين patmos من أضعف شرير جنس يخلق قدر ما لحد الجينات في يلعب ففضل، منهم ينتقم حب القبيلة The white blue eyed بدالهم الأرض ويحكم السود يستعبد قدر، أوأخلاقي أبدني السود devil، الشيطان أبيض البشرة أزرق العينين.
الأسطورة بتقول إن الجنس الأبيض هيحكم لفترة قليلة نهايتها في القرن العشرين، ونهاية حكمه هتبقى سنة ١٩٧٠ بعد معركة هرمجدون.
تقول لي: بتاعة بروس ويليس؟

لا يا عزيزي، ده مش الفيلم دي معركة نهاية العالم، السود هيحاربوا فيها عن طريق مركبة فضائية بيتحكم فيها طيارين سود اسمها الMothership، المركب دي هتموت كل غير المؤمنين من البيض الشياطين، ومش هتسيب غير السود اللي هيرجعوا يحكموا بعد آلاف السنين من الاستعباد.

ولما كان حد يحاول يثبت إن كلامه غلط، كان بيستغل معرفته بالفيزياء والحساب لحسم أي جدال، يعني مرة كان بيكلم مجموعة من المسيحيين أبدوا رفضهم لكلامه، فسأل واحد منهم قال له: طبقًا للإنجيل الشمس بيحصلها إيه كل يوم؟

قال له: بتطلع وبتنزل، فقال له: غلط، الشمس ثابتة والأرض هي اللي بتلف حواليها، دي معلومة مؤكدة وعكس اللي مكتوب في الإنجيل.

معلوماته ومهارته في كسب النقاش خلوا ناس كتير يصدقوه، ومنهم إليجا اللي سمع القصة وانبهر بيها، الجانب العاطفي اللي بيتكلم عن تاريخ السود وأمجادهم والدعوة للاستقلال عن البيض، باعتبار إن لو مش عايزينا إحنا كمان مش عايزينكم، لعب على وتر حساس عند السود اللي كل يوم والتاني، يشوفوا واحد من اخواتهم مقتول ومتعلق على شجرة، أو في أحسن الأحوال مرفود ومرمي في الشارع.

فبقى من أشد أتباع فارد، لدرجة إن فارد خلاه دراعه اليمين، في ظل غيرة ونفسنة كل أتباعه القدام، ولكن فجأة ومن غير مقدمات، بعد نجاحه في جذب متابعين وبناء the muslim the muslim university بنى وبعدها temple في ديترويت.

تم اتهامه إنه أمر أحد أتباعه بجريمة قتل كقربان ديني، وحتى بعد تبرئته من التهمة واكتشاف إن القاتل مش عضو في Order Of باسم تانية طائفة في لكن، Nation Of Islam Islam، البوليس طرده ومنعه من دخول ديترويت، وهددوه إنه لو رجع مش هيحصله كويس.

في الفترة دي سافر بالفعل، ولكنه كان بيتسلل لديترويت عشان يقابل إليجا ومراته، اللي خلفوا ولدهم السابع وسموه Wallace على اسم فارد، بعد ما تنبأ له من يوم ولادته إنه هيبقى الزعيم القادم للمنظمة، ولكن مع زيادة زياراته البوليس قبض عليه ونفوه للمرة التانية، والمرة دي فص ملح وداب، اختفى ومحدش عرف عنه حاجة.

ولكنه استمر في التواصل مع إليجا لسنين طويلة، كان بينصحه فيها يسافر فين ويروح لمين وبيقول له على كتب يقراها عشان يتعلم، ولكن الكلام ده كان في السر.

في العلن إليجا استغل الفرصة وانفرد بزعامة المنظمة، وأعلن إن فارد مش بس كان معلم ولكنه الإله نفسه اللي تجسد في صورة إنسان لنشر الدعوة، وبعد كده رجع السما لحين تجهيز مملكته على الأرض

في تأثر واضح بالرواية الإنجيلية لسيدنا المسيح.

ومكفاهوش كده، وأعلن نفسه كرسول للإله كلفه بنشر الرسالة وتكملة المشوار، تحس يا عزيزي، إن ادعاء النبوة كان ترندينج في الوقت ده، يعني بدل الواحد ما يروح يفتح ستارت أب عشان ربنا يكرمه، يروح يأسس ديانة جديدة على طول.

الأتباع صدقوا إن فارد إله وإن إليجا رسول، رغم إن أوراق الفارد إن كده بعد كشفت FBI ،الإسلام أو الأوسط بالشرق علاقة أي ملوش أبيض راجل، نيوزيلندا أو هاواي من مهاجر ده san quentin في واتسجن للمخدرات تجارته بسبب كده قبل عليه اتقبض، ومتصور

ومتاخد بصماته وهو في السجن.
لكن في عصر ما قبل البصمة الإلكترونية، وسهولة البحث على الإنترنت محدش عرف تاريخه، وإليجا مكنش مهتم بالتدقيق في الماضي، لإن الماضي كان كله جراح، وتقديس فارد كان بيعلي من مقام إليجا كرسول.
ولذلك إليجا تمسك بال origins story أو أسطورة التأسيس دي بكل قوة، لضمان حصوله على سلطة دينية فوق أتباعه، إليجا جسمه صغير وضعيف، ومش مكمل تعليمه فمعندوش ملكة الخطابة، وبالتالي مينفعش يعتمد على لسانه، الحاجة الوحيدة اللي ممكن يعتمد عليها لضمان طاعة أتباعه هي مكانته الروحية.
ولكن فيلم اليتامى ده لو نفع مع الأتباع الجداد، مش هينفع مع الأتباع القدام، ومش هينبهروا بادعاء إليجا النبوة لأنه تقريباً تالت نبي مُدعي يعدي عليهم في ٢٠ سنة، تحت شعار علينا؟ ده إحنا اتهرينا.
الأتباع القدام معجبهمش انفراد إليجا بالقيادة وابتدوا يسخنوا عليه أتباعه، ولما الموضوع مجبش نتيجة، ابتدوا يهددوه بصورة علنية، لدرجة إن واحد منهم حط مبلغ ٥٠٠ دولار مكافأة للي يقتله.
وبعدين التهديد بالقتل حاجة والتهديد بالحبس حاجة تانية، بسبب دعوة الNOI للاستقلال عن البيض، أعضاء المنظمة مكنوش بيدخلوا ولادهم المدارس، ودي جريمة يعاقب عليها القانون، فابتدوا يحطوا عينيهم على إليجا، اللي لما اتهدد بالقتل قال لهم: انتظروني أنا مش جاي.
سافر شيكاجو وهناك أسس muslim temple number ٢، المعبد الإسلامي رقم ٢، وبقى داعية بيلف من بلد لبلد يحاول يجذب أتباع ويأسس معابد، وينشر رسالة فارد محمد اللي من ضمنها تشجيع السود على عدم الانضمام للقوات المسلحة.
فالبوليس قبض عليه سنة ١٩٤٣، واتسجن لمدة ٣ سنين قبل ما يخرج سنة ١٩٤٦، نفس السنة اللي مالكوم دخل فيها السجن.
ولما خرج رجع شيكاجو، ومن هناك حاول يقوِّم المنظمة اللي مراته كلارا كانت متولياها وهو في السجن، لكن المشكلة إن عدد الأعضاء قليل والمعنويات في الأرض، وقليلين اللي بيحضروا اجتماعات وأقل منهم اللي بيجندوا أعضاء جدد.
ومن أهم الأعضاء اللي تم تجنيدهم في الوقت ده ابن لويز الكبير، اللي شال مسؤوليته هو واخواته من وهو لسه مراهق، والحياة علمته وخلته يرفع شعار، كل المآسي جت على مقاسي، ويلفرد ليتل.
ويلفرد كان شغال في محل بيع أثاث في ديترويت، وكابن بار لأب وأم من أبناء ماركوس جارفي، كان مبيخافش ياخد موقف وفي الحقوق معندوش ياما ارحميني، أصحاب المحل كانوا يهود، واللي شغالين في المحل بعضهم كانوا من البيض العنصريين، وويلفرد مكنش بيسكت لحد على غلطة.
ياما شافهم بيتعرضوا لسود أو لستات، فكان يقف لهم ويفكرهم إن مش هي دي الرجولة يا كباتن، باقي الموظفين مكنوش مصدقين هو ازاي بيتكلم بالجرأة دي؟ وكانوا متوقعين إنه أكيد مسألة وقت وهيترفد، ولكن اللي حصل كان عكس كده، سُمعته كراجل حقاني خلت

أصحاب المحل يرقوه.
وفي إحدى المرات سواق في الشركة سأله وقال له:، أنا لا بشوفك بتشرب ولا بتراهن، وفي نفس الوقت شايفك حقاني ومش هامك حد، هو انت مسلم؟
فويلفرد قال له: لا بس هو إيه الإسلام ده؟ فالراجل قال له: تعالى معايا وهوريك، فخده معاه لاجتماعات منظمة ال أعضائها من وبقى للمجموعة انضم ويلفرد واحدة وواحدة، NOI NOI وبالليل شغل الصبح وقته مقسم وبقى، النشيطين تحت شعار اللي خلف مماتش.
ويلفرد بدأ بدعوة اخواته، اللي لقوا خطاب إليجا شديد الشبه بخطاب جارفي اللي اتربوا عليه من وهما صغيرين، فانضموا لويلفرد وأدركوا إن مش ناقصهم غير مالكوم، وأدركوا إن إسلامه مسألة في غاية الأهمية مش بس لاقتناعهم بأن ده الدين الحق، ولكن كمان لأنه هيطلعه من سكة اللي يروح ميرجعش اللي ماشي فيها.
وبعد فشل فيلبرت في دعوته، بعتوله ريجنالد لأنهم عارفين قدرته في التأثير عليه، وبالفعل نجحت الخطة.
مالكوم حس شعور محسوش من ساعة ما مدرس الإنجليزي قال له يعرف مكانه كرجل أسود في المجتمع، ويسيبه من المحاماة ويشتغل نجار، أول مرة يحس إنه فخور بلونه، ويحس إنه بقى له تاريخ وأصل وحضارة قديمة في آسيا وإفريقيا، قبل ما يتم استعباد أجداده في أمريكا.

مالكوم قرر يبعت جواب لإليجا محمد يعلن فيه إسلامه، فقعد سهران يكتب الجواب ويراجعه لدرجه إنه كتبه وقطعه حوالي ٢٥ مرة، وفي الآخر بعته وبعت معاه جوابات تانية لاخواته يبلغهم بالخبر.

ولمفاجأته تلقى بعدها على طول جواب من إليجا محمد، بيرد عليه وبيقوله ميحسش بالخجل من إنه كان مسجون، فإن الرجل الأبيض هو السبب في سجن العديد من السود، بسبب قهرهم وعدم تعليمهم وبعته مع الجواب خمسة دولار يمشي بيهم نفسه.

مالكوم قرا الجواب ومبقاش مصدق، معقول المسنجر بنفسه رد عليه؟ وكمان بعته فلوس؟ إليجا كان عنده قدرة فائقة على تجنيد المساجين ودعوتهم للمنظمة، الفترة اللي قعدها في السجن علمته كتير عن نفسية المساجين، وازاي بيبقى نفسهم يتبص ليهم كبني آدمين من غير وصمة الذنب والعار، ولذلك من أول جواب دخل قلب مالكوم اللي حس إن الحياة رجعتله من أول وجديد.

الدين ملا جزء مهم كان ناقص من حياته، جزء معرفتش تملاه الكتب والمعلومات، وإليجا اللي بقى بيبعتله جواب كل يوم تقريبًا، بقى بالنسبة له في مقام الأب اللي اتحرم منه وهو لسه طفل، اتعلق به بشدة لدرجة إنه خد صفه قصاد واحد من أقرب الناس ليه وأعزهم على قلبه.

سنة ١٩٤٩ تم طرد ريجنالد بعد اكتشاف دخوله في علاقة محرمة خارج إطار الزواج، المنظمة قواعدها فيما يخص الشرب والزنا مفيهاش هزار، ولذلك تم طرد ريجنالد من المنظمة.

تقول لي: وإيه المشكلة يعني هم طردوه من الجنة؟ دي منظمة زيها زي أي منظمة.

الحقيقة يا عزيزي، إنها مش زي أي منظمة، لأنها منظمة انفصالية بتدعو لانفصال السود عن البيض، ولتحقيق الهدف ده بتخلق مجتمع كامل منفصل للسود، مدارس منفصلة وجوامع منفصلة، وكمان بتخلق دوائر اجتماعية من الأعضاء، اللي مطلوب منهم يحضروا اجتماعين في الأسبوع.

فوشهم في وش بعض طول الوقت، ولما حد بيطرد مش بس بيتمنع من دخول الجامع، لكنه بيتمنع من التواصل مع أعضاء المنظمة، اللي بيقاطعوه ولا كأنه موجود، وبالتالي لما ريجنالد اتطرد اخواته قاطعوه.

ومن ضمنهم مالكوم، اللي تخلص من اسم العبودية وسمى نفسه مالكوم إكس زي باقي أعضاء المنظمة، لأن المنظمة وإليجا محمد أهم عندهم من أخوهم ابن أمهم وأبوهم، ونمو المنظمة ونشر الرسالة رجَّع لمالكوم الطموح اللي اتدفن تحت سنين من الصياعة في الشارع بلا هدف.

دلوقتي مالكوم بقى عنده هدف، هدف حتى السجن مش هيعرف يمنعه من تحقيقه.

وزي ما أنت عارف يا عزيزي، الشخصية المتطرفة بتمشي يا في أقصى اليمين يا في أقصى الشمال، ومالكوم متطرف في اهتماماته، الحاجة اللي بيحبها بيجيب آخرها، وزي ما وهب شبابه للجريمة، قرر يوهب ما تبقى من حياته لل NOI وللإسلام.

فبدأ يدعو للدين الجديد وسط المساجين اللي أغلبهم مكانوش يعرفوا عنه حاجة، وفي نفس الوقت استمر في القراءة بنهم في الأديان والتاريخ، عشان يبقى عنده ردود يجاوب بيها لو حد

ناقشه أو دخل معاه في جدال، والحقيقة إنه مكنش بيستنى.
وبقى بيدعو للNOI في أي حتة وفي كل مكان، لدرجة إنه مرة راح حضر جلسة في الكنيسة، ولما القسيس خلص سأله هو سيدنا عيسى لونه إيه؟
فالراجل بلم ومعرفش يرد عليه، فمالكوم أعاد السؤال وقال سيدنا المسيح عليه السلام كان لونه إيه؟
فالراجل قال له: بُني، فبص لباقي المساجين بصة معناها مش قلتلكم إن الأسود هو الأصل؟ وإن البشر فضل لونهم يفتح لحد ما بقى أبيض؟ وبعدين لما المسيح لونه بُني مرسوم لونه أبيض في الكنيسة ليه؟ وليه البيض بيتحججوا بالإنجيل عشان يبرروا عنفهم واستعبادهم للسود؟
أسئلة نارية من شخص عاشق لإثارة الجدل والبلبلة، نشاطه وإصراره خلوه حديث السجن وتسببوا في إعلان عشرات المساجين لإسلامهم، ولكن ده مكفهوش، كشخص حياته لا تخلو من الدراما، ومتحلاش من غير هدف يسعى ليه وقضية يوهب لها حياته.
مالكوم ميعرفش يعيش من غير صراع ومواجهات، والصراع الأول اللي خاضه في سبيل المنظمة كان مع إدارة السجن.
مالكوم بدأ يطالب بتغييرات في السجن، تليق بالمتطلبات الدينية لعدد كبير من المساجين، زي تغيير الأكل وضمان خلوه من لحم الخنزير، ونقل المسلمين لأجنحة شرقية عشان القبلة، تقول لي: وإيه علاقة القبلة بأماكن المساجين ما يصلوا في أي حتة؟
أقولك يا عزيزي، الراجل معلوماته عن الإسلام محدودة، وبفهمه المغلوط حس إن ده هيفيد الصلاة، ومش بس كده، بقى بيدي دروس عن الإسلام في السجن لنقل اللي بيتعلمه من إليجا، اللي حس إنه هيبقى فخور بيه بسبب الجهد الجبار اللي بيعمله، لتحسين أوضاع المسلمين في السجن.
لكن إليجا على عكس ما توقع منبهرش، بالعكس حذره إن اللي بيعمله ده هيعرض باقي المساجين لمضايقات، وهيقوم عليه إدارة السجن، والسجن بالنسبة لإليجا مصدر تجنيد غاية في الأهمية، فخاف جر شكل مالكوم للإدارة تكون تكلفته أكبر من قدرته على تحملها.
وده أول موقف يبين فرق جوهري في شخصياتهم، واحد شعاره يا أهلًا بالمعارك، والتاني شعاره أنا مش عايز قلق هنا!
وبالفعل، كما توقع إليجا، مالكوم بقى بيتبص له على إنه بتاع مشاكل، والمسلمين ابتدوا يتعرضوا لمضايقات، الطباخين بقم بيحطوا له هو وباقي المسلمين الأكل بمعالق استخدموها في غرف لحم الخنازير، والإدارة رفضت أغلب اقتراحاته، ولما هددهم إنه هيصعد الموضوع ويبعت يشتكيهم للقنصلية المصرية.
تقول لي: الله وأنا مالي يا لمبي! إيه علاقة القنصلية المصرية بسجن نورفولك؟
سؤال وجيه يا عزيزي، ملهاش أي علاقة، ولكن مالكوم كان شاطر في إنه يلاقي حاجة يهدد بيها دائمًا، لتحسين موقفه التفاوضي، حتى لو التهديد ده مجرد فزاعة بيستخدمها لتحقيق مطالبه، في الحالة دي الشكوى للقنصلية المصرية كدولة مسلمة كانت هتحرج الإدارة إعلاميًا.
وده اللي حصل، مجرد التهديد بالشكوى لسفارة أجنبية وصل للجرايد، فالإدارة قررت نقله

لسجنه القديم سنة ١٩٥٠، وهناك فضل ياكل عيش وجبنة وبيبعت جوابات لإليجا محمد وبيدعو للإسلام، ولما اتعرض على لجنة ال parole على أمل إنه ياخد إفراج مبكر. قعد يجادلهم فرفضوا الإفراج عنه وجددوله سنة كمان، فأخوه ويلفرد بعتله كتاب ديل كارنجي:

مالكوم قرأ الكتاب واتقن نصايحه، ومن ساعتها بقى أستاذ في التواصل وفي ترك أثر جيد عند أي حد يشوفه، زمايله والحراس مبقوش مصدقين إن ده نفس الشخص اللي كان بيشتم طوب الأرض، لدرجة إنهم سموه شيطان أول ما دخل السجن، وسنة ١٩٥٢ تم عرضه على لجنة ال parole مرة تانية، والمرة دي انبهروا بالتغيير اللي حصله وأفرجوا عنه سنة ١٩٥٢.

صعود منظمة أمة الإسلام

مالكوم دخل السجن ٢١ سنة وخرج ٢٧ سنة، ٦ سنين ونص تحول فيهم من شاب فاسد لداعية إسلامي، دخل مكملش تعليمه من الـth grade٨ أو تانية إعدادي، وخرج مثقف ثقافة موسوعية وقاري كمية كتب، غيره من حاملي الشهادات مقروش ربعها، والأهم إنه دخل يتيم الأب، وخرج حاسس إن ربنا عوضه بأب تاني في هيئة إليجا.

أول حاجة عملها لما خرج هي إنه اشترى نظارة وشنطة وساعة، نظارة عشان يشوف وشنطة عشان يسافر، وساعة عشان ميضيعش وقت، الشاب اللي كان عايش عشان يضيع وقت، بقى مبيحترمش حد مش لابس ساعة أو معندوش احترام للوقت.

وبما إنه خرج بعفو مشروط بإنه يلاقي شغل وحد يضمنه، اخواته قرروا إن أفضل حاجة هي إنه يروح يقعد مع ويلفرد ومراته في ديترويت، وأهو يبقى تحت عين أخوه وفي نفس الوقت بعيد عن بوسطن وهارلم.

وهكذا سافر مالكوم ديترويت، واشتغل مع أخوه في محل الأثاث، وهناك لاحظ قد إيه الرجل الأسود مش بس بيتعرض للعنصرية، ولكن كمان للاستغلال بصورة تصل للنصب والاحتيال، المحل شعبيته كبيرة لأنه مبيطلبش مقدم، أي حد عاجبه أي حاجة بييجي ياخدها وبيدفع بعد كده بالقسط.

والمشكلة هنا إن الراجل الأسود الغلبان، أول ما بيعرف إن مفيش مقدم بيجري عشان يشتري باعتبار إنها فرصة متتعوضش، ومبياخدش باله إن الفوائد مجحفة وإن البضاعة نفسها جودتها قليلة، فأصحاب المحل اليهود بيكسبوا من فرق السعر بالفايدة، ومن زيادة المكسب بسبب استرخاصهم للبضاعة اللي بيشتروها.

استغلال اقتصادي فكر مالكوم باللي كان بيعمله اليهود في هارلم، وازاي كانوا بيمصوا دم السود عن طريق الفوائد.

مالكوم بعد السجن غير مالكوم قبل السجن، دلوقتي عينيه مفتحة ومفيش حاجة بتعدي من غير ما ياخد باله منها، كثر القراءة علمه حاجات عن العالم مكنش يعرف عنها حاجة، فنظرته بقت أشمل وقدرته على التحليل بقت أعمق.

وأول حاجة خد باله منها بعد خروجه هي إن المنظمة طلعت أصغر مما يتخيل، وعدد أعضائها لا يليق إطلاقًا بأهمية رسالتها وحجم تأثيرها، ديترويت هي منشأ المنظمة ومكان أول مسجد اتبنى من ٢٠ سنة عدد الأعضاء فيها لا يتجاوز الـ١٠٠.

لما مالكوم حضر الاجتماعات لاحظ إنها مملة ورتيبة، وإن القائمين على المنظمة في ديترويت منهم الأئِمَّة أو الـ muslim ministers مش مهتمين بالدعوة، فمالكوم قال لا ده كده إحنا بنهرج، ولكن أخوه قال له: اصبر على رزقك، ونصحه ميتكلمش لحد ما ياخد على المكان ويفهم الدنيا ماشية ازاي.

ولكن بعد حوالي شهرين، كان موعد الزيارة السنوية لإليجا محمد المسنجر بتاعهم، مالكوم تحمس للزيارة وراح هو وباقي أعضاء المنظمة في ديترويت، في قافلة مكونة من ١٠ عربيات، رقم يكسف بالنسبة لطموحه إحنا لو طالعين الساحل كان هيبقى عددنا أكبر من

كده.
وفي شيكاجو انضم لمئات الأعضاء من ولايات مختلفة، جم عشان يسمعوا إليجا محمد بيخطب، إليجا مش خطيب مفوه، ولكنه عنده قدرة على خلق هالة من الغموض والتبجيل، عن طريق نظرة عينه الثاقبة وامتناعه عن الكلام لحد المكان كله ما يسكت، الصمت حيلة بسيطة لفرض السيطرة على الحضور ولكنها فعالة، وكانت من الحيل المفضلة لهتلر في خطبه.
وإليجا كان عارف إن قوته مش في الكلام ولكن في قلته، وفي إنه بيعرف يحسس اللي قدامه إنه من أتباعه المقربين، ففي نهاية كلامه بعد خطبة طويلة عن أصل السود وشيطنة الرجل الأبيض، حكى إن مالكوم كان بيبعتله جواب كل يوم وهو في السجن، وأنه دلوقتي لما خرج الخيار بقى في إيده، إنه يرجع لحياته القديمة أو يمشي تجاه الطريق الصحيح.
مالكوم بقى في منتهى السعادة إن المسنجر جاب سيرته بالاسم، وانبسط أكتر لما عزمه هو واخواته على العشاء في بيته الجديد.
تقول لي: يعزمهم إزاي هو إليجا ده لاقي ياكل؟
عزيزي، الكلام ده كان زمان، من ساعة ما الأعضاء عددهم زاد والاشتراكات زادت معاهم والزهر ابتدا يلعب معاه، تحت شعار لازم الكبير يتظبط عشان يعرف يظبطكم.
وفي البيت إليجا دخل على المعازيم بصحبة مجموعة من fruit of Islam، الذراع شبه العسكري للمنظمة، عبارة عن شباب زي الورد بيتم اختيارهم بعناية وتدريبهم على الفنون القتالية ولكن دون استخدام أسلحة، وهدفهم هو حماية المسلمين من أعضاء المنظمة وحماية الجوامع.
ليهم هيبة كده طول بعرض، ومجموعة منهم مبتفارقش إليجا اللي في حالة شك دائم تصل للبرانويا حتى وهو في بيته، مالكوم شاف المنظر انبهر بمنظرهم، منظمين ولبسهم شكله شيك ونظيف، فحس إنه مينفعش يفضل ساكت أكتر من كده.
فقال لإليجا مينفعش تتكلم قصاد مئات من الأعضاء، لازم لما تتكلم يسمعك ملايين!
الكلام عجب إليجا فمالكوم قال له: إن القادة في ديترويت غير مهتمين بالدعوة، وإنه بيستأذنه يبدأ يجند أعضاء جدد، فإليجا عجبه الكلام وقال له: توكل على الله.
ونصحه يركز على صغار السن، باعتبار إن لما الكبار يشوفوا الصغيرين بيتحركوا بأعداد كبيرة، They will follow too in shame أو هيمشوا وراهم لما يتكسفوا من نفسهم، وقد كان.
مالكوم رجع ديترويت، ومفيش حاجة في دماغه غير إنه يجند أكبر عدد من السود لل NOI، بقى، فين وقتهم بيقضوا سكانه وعارف الأسود الجيتو عارف، وحواريه بالشارع خبير وكابن pool halls ال على يلف وينزل الصبح الشغل بيروح أو صالات لعب البلياردو، اللي بيقعد فيها السود بالساعات يضيعوا وقت وفلوس.
ويلف في الشوارع يكلم قاع المجتمع The invisibles، جيش غير المرئيين اللي عايشين وسطنا ومحدش شايفهم، وبما إنه مجرم ومسجون سابق عرف يكلمهم بلغتهم، وعرف يحسسهم إن المشكلة مش فيهم، المشكلة في المجتمع وفي الراجل الأبيض، اللي استعبدهم من ٤٠٠ سنة ومصمم يستبعدهم للأبد.

كلام مالكوم كان قادر يحرك جبال ويفلق الحجر، وعشان الكلام من القلب كان بيوصل للقلب، فقعد أيام وشهور يروح الشغل الصبح ولما يخلص ينزل يلف في الشوارع بالليل. بيستهدف ال poor, ignorant, brain wahsed black brothers، السود الفقراء غير المتعلمين والمغسول دماغهم، ملح الأرض اللي بقم ينضموا بالمئات والآلاف لما يسمعوه بيتكلم، أول مرة يسمعوا حد حاسس بيهم وبيعبر عنهم بالشكل ده.

ومن ضمن الناس دي، مجند سابق شارك في الحرب العالمية التانية، ولما رجع عانى من محاولة الاندماج في الحياة المدنية، فلجأ للخمرة وبقى بيشرب ليل ونهار لحد ما اترمى في الشارع، وبقى من المشردين، Joseph Gravitt اللي اتعرف بعد كده باسم كابتن جوزيف.

جوزيف كان من المشردين في شوارع ديترويت، مالكوم شافه وخده تحت جناحه، وبقى بيشتغل في ال temple restaurant أو المطعم الملحق بالجامع الصبح، وبالليل يستغل خبرته في الجيش ويمرن أعضاء الفروت أوف إسلام على الفنون القتالية، وبعد كده يرجع ينام في المطعم لحد الصبح، خلال شهور جوزيف تحول من مشرد إلى واحد من أهم قادة الفروت أوف إسلام.

ونجاح مالكوم في تجنيده وإعادة تأهيله، زود من احترامه في المنظمة، اللي بقى معروف وسط أعضائها كنجم صاعد وبقوة، وكأن السنين الطويلة اللي قضاها في الشارع والسجن، كانوا بيجهزوه للحظة دي، وكأن ربنا بعته ليهم وبعتهم ليه.

ومع نجاحه في جذب أعضاء جدد حس إنه محتاج يتفرغ للدعوة، وبما إن عمره ما حب الشغل الروتيني، حس إن مكانه مش في محل العفش، بعد انتهاء فترة إطلاق سراحه المشروط سنة ١٩٥٣، اشتغل كإمام مساعد أو Assistant minister، وبقى مقضي وقته بين ديترويت وشيكاغو، اللي كان بيروحها كل ما تجيله فرصة عشان يقضي وقت مع إليجا.

وإليجا فتحله بيته ورحب بيه هو ومراته واعتبروه واحد من ولادهم، مالكوم مش بس اتعلم من إليجا الدين ولكن كمان اتعلم القيادة، تقدر تقول الوقت اللي قضاه مع إليجا كان mini mba، كورس مكثف في القيادة والتعامل.

ومن المواقف اللي علمت في دماغه، لما لقاه واقف بيكنس محل بقالة مملوك للمسلمين في شيكاغو، عشان يوري أتباعه إن الشغل مش عيب، وإن السود حالهم مش هيتحسن غير بشغلهم وتعبهم، وده كان مخليه مستعد يموت نفسه عشان خاطر إليجا ورسالته.

ومع الوقت تأثيره بدأ يظهر وعدد الأعضاء ابتدا يزيد، فإليجا رقاه ومالكوم بقى minister في خلال أقل من سنة، وعشان يستفيد من قدراته قرر يسفره في الشمال على الساحل الشرقي، ويوديه مدينة مفيهاش مكان عبادة خاص بيهم عشان يأسس فرع للمنظمة هناك، ووقع اختياره على بوسطن.

بوسطن بالنسبة لمالكوم أوضة وصالة، له فيها صولات وجولات وياما مشي في شوارعها، رافع شعار الخيل والليل وتجار المخدرات تعرفني، فقدر يجند عدد أعضاء كبير في وقت قليل، وكمان جاتله فرصة يشوف إيلا اللي رفضت دعوته في البداية قبل ما تنضم للمنظمة وتعلن إسلامها.

ويشوف كمان إيفيلن ويليامز، اللي فضل في قلبها له مكان بعد كل السنين دي، ونجاحه الملحوظ ده على قد ما خلاه يبان ويتحب، على قد ما خلى بعض القادة في المنظمة تشيل منه وتكرهه.

تقول لي: ليه ده الراجل شايف شغله؟

يا عزيزي، ما هي المشكلة إنه شايف شغله، كونه شايف شغله معناه إن في غيره مش شايفين شغلهم.

Doing a better job means that someone else was doing a worse job!

وده ابتدا تأثيره يبان لما إليجا ابتدا يغير قادة المعابد، عشان يوسع الطريق لمالكوم، اللي كان رافع شعار أنا في التجنيد معنديش ياما ارحميني.

تقول لي: معلش مين هم قادة المعابد؟

منظمة ال رأسها على، شيكاجو في الرئيسي المقر في قيادتها، الهرمية شديدة منظمة NOI national captain of ال Raymond Sherif بنته جوز طول على وتحته، محمد إليجا fruit of islam، مسؤول الشباب اللي في قوات الدفاع، اللي شبه فرق الكشافة وطبعاً مسئول عن تدريبهم، وفي نفس الوقت المسؤول عن الأصول العقارية والأنشطة التجارية للمنظمة.

تقول لي: وهم عندهم أنشطة تجارية؟

أوفكورس، وكله في سبيل الله.

وإلى جانب كابتن رايموند في مراته كابتن muslim ال عن المسؤولة إليجا بنت، Ethel girl training، نظام شبه فروت أوف إسلام، لكن مخصص لتدريب البنات على مهارات تساعدهم في مشوارهم كزوجات وأمهات، تحت شعار الست ملهاش غير جوزها وولادها.

وأمين الخزانة وده دور كان بيلعبه ولاد إليجا، إليجا جونيور وهربرت محمد، هم دول قمة الهرم بالإضافة لباقي أفراد عائلة إليجا، اللي كانوا بيتعاملوا على إنهم العائلة المالكة، وفي كل

بلد فيها معبد كآن بيبقى فيها هرم مشابه.
على رأسه المينيستر أو الإمام، ومعاه MGT ال وكابتن captain fruit of islam وأمين الصندوق وتحت منهم باقي الأعضاء.
ومالكوم على قد ما جاب أعضاء، على قد ما لفت انتباه جوز بنت الحج صاحب البيت، كابتن رايموند شريف اللي حس إنه بيصعد بسرعة جنونية، فحب يخلي عينه عليه، وأمر كابتن جوزيف إنه يسيب ديترويت ويروح معاه بوسطن، وأمره إنه يبقى تابع له مباشرة عشان يضمن إن مالكوم يفضل تحت السيطرة.
ومن أول ما راح مكنش عاجبه اللي مالكوم بيعمله، مالكوم أدرك إن مصر مش تونس وبوسطن مش ديترويت، بلد هارفارد و MIT صعب تتقارن ببلد مصانع العربيات، الشباب هنا أغلبه مثقف ومتعلم على عكس الأعضاء اللي جندوهم قبل كده، ولذلك لازم الخطاب يليق بالمتلقي عشان يقدروا يجذبوهم.
وبالفعل مالكوم نجح في جذب شباب كتير متعلمين من الطبقة الوسطى، حس إن هما دول اللي هيرفعوا راية المنظمة وهيشيلوها على أكتافهم، بينما جوزيف حس إن الشغلانة عيِّلت قوي، وإن العيال التوتو خريجين الجامعات اللي مالكوم مضيع وقته عليهم، دول ميعتمدش عليهم.
إحنا عايزين رجالة تاكل الزلط مش يقضوها بريزينتيشنز!
ورغم اعتراض جوزيف، استراتيجية مالكوم في التركيز على الشباب المتعلمين جابت نتيجة، انتهت بتأسيس المعبد رقم ١١ في بوسطن، اللي آخر مرة سابها كان حرامي مترحل للسجن، فسبحان مغير الأحوال.
بعد بوسطن مالكوم أسس معبد جديد في فيلاديلفيا، هو وكابتن جوزيف بقوا مولعين الدنيا في المدن الشرقية أو ما يسمى في أمريكا بال east coast، ولكن زي ما حصل في بوسطن الكريدت كله راح لمالكوم ولا كأن جوزيف موجود.
فإليجا قرر يبعته عاصمة الإيست كوست والشمال كله، المكان اللي مالكوم شبهه بالجنة قبل ما يتحول لجحيم، نيويورك.
وسافر معاه كابتن جوزيف، وراحت وراه إيفيلين اللي مستحملتش بُعده، وهناك إليجا إداله الجائزة الكبرى، وكلفه بتولي مسؤولية harlem temple number ٧.
مالكوم الطفل السابع لإيرل، طول عمره بيحب الرقم سبعة وبيتفائل بيه، وتوليه مسؤولية معبد هارلم اللي تعتبر إحدى أهم عواصم السود في أمريكا، مسؤولية كبيرة وشرف عظيم، ولكن على عكس كل البلاد اللي راحها قبل كده، تجنيد أعضاء جدد في هارلم كان في منتهى الصعوبة.
أولًا لأنها بلد أغلب السود فيها غير مهتمين بالشأن العام، وعايشين حياة فردية عنوانها هو اللامبالاة، كل واحد عايش لنفسه اليوم بيومه، وثانيًا لأنها بلد مهمة، وبالتالي فيها حركات كتير منها منظمات قديمة، زي منظمة جارفي ومنظمات تانية جديدة، كلهم بيتنافسوا على جذب انتباه الرجل الأسود وضمه لصفوفهم.
وثالثًا وده الأهم لأن أهل نيو يورك، وبالأخص في هارلم كانوا على دراية بالإسلام، بسبب انتشار طائفة الأحمدية الهندية من أواخر القرن ال١٩، وبالتالي أغلب كلام مالكوم عن

الإسلام وضرورة استقلال السود، في وطن منفصل مكنش حاجة جديدة ولا مميزة للي بيسمعوه، وإن كانت طريقته هو شخصياً هي عنصر الجذب الأهم.
طوله وثقافته وقدراته الخطابية اللي طورها على مدار سنين طويلة في السجن وفي ديترويت، خلوا أي حد يسمعه بيتكلم يتعلق بيه وينبهر بكلماته النارية، وزي ما فريق young pharos، بيقولوا كلماتي عالربابة طلقات ٩ ملي، مالكوم كلماته كانت مدفع جرينوف مضاد للطيارات.
وفي يوم ٢٦ فبراير سنة ١٩٥٥، في الاحتفال السنوي للمنظمة اللي بيحتفلوا فيه بعيد ميلاد المؤسس والاس فارد اللي اتولد سنة ١٩٨٧، والأعضاء بيسافروا فيه من كل مكان لرؤية وسماع إليجا بيتكلم، مالكوم كان نجم الحفل الأول بلا منازع.

خلال أقل من سنتين قدر يزود عدد الأعضاء في ديترويت ٣ أضعاف، وأسس معابد جديدة في بوسطن ونيويورك، وأعاد إحياء المنظمة في هارلم، ولذلك كل العيون كانت عليه في الحفل السنوي اللي ظهر فيه كواحد من المقربين لإليجا.
وواحد من الناس اللي شافوه واتعلقوا بيه شاب عنده ٢١ سنة، مغني وعازف طموح اسمه لويس والكوت
غير اسمه بعد كده للويس فاراقان، وفاراقان اسم مشتق من الفرقان، كان في شيكاجو وقت الحفل ومتردد في الانضمام للمنظمة فقرر يروح يشوف الكلام على إيه؟
وإليجا اللي بلغوه بوجود المغني الشاب، في نص خطابه بدأ يوجه له الكلام وعينه في عينيه، فلويس وقع في حبه من أول يوم، وقرر هو ومراته الانضمام للمنظمة، بعتوا طلب العضوية وقعدوا خمس شهور محدش رد عليهم.
شاف فيهم لويس مالكوم تاني أثناء إحدى خطبه في نيويورك، فحس إن مالكوم ده لا يمكن يكون شخص طبيعي وقال:
I had never heard a black man in my life talk the way this brother talked!
مشفتش في حياتي رجل أسود بيتكلم زي مالكوم، فاراقان بقى بيبص لمالكوم كأخ أكبر، وبقى بيحاول يقلده في كل حاجة، لبسه وكلامه ومشيته، حتى نظامه الغذائي المكون من وجبة واحدة في اليوم، وبما إنه فنان فملكة الخطابة والتأثير في الجماهير كانت عالية عنده.
فمالكوم لاحظ موهبته وخده تحت جناحه وعينه Assistant minister، وبعد كده ربنا كرمه وبقى مينيستر قد الدنيا في بوسطن، وطول الوقت ده فضل شديد القرب لمالكوم اللي قال عليه:
.The father I never had
أو الأب اللي عمري ما شفته، ولفت الأيام واليتيم اللي كان بيدور على أب بقى هو نفسه أب للي محتاجينه، وابتدا يبقى عنده مجموعة من الشباب اللي بيحبوه، وبيبصوله بفخر واعتزاز لدرجة إن بقى اسمهم الدارج في المنظمة Malcolm ministers.
كل ده حسسه بالفخر، وأنه بقى له تأثير إيجابي على الناس لأول مرة في حياته، فعمل زي الطفل اللي بيجري على باباه لما ينجح عشان يوريه النتيجة، وبعت لإليجا جواب سنة ١٩٥٦ قال له فيه:
The east coast has many rough spots due to the newness of the muslims but overall the dead are rising!
الدعوة كانت صعبة في الساحل الشرقي، لكن الميتين بيصحوا من أول وجديد، يقصد إن السود وصلت لهم الرسالة وبقوا بينضموا للمنظمة بأعداد كبيرة، وطلب منه يروحله شيكاجو عشان يزود عدد الأعضاء هناك.
ولتاني مرة من ساعة ما قاد الحراك ضد إدارة السجن، مالكوم يقرا إليجا غلط وميتوقعش رد فعله، على قد ما كان مبسوط بالأعضاء الجدد، على قد ما ابتدا يقلق بسبب صعود نجم مالكوم بسرعة صاروخية، فابتدا يحط عينه عليه أكتر.

وطلب من كل المينيسترز يبدآوا يبعتوله تسجيل لأي وكل خطاب يتقال جوة المعابد، وبعت لمالكوم يرفض طلبه بالحضور لشيكاجو، ورفض كمان طلبه باستبدال بعض المينيسترز اللي شايفهم غير أكفاء
وقال له:

The speed, perhaps desirable, could destroy an old« »car

الدعوة فن مش عن عن، وقال له: كمان:

I would rather have a mule I can depend upon« »than a racehorse that I can't depend on

أنا أفضل حصان عجوز ممكن اعتمد عليه على حصان سباق لا يعتمد عليه، في إشارة واضحة إنه بيفضل الولاء والطاعة فوق أي حاجة، رسالتين في غاية الأهمية مالكوم مفهمهمش غير بعد فوات الأوان.
والحقيقة إن رفض إليجا لطلبه ما أحبطوش، مالكوم قطر مبيبصش غير لقدام، فرمي ورا ضهره وقال المسنجر أكيد عنده حق واستمر في جذب أتباع جدد، ولكن اتباع مالكوم مكنش ببلاش، على قد ما مالكوم كان بيحبهم، وبيخاف على مصلحتهم على قد ما كان «شخصية حازمة، ملتزم بالنظام التزام صارم»
وفي الانضباط واتباع تعليمات إليجا محمد معندوش ياما ارحميني.
لما صدر أمر سنة ١٩٥٥ بمنع الأعضاء من الغناء أو لعب المزيكا، مالكوم بلغ لويس إن قدامه أربع أسابيع وساعتها لازم يختار يا المنظمة يا المزيكا، موقف صعب انتهى باختيار لويس للمنظمة، اللي حبه ليها ولإليجا كان لا يقل عن حب مالكوم ليهم، ده بالإضافة إن مالكوم في الحق ميعرفش أبوه.
في أحد الأيام في منتصف الخمسينيات كابتن جوزيف ضرب مراته، ولما مالكوم عرف عمله محكمة داخلية في المنظمة أثبتت التهمة عليه، فعاقبه بالفصل التام لمدة ٩٠ يوم.
٩٠ يوم لا بيدخل الجامع ولا أي مطعم من مطاعم المسلمين ولا بيكلم حد منهم، جوزيف اللي عاشر مالكوم من أيام ديترويت، وراح معاه بوسطن وعاش معاه في فيلاديلفيا قبل ما يروحوا نيويورك، مالكوم متترددش أبدًا يوقع عليه عقوبة لإن ده العدل، والعدل بالنسبة له أحق أن يتبع، والعدل ده طبعًا يشمل تعليمات إليجا.
في أحد الأيام وهو قاعد في مطعم المعبد في هارلم، لقى أخوه ريجنالد اللي مشافوش بقاله سنين داخل عليه، ريجينالد حالته اتدهورت بعد طرده من المنظمة ومقاطعة أخواته ليه، ولكن على عكس ما توقع إن مالكوم هياخده بالأحضان ويرحب بيه.
مالكوم طرده من الجامع وقال له إنه غير مرحب بيه في أماكن المنظمة، فخرج مش مصدق نفسه إن أخوه اللي كان سبب في انضمامه للمنظمة دلوقتي هو اللي بيطرده، فحالته سائت وانهار نفسيًا لدرجة إنه تم إيداعه في مستشفى للأمراض العقلية، ولما مالكوم عرف مصعبش عليه أخوه ولا حس بالذنب، وقال إن أكيد اللي بيحصله ده عقاب له من ربنا.
ولكن مش كل الناس بتتعامل مع الأمور بالصورة المجردة دي، وكابتن جوزيف منسالوش الموقف ده أبدًا، بينما لويس بسبب نجاحه اللافت للأنظار، المنظمة حبت تكافئه وفي نفس الوقت تستغل موهبته، وقالوا له إن مسموح له يغني في حفلاتهم ويعمل أغاني دعائية ليهم،

فأصدر واحدة من أشهر أغنيات السود في القرن العشرين: White man's heaven is a black man's hell.

والحقيقة الوايت مان ومؤسساته وبالأخص البوليس، كانوا حاطين عينيهم على المنظمة، اللي في خلال سنين قليلة عدد أعضائها زاد وبقى بالآلاف، واللي خلاهم يركزوا معاهم أكتر فروت أوف إسلام، مجموعة منظمة ومتدربة على الفنون القتالية، شبه الجيش ولكن من غير سلاح، وبيتكلموا في اجتماعاتهم إن الرجل الأبيض ده شيطان، وإن الحرب بين السود والبيض جاية جاية، وإنهم بيستعدوا لها من دلوقتي.

فالبوليس وتحديدا ال FBI زرعوا مخبرين في كل أنحاء المنظمة، وبقى من المؤكد إن الصدام بينهم مسألة وقت مش أكتر، والوقت ده كان أقرب مما حد يتخيل.

يوم ٢٦ أبريل سنة ١٩٥٧، في قلب هارلم، أفراد من البوليس كانوا بيضربوا رجل أسود بالعصيان بتاعتهم وبياكلوه علقة موت في وسط الشارع، المنظر المعتاد في الجنوب وغير المعتاد في الشمال، شافه ٣ شباب سود فدمهم غلي وزعقوا عشان ينقذوا الراجل، وقالوا للبوليس إحنا مش في ألاباما هنا، إحنا في نيويورك.

فالضباط حسوا بالإهانة وقالوا لهم طب تعالوا أنتم كمان مقبوض عليكم، واحد منهم عضو في معبد رقم ٧ اسمه جونسون هينتون متحركش من مكانه، فالضباط ضربوه ضرب مبرح، رأسه اتفتحت وجاله نزيف داخلي وورم في المخ من كتر الضرب، وبعد كده رموه في العربية وخدوه مع باقي الشباب على القسم.

وفي مشهد شبيه بمشهد الخناقة من فيلم إبراهيم الأبيض، واحدة معدية شافت هينتون بيتضرب فجريت على مطعم المنظمة على بعد كام شارع عشان تبلغهم.

في ثواني كابتن جوزيف بلغ مالكوم وأعلن حالة الطوارئ، واستدعى كل رجالة الفروت أوف إسلام، لسنين المنظمة كانت بتجهز لمعركة منتظرة، والمعركة جاتلها لحد عندها.

على المغرب مالكوم ومعاه مجموعة من شباب المنظمة، اتحركوا على القسم وطلبوا يشوفوا جونسون، الضباط نفوا وجوده وقالوا له معندناش مسلمين هنا، مالكوم حس إنه بيتضحك عليه ففضل جوة وقال لهم إنه مش هيمشي لحد ما يطمن عليه، في الوقت ده الخبر انتشر وعدد الناس اللي واقفين برة من داخل وخارج المنظمة عدى ال٥٠٠ واحد.

الضباط في القسم قلقوا، وحسوا إن الوضع ممكن يخرج عن السيطرة، فغيروا رأيهم وسمحوا لمالكوم يشوفه، وقلبه وجعه من اللي شافه.

جونسون قال لمالكوم إنه أول لما وصل القسم، ركع عشان يصلي فالضابط ضربه بالعصاية في فكه وقصبة رجله، مالكوم حس بمزيج من الحزن والغضب، إيه حجم الكره اللي ممكن يوصل إنسان يعتدي على إنسان تاني بالشكل ده؟

مالكوم طلع وقال للضباط جونسون محتاج يروح المستشفى دلوقتي حالًا! الضباط مش متعودين إن حد أسود يكلمهم كده، ومش فاهمين مين اللي عامل فيها باراك أوباما ده؟

لكن الوضع كان مشتعل، والناس برة اللي عددهم عدى ال ٢٠٠٠ بني آدم كانوا على صفيح ساخن، فالضباط وافقوا ونقلوه على المستشفى.

مالكوم حس إن الضباط مش ناويين على خير، فقرر ميمشيش لحد ما يطمن على جونسون وبعت وراه مجموعة من ال FOI مكونة من ١٠٠ واحد، مشيوا في وسط الشارع في صف

واحد، في مشهد حسس أي حد شافهم إنهم كتيبة عسكرية، مش مجرد أعضاء في منظمة دينية، وزي ما توقع بعد وصوله المستشفى الضباط رجعوه تاني على القسم.
الناس رجعوا وراه على القسم والمرة دي عددهم وصل ٤٠٠٠ واحد، وبقم عاملين زي البركان اللي أوشك على الانفجار، مالكوم دخل القسم تاني وطلب إنهم يرجعوا جونسون المستشفى، فقالوا له مش هينفع لحد ما يتعرض على النيابة الصبح.
فقال لهم إنه هيستنى في الشارع لحد الصبح، وفي حركة حب يوريهم بيها مدى قوته عشان ميستفردوش بجونسون جوة، رفع إيده في صمت وراح مشاور للآلاف اللي واقفين عشان يتحركوا، وفي خلال ثواني كله بدأ يتحرك في المكان اللي شاور عليه باتجاه مطعم المعبد، سمعوا كلامه من غير ما حد يسأله بتعمل إيه ولا رايح فين.
المشهد كان مبهر ومرعب في نفس الوقت للضباط اللي واقفين قدام القسم، وعمرهم ما شافوا حد عنده قدرة على التحكم في الجماهير بالشكل ده.
لدرجة إن واحد منهم قال لمراسل جريدة
The New york Amsterdam news
No man should have that much power!
مفيش حد المفروض يبقى عنده كل القوة دي!
ولكن مالكوم مكنش أي حد، وتاني يوم جونسون خرج والقضية اتحفظت والمنظمة رفعت قضية تعويض، اتحكم فيها لصالح جونسون اللي البوليس دفع له ٧٠ ألف دولار، أكبر مبلغ يدفع في قضية تسوية في تاريخ نيويورك.
ولما اتسأل عن موقف المنظمة في أول اجتماع بعد الحادثة قال:
We do not look for trouble, we do not carry knives or guns. But we are also taught that when one finds something that is worthwhile getting into trouble about, he should be ready to die, then and there, for that particular thing
يعني زي ما الفنان محمود عبد العزيز قال، بالصلاة عالنبي إحنا حلوين قوي قوي مع بعض، لكن ساعة الغلط نطرطش زلط، لحمنا مر منتاكلش، وإن اتاكلنا عضمنا ناشف منتقرش، وإن اتقرشنا، نشرخ في الزور ومنتبلعش.
اللي حصل لهنتون بقى حديث هارلم كلها، والمشهد اللي الناس شافته من قوة وتنظيم أعضاء المنظمة، خلى الناس تنضم بأعداد مهولة، السود حسوا لأول مرة إن ممكن يبقى ليهم ضهر، وعنف الشرطة أشعل في قلوبهم شعور العنصرية والاضطهاد، وخلاهم أكتر استعداداً لتقبل خطاب المنظمة، خاصة لما حسوا أنها عندها برنامج شامل لتحسين حياتهم، على عكس منظمات تانية أحادية الأهداف، سياسية أو اجتماعية.
منظمات بلغة الفنادق NOI all inclusive ال بينما bed and breakfast، بالإضافة للجوامع عندهم مدارس ومحلات، بالإضافة لبرنامج اجتماعي شامل كان من أهم علاماته برنامج مكافحة الإدمان، اللي حقق نجاح ساحق في إعادة تأهيل المدمنين، عن طريق إنهم بيقعدوا مع مجموعة عينها عليهم ٢٤ ساعة، تضمن إنهم مش هيتعاطوا ولا هيروحوا أي حتة تفكرهم بالمخدرات، لحد ما يتعافوا بنسبة ١٠٠٪.

وأثناء كل ده بيوفروا ليهم الدعم المطلوب ماديًا ونفسيًا، والأهم إنهم بيحسسوهم إنهم بني آدمين مقبولين ومحبوبين، وإخوات مرحب بيهم في المنظمة.
البرنامج كتبت عنه النيويورك تايمز، وطالبت بتوسيع تطبيقه في أمريكا للاستفادة من نجاحه، وكل ده زود من شعبية المنظمة وزود من شعبية مالكوم اللي بقى بيتبصله على إنه، The King of Harlem أو ملك هارلم.

النضال بين الدمج والانفصال

رغم النجاح الملحوظ للمنظمة فضل مجالها محدود محليًّا في بعض الولايات، وفضلت تتلقى انتقادات مستمرة بأنها منظمة بتاعة كلام بلا أفعال، وبينما مالكوم كان ملك في هارلم، كان في ملك تاني بيصعد بسرعة الصاروخ لعرش حركة الحقوق المدنية في أمريكا كلها.

داعية مسيحي حاصل على الدكتوراة في علم اللاهوت من جامعة بوسطن، عمل في خلال عدة سنوات اللي المنظمة معرفتش تعمله في حوالي ٣٠ سنة، التلميذ النجيب للمهاتما غاندي، مارتن لوثر كينج.

بعد نهاية الحرب الأهلية الأمريكية في القرن ال١٩ تم إنهاء العبودية بصورة قانونية، وبدأ بعدها عصر جديد من التمييز، يعني مثلًا سنة ١٨٧٠ الدستور أقر بحق التصويت للجميع بغض النظر عن العرق أو الجنس.

فالولايات الجنوبية احتالت على التعديل ده، بأنهم أقروا ضريبة على التصويت، بما إنهم عارفين إن السود أغلبهم فقراء ومش هيقدروا يدفعوا، وبدأوا في التفرقة بين البيض والسود في كل نواحي الحياة العامة، في المطاعم والمحلات في اللي بيرفض دخولهم من أساسه، وفي اللي بيخصصلهم ركن ورا كده مداري جنب المطبخ، كانهم جايين يسكوروا مش جايين ياكلوا أو يشتروا.

وفي المدارس الحكومية بقى مدارس للبيض ومدارس تانية للسود، وفي المشروعات السكنية بقى في أماكن حلوة للبيض وأماكن مهملة للسود وهكذا، تحت شعار Different but equal، حيلة سوَّف لها الشيطان ورفع لها القبعة، السود هياخدوا نفس الخدمات ولكن بشكل منفصل فزعلانين ليه بقى؟

ولكن الدمج الصوري بين البيض والسود زود شعور السود بالاضطهاد، فظهرت منظمات زي ال NAACP أو، ال National association for advancement of color people، هدفها مكافحة العنصرية من الناحية القانونية في المحاكم، فتبنت قضايا السود المناهضة للعنصرية ووفرتلهم الدعم المادي والقانوني.

وفي نفس الوقت ظهرت منظمات تانية زي ال UNI بتاعة جارفي، بتقول إحنا مش عايزين من وشكم حاجة إحنا عايزين ننفصل، واستمر الوضع كما هو عليه لحد الحرب العالمية التانية، اللي السود حلموا بعد مساهمتهم في انتصار أمريكا إن وضعهم يتحسن، ولكنهم رجعوا من الحرب لقوا إن الوضع كما هو عليه، على عكس البيض اللي ربنا كرمهم آخر كرم.

بعد الحرب تم بناء مدن جديدة زودت الشغلانات المطلوبة في قطاع الإنشاء، وفي نفس الوقت زودت الطلب على العربيات، فمصانع العربيات زادت و٨٠٪ من الأمريكان بقى عندهم عربيات، و١٤٪ منهم عندهم عربيتين، وانتشر التلفزيون في البيوت وانتشر معاه السفر عن طريق الطيران.

بعد سنوات من اقتصاد الحرب والمعاناة الحياة بقت كنافة بالمانجا، لكن الوضع كان عكس

كده تمامًا بالنسبة للسود، اللي تم إقصاؤهم من المدن الجديدة، وحشرهم زي السردين في بيوت قديمة حالتها تصعب على الكافر.
تم التمييز ضدهم في التعيينات والوظائف، واللي بيتعين منهم كان بيتم التمييز ضده في الأجور، وده أدى إن في الوقت اللي البيض في أمريكا كانوا بيشهدوا ما يسمى بالعصر الذهبي، ٥٠٪ من السود كانوا عايشين تحت خط الفقر.
ده بالإضافة للإهانة اليومية اللي بيتعرضوا ليها في المحلات والمطاعم والمواصلات، ولكن كل ده كوم والتمييز ضد الأطفال في المدارس كوم تاني خالص، وظهرت أصوات شايفة إن الحل الحقيقي للقضاء على العنصرية بيبدأ من الطفولة، مينفعش نفصل مدارس الأطفال ولما يكبروا نقولهم بلاش عنصرية.
ولذلك في بداية الخمسينيات، تم تجميع القضايا المرفوعة ضد التفرقة في المدارس في قضية واحدة، تبنتها ال NAACP باسم Brown VS Board of Education، ليندا براون بنت عندها ٨ سنين في ولاية كنساس اتمنعت من دخول مدرسة للبيض جنب بيتها، واطلب منها تروح مدرسة تانية تبعد عدة أميال، فأبوها رفع قضية وصلت للمحكمة الدستورية العليا، القضية المجمعة سمعت حوالين أمريكا والناس اتقسموا نصين.
نص شايف إن السود بيتلككوا لأن عندهم مدارسهم اللي زيها زي مدارس البيض، ونص تاني شايف إن البيض بيستعبطوا لأن مدارس السود أفقر وجودة التعليم فيها أقل، القضية قعدت فترة في المحكمة لحد ما أصدرت حكم تاريخي سنة ١٩٥٤، بعدم دستورية الفصل بين الطلاب في المدارس، واستندت في حكمها لعدة تجارب اتعملت لقياس تأثير الفصل على الأطفال.
لقوا إن بغض النظر عن جودة المدرسة، الفصل نفسه بيحسس الأطفال السود بدونية، وده بيأثر على حماسهم وحبهم للتعليم، وبالتالي أغلبهم مبيكملش تعليم، فمبيلاقيش شغل فبيفضل فقير وهكذا، دائرة مشئومة ليس لها نهاية.
ولو فاكر يا عزيزي، هتلاقي إن مالكوم لما المدرس قال له: آخرك تبقى نجار، قال طب وعلى إيه الهم ده بقي، وحياته اتغيرت ١٨٠ درجة، الحكم كان أول انتصار كبير لحركة الحقوق المدنية، ولكن زي ما انت عارف يا عزيزي، لكل فعل له رد فعل موازي له في القوة ومعاكس له في الاتجاه.
الولايات الجنوبية وتيار العنصرية، حس إن دمج المدارس خطوة أولى في طريق نهايته الدمج الشامل بين البيض والسود، فبدأوا في مقاومة الدمج بشتى الطرق، لدرجة إن بعض الولايات قفلوا المدارس بدل ما يسمحوا بتعليم السود فيها.
والقرار اللي كان مفروض يمهد لسلام مجتمعي بقى بداية لحرب أهلية، ولكن زي ما قرار زي ده أعاد إحياء الكوكلوكس كلان، اللي كل ما تحصل أزمة للبيض عدد أعضائها يزيد، زي ما أدت دفعة قوية لحركة الحقوق المدنية، اللي أعاد إحيائها واحد من أشهر حركات المقاطعة في تاريخ أمريكا، The montgomery bus boycott أو حركة مقاطعة الأتوبيسات في مدينة مونتغمري بولاية ألاباما سنة ١٩٥٥.
في ١ ديسمبر سنة ١٩٥٥، روزا باركس ركبت الأوتوبيس عشان تروح بعد يوم شاق وطويل في الشغل، الأوتوبيس زي كل الأتوبيسات في ألاباما مقسوم جزأين، جزء للبيض وجزء تاني

أصغر للسود في آخر الأتوبيس من ورا.
الأتوبيس كان فاضي لما روزا ركبت فقعدت قدام، ولكن بعد كام محطة طلع راجل أبيض والسواق طلب منها تقوم تقعد في المكان المخصص لها ورا، فرفضت وقالت أنا وهبت نفسي لله ومش هاتحرك من مكاني، فتم القبض عليها باعتبارها خارجة عن القانون اللي مخصص لها مكان محدد في الأتوبيس، والقبض عليها ده كان الشرارة اللي أدت للانفجار.
نشطاء حركة الحقوق المدنية تحالفوا مع المنظمات العمالية والنسوية وبعض الكنائس، وأنشأوا حركة
Montgomery improvement association
أو ال MIA اللي تولى قيادتها مارتن لوثر كينج.
قس شاب عنده ٢٦ سنة حاصل على الدكتوراة، وخطيب مفوه لما بيتكلم بيهز جبال، مثله الأعلى المهاتما غاندي اللي نجح في قيادة حركة التحرير الهندية عن طريق المظاهرات السلمية، وعن طريق اعتماده على فلسفة الحب والسلام.
ومن أول يوم الحركة قالت لهيئة المواصلات التابع لمجلس المدينة يلا سلام، الحركة دعت لمقاطعة الاتوبيسات للضغط عليهم ماديًا، المقاطعة نجحت نجاح ساحق، واستمرت لمدة ٣٨١ يوم انتهوا بحكم المحكمة الدستورية العليا، بعدم دستورية فصل المواصلات العامة في ألاباما، ومارتن لوثر كينج بقى نجم حركة الحقوق المدنية الجديد.
ولكن رغم النجاح ده المنظمة مشاركتش في الحركة، وفي الوقت اللي كانت الحركة بتناضل فيه من أجل حق السود في التصويت، ال NOI كانت بتشجع أعضائها على عدم التصويت، وبتروج إن الإنجازات دي مجرد عمليات تجميل سطحية هدفها التنفيس عن الغضب.
إنما المنظمة بتقول للسود اغضبوا فالمعركة قادمة، قادمة إمتى؟
محدش عارف الحقيقة، إليجا بيقول إنها جاية بقالها ٢٥ سنة، ومالكوم بيردد وراه، ولما حد يسأله جاية إمتى يقوله لا والله ماعرفش أنا قريت لحد هنا بس.
ولكن عدم وضوح الرؤية ممنعوش من جذب آلاف الأعضاء الجدد، اللي كانوا بييجوا يسمعوه مخصوص
ومن أهمهم شابة هتلعب دور من أهم الأدوار في حياته، بيتي ساندرز، المعروفة باسم بيتي X.
بيتي بنت لأب رجل أعمال وأم ربة منزل، ناشطة في المنظمات الحقوقية اللي بتنادي بحقوق السود، درست التمريض وشغالة ممرضة في نيويورك، ممرضة معاها في المستشفى عزمتها على إيفينت نظمته المنظمة، فراحت ومعجبهاش الكلام فقالت والله مانا راجعة تاني.
وايت مان إيه وبلو آيد ديفيل إيه؟ الممرضة قالتلها مرة كمان بس عشان خاطري، فراحت معاها تاني والمرة دي مالكوم كان بيخطب، وأول ما شافته قالت مين الراجل الطويل الرفيع اللي عنده سوء تغذية ده؟
جذب انتباهها فاتكلمت معاه بعد ما خلص، فلقته على عكس منظره الحازم على المسرح، رجل هادي ومثقف ولسانه حلو، فوقعت في حبه وانضمت للمنظمة، وأعلنت إسلامها وبقت مسؤولة تدريس الصحة في برنامج ال MGT بتاع البنات.
تقول لي: هي الحياة كلها تجنيد؟ فين التظبيط؟ هو المسلم مينيستر مفكرش يكمل نص دينه؟

يا عزيزي، لا يوجد رجل مبيفكرش في التزاوج، بس مالكوم عديم الثقة في الستات بوجه عام وكان مقتنع إن الأولوية لشغله.
لكنه حس إنه محتاج يفكر في موضوع الجواز بجدية، لما ابتدا يسمع إشاعات عن علاقاته الغرامية، وأول واحدة فكر فيها هي صديقته القديمة، اللي فضلت تزوره في السجن إيفيلين ويليامز، وبالفعل اتقدملها ووافقت تتجوزه ولكنه كسر قلبها وتراجع عن الجواز بصورة مفاجئة.
لأنه حس إنها بتحب مالكوم بتاع زمان، ومالكوم بتاع دلوقتي غير مالكوم بتاع زمان، فعمل زي ٩٠٪ من الشباب المصري لما يحبوا يفركشوا، وقال لها: إنتي تستاهلي حد أحسن مني، وفسخ الخطوبة.
في الوقت ده حس إن بيتي ممكن تكون عروسة مناسبة، مثقفة ومتعلمة ومتعرفش حاجة عن ماضيه، ويبدو أنها هتساعده يتفرغ لشغله في المنظمة، فكلمها ونزل معاها أول Date أو موعد غرامي في حياتهم، هتسألني فين؟
في ال natural history museum أو متحف التاريخ الطبيعي، مالكوم عارف إن العين عليه ولازم يبقى قدوة، ويلتزم بتعاليم الإسلام في التعامل بين الراجل والست، فلما قابلها وارتاح لها اتقدملها على طول، ولما وافقت اتجوزها سنة ١٩٥٨.

وأول ما الخبر وصل لإيفيلين انهارت من العياط وخرجت من المعبد بتجري، ولما مالكوم عرف كلم إليجا محمد وقال له: أنها بنت رائعة وموهوبة، وأنها ليها حق تزعل منه، وكنوع من أنواع التعويض غير المباشر رشحها تشتغل سكرتيرة، فإليجا وافق وإيفلين سافرت شيكاجو، ومالكوم مكنش يعرف إنه بيبعتها إلى التهلكة.

أما بالنسبة لبيتي اللي صممت على الجواز رغم معارضة أهلها، بعد الجواز اكتشفت أنها متجوزتش مالكوم ولكن اتجوزت منظمة بحالها، الراجل مفيش في دماغه حاجة غير المنظمة ومفيش على لسانه غير The honorable Elijah Muhammad،معندوش وقت لعايزة ورد يا إبراهيم.

فدخلت في حالة اكتئاب والمشاكل بينهم زادت، ومالكوم بقى مش طايق نفسه، لدرجة إنه بعت يشتكي إليجا محمد إنها بتنكد عليه، زي ما انت عارف يا عزيزي: Unhappy wife = unhappy life زوجة غير سعيدة تساوي حياة كئيبة.

وبسبب مشاكله مع بيتي مالكوم بقى بيهتم بالشغل أكتر وأكتر، ورجع تاني يسافر بعد ما حاول يقلل السفريات بعد الجواز، فلف على بعض المدن والولايات من ضمنهم لوس أنجلوس، إحدى المدن الشرقية اللي المنظمة بتسعى إن يبقى ليها تواجد فيها.

لكن السفرية الكبيرة جاتله في منتصف عام ١٩٥٨ ، بعد دعوة الرئيس جمال عبد الناصر لإليجا محمد، لزيارة مصر وتأدية مناسك الحج في السعودية.

مع صعود نجم المنظمة، ابتدت تتعرض لهجوم من المسلمين السنة اللي شافوا أنها واخدة بعض الحاجات من الإسلام، ولكنها بتخالف أغلب تعاليمه وبالذات ادعاء إليجا النبوة، إليجا خد الموضوع على صدره لدرجة إنه أمر أتباعه لفترة إنهم يصلوا في اتجاه ديترويت بدل مكة.

ولكن مع زيادة الشعبية زادت حدة الهجوم، وإليجا حس إنه محتاج ياخد شرعية من الدول والمنظمات الإسلامية، لتقوية وضعه في أمريكا كممثل عن ديانة مؤمن بيها حوالي نص مليار مسلم حول العالم، فبعت للرئيس جمال عبد الناصر يهنيه باستضافة مصر لمؤتمر الوحدة الأفرو أسيوية.

فتاني سنة عبد الناصر بعت يهنيه باحتفال ال savior day، وعزمه ييجي مصر ومن هناك يطلع على السعودية، ولكن إليجا صحته كانت تعبانة وبتسوء من سنة للتانية، فقرر إن الأفضل إنه ميسافرش ويبعت مالكوم، وقد كان.

يوم ٤ يوليو سنة ١٩٥٩ مالكوم وصل القاهرة كممثل عن nation of islam، واللي استضافه خلال الرحلة نائب رئيس الجمهورية أنور السادات، مالكوم انبهر بحجم التطور اللي في مصر، اللي كانت بتشهد طفرة في التصنيع والتحديث، هي دي إفريقيا اللي مفهمينا إنهم عايشين في كهوف؟

بالإضافة إنه انبهر إن على عكس أمريكا مفيش تفرقة في الألوان، الناس أغلبها لونها بني بسبب الشمس ومش فارقة بقى بني غامق ولا بني فاتح، ولكن على قد ما انبهر بالبلد وأهلها اللي كانوا بيرحبوا بيه بشدة كل ما يعرفوا إنه مسلم جاي من أمريكا.

على قد ما اتكسف من نفسه وحس إن الدين اللي بيدعو إليه ده ميعرفش عنه حاجة خالص، خاصة بعد ما قابل شيوخ من الأزهر وسمع منهم إزاي الإسلام مبيفرقش بين حد والتاني

بسبب اللون، وإن الناس سواسية عند الله كأسنان المشط، وإن أفضلكم عند الله أتقاكم.
ولقى إنه مش عارف يصلي معاهم لأنه مبيفهمش عربي، وحس لأول مرة إن النسخة اللي اتعلمها من إليجا لا تمت للواقع بصلة، ومع ذلك فضل يحترمه ويبجله، لدرجة إن لما عبد الناصر عرض إنه يقابله رفض، واعتذر بلطف وقال إنه لا يرتقي لمقابلة الرئيس، كونه مجرد خادم مخلص لإليجا محمد.
وبعدها سافر السعودية وهناك لاحظ نفس الملاحظات، ورفض إنه يحج قبل معلمه، وانتهت الرحلة بدرس فضل معاه لآخر حياته، وهو إن أفريقيا هي المستقبل، فرجع أمريكا وهو ناوي يقوي علاقات المنظمة الدولية، ومكنش عارف ساعتها المستقبل مخبيله إيه.
بعد عودة مالكوم لنيويورك كان على موعد مع حدث خلاه أشهر من نار على علم في أمريكا، مسلسل The Hate that hate produced، أو الكره اللي أنتجه الكره.
المسلسل التلفزيوني عبارة عن خمس حلقات وثائقية، كل حلقة نص ساعة بتتكلم عن صعود منظمة black supremacistك صنفت اللي، Nation of Islam organization، منظمة مؤمنة بتفوق السود عكس المنظمات الوايت سوبرماسيست زي الكوكلوكس كلان.
المسلسل حقق نسبة مشاهدات غير متوقعة، لدرجة إن القناة عادت عرضه تاني على التليفزيون، والجمهور اتقسم نصين، البيض مش مصدقين نفسهم، ومرعوبين إن في منظمة وسطهم عدد أعضائها بالآلاف بتكره البيض وبتقول عليهم شياطين، وبتدعو لانفصال السود عنهم وإقامة دولة مستقلة ليهم.
والسود مقسومين نصين، نص شافوا المنظمة وسمعوا مالكوم بيتكلم على التلفزيون لأول مرة، فحسوا إنه بيعبر عنهم وقرروا ينضموا، ونص تاني شايف إن المنظمة دي هتكون سبب في خسارة كل المكاسب اللي حققتها حركة الحقوق المدنية.
اللي بتعتمد في خطابها على المحبة والسلام في سبيل مجتمع خالي من الفصل العنصري، بقالنا سنين بنطالب بال separation تقولوا انتوا تيجوا integration؟
مارتن لوثر كينج قال:
Black supremacy is as dangerous as white supremacy!
الإيمان بسيادة الجنس الأسود لا يقل خطورة عن الإيمان بسيادة الجنس الأبيض.
وقال كمان الحل في السلام مش في العنف.
There is more power in socially organized masses on the march than there is in guns in the hands of a few desperate men.
قوة الجماهير اللي بتتظاهر أكبر بكتير من قوة السلاح في إيد بعض اليائسين.
بالإضافة إن خطاب الحج يعقوب وسفينة الفضاء وشيطنة البيض، فشل في جذب الطبقة الوسطى من المتعلمين، اللي اعتبروا الكلام اللي سمعوه في المسلسل ده هراء لا يستحق الرد عليه.
ولكن المنظمة نجحت في جذب الآلاف من الطبقات الدنيا، وردت على هجوم حركة الحقوق المدنية عليها بمنتهى الشراسة، وقالت إنه رغم مرور ٥ سنين على حكم عدم دستورية فصل المدارس، إلا إنه ما زال عدد الطلاب السود اللي في مدارس مختلطة لا يتعدى ٢٪!

وآكدت إن الرجل الأبيض لا يمكن يسمح بالاندماج، وبالتالي الحل المنطقي الوحيد هو الانفصال، مع التشديد على إن في فرق شاسع بين ال separation وال segregation، هما مش بيطالبوا إنهم يكونوا مواطنين درجة تانية في نفس البلد مع البيض، ولكن بيطالبوا بالانفصال الكلي وتأسيس دولتهم المستقلة.

الخطاب نجح نجاح ساحق مع السود، اللي مكانوش شايفين أي منطق في إن الواحد يحب حد، أو يلتزم بالسلمية مع حد تاني بيقهره ويدوس على رقبته، فالأعضاء عددهم زاد من ٦٠٠٠ لحوالي ٥٠ ألف عضو في أقل من سنتين.

ومالكوم بقى شهير كالوجه الآخر لمارتن لوثر كينج، كينج بيقول لو حد ضربك على وشك لف واديله خدك التاني، إنما مالكوم بيقول:

If a white man turned his dogs on your babies, your woman and your children, then you ought to kill the dogs, whether they've got four legs or two.

لو الراجل الأبيض طلق كلابه عليك وعلى مراتك وأولادك، يبقى لازم تقتل الكلاب سواء الكلاب دي عندها أربع رجول أو حتى رجلين!

كينج مسيحي، مالكوم مسلم، كينج بيقول دمج، مالكوم بيقول انفصال.

ظهوره في الإعلام كالنسخة المضادة من كينج نجم نجوم الحركة، خلاه محل اهتمام الإعلام اللي كانوا بيلجأوا ليه لإضعاف كينج، وفي نفس الوقت لأخذ تصريحات نارية يبيعوا بيها الجرائد، وده خلاه أشهر من إليجا محمد نفسه.

فبقى ضيف دائم على البرامج التليفزيونية، وبدأت تجيله دعوات لإلقاء خطب وحضور ندوات في الجامعات، منهم كلية الحقوق في جامعة هارفارد، اللي آخر مرة عدى من قدامها وقت ما كان في عصابة سرقة البيوت من حوالي ١٥ سنة.

ورغم مهارته في النقاش والجدال، كان بيتعرض لهجوم قوي في الندوات اللي بيروحها أغلبه بيدور حوالين ٥ نقط، الأولى هي مدى عبث رواية نهاية العالم وقصة يعقوب والسفينة، فمالكوم كان بيقول إن كل الأديان في جزء فيها بيتعلق بالإيمان، غير المؤمنين ممكن يشوفوه خرافة.

والتانية هي سؤاله عن إمكانية إنشاء دولة مستقلة، وإيه الخطوات اللي بياخدوها، ودي أكتر نقطة بتزنقه لأنه مبيعرفش يرد عليها، وكان بيكتفي إنه يقول إن إليجا لسه مشاركش معاهم خطته.

النقطة الرابعة هي كراهيته لليهود، فكان بيرد ويقول إنه مبيكرهش اليهود ولكن بيكره الاستغلال، والخامسة هي كراهيته للبيض وتشبيههم بالشياطين، ولما اتسأل إذا كان طول حياته مشافش أي حد ساعد السود قبل كده، قال آه شفت هتلر وستالين، هتلر حط ضغط على البيض فاضطروا يشغلونا وستالين جه بعده واستمر في الضغط.

ورغم حجم الاهتمام الإعلامي اللي خلاه شخصية عامة معروفة في أمريكا كلها، مالكوم مكفهوش وقرر إن من أجل نشر رسالة إليجا على أكمل وجه، محتاجين جريدة تعبر عنه، فأنشأ سنة ١٩٦٠ جريدة Muhammad Speaks، وعين فيها صحفيين ومراسلين محترفين، فنجحت وكسرت الدنيا لدرجة إن توزيعها عدى النص مليون نسخة.

وكل نجاح من دول كان بيعليه أكتر في نظر المنظمة، ولكنه كان بيخليه خطر في نظر العائلة المالكة، مالكوم ابتدا يحس إن حاشية إليجا بتغير منه، بس كان متأكد إن إليجا نفسه بيحبه، ومكنش يعرف إن القلوب بتتغير.

من الحب ما قتل

إليجا اللي كان شعاره في الشغل لا تحرك ساكن ولا تسكن متحرك، ابتدا يحس إن مالكوم بقى أكبر من المنظمة، وبقى ليه ميول واهتمامات سياسية، وده معجبش إليجا لأنه أولًا عايز ياكل عيش، السياسة هتجيب مشاكل فخلينا قاعدين نلم فلوس من الأعضاء، ونشتم في الوايت مان والدنيا حلوة.

ثانيًا لأنه ابتدا يغير منه، في البداية لما كانت دايرته المقربة بتحاول تقومه على مالكوم، وتقوله إنه شايف نفسه وواخد الشو الإعلامي كله لنفسه، كأنها منظمة أبوه مش منظمة إليجا.

إليجا كان بيقولهم إنه السبب في وصول رسالتهم لأكبر عدد ممكن، والسبب في جذب الآلاف من الأعضاء، وقدرته على التعامل مع الإعلام دي هي السبب، اللي خلاه يعينه كمتحدث رسمي عن المنظمة كلها، لأنه كل ما بيكبر إليجا والمنظمة كلها بيكبروا معاه.

لكن الزن على الودان أمر من السحر، لما نجم مالكوم ارتفع أكتر من إليجا ذات نفسه، ابتدا يغير منه ويحاول يفرمله، لكن مالكوم كان قطر مبيقفش، ومكفهوش الشهرة والتأثير المحلي وبقى له طموحات دولية، والفرصة جاتله لحد عنده مع زيارة فيدل كاسترو لنيويورك سنة ١٩٦٠.

مين فيدل كاسترو؟

ابن غير شرعي لإقطاعي كوبي، أظهر علامات نبوغ دراسية ورياضية من سن صغيرة، وفي الجامعة بقى ناشط سياسي، وشارك في حركات تحرير خارج كوبا في كولومبيا والدومينيكان.

وسنة ١٩٥٢ بعد استيلاء الجنرال باتيستا المدعوم بأمريكا على حكم كوبا وإلغائه للانتخابات، جمعوا مجموعة عسكرية بهدف خلع باتيستا، اللي اتهزم رغم فرق القوات بعد سبع سنين وهرب من كوبا سنة ١٩٥٩، وتولى من ساعتها كاسترو رئاسة كوبا.

وسافر لأمريكا سنة ١٩٦٠ عشان يشارك في مؤتمر الأمم المتحدة، ولكن بما إنه يساري معادي لأمريكا، السلطات منعت خروجه من مانهاتن هو والوفد اللي معاه، اللي فيهم صديقه ورفيقه في الثورة تشي جيفارا، والأوتيل اللي كانوا حاجزين فيه طلب منه دفع مبلغ كبير كاش، توتو على كبوته!

اللي يعمل ثورة على باتيستا، ممكن يعمل ثورة على الأوتيل وميدفعش الحساب، فكاسترو قال لا ده أنتم كده زودتوها قوي، وهدد إنه هيبات هو واللي معاه في العراء في جنينة الهايد بارك، الخبر وصل لمالكوم فعزمه هو والوفد اللي معاه في أوتيل تيريزا، أحد أشهر الأوتيلات المخصصة للسود في نيويورك.

كاسترو قبل الدعوة، وقابل مالكوم اللي اتصور معاه وعمله جولة في المنطقة، وتحول في خلال ٢٤ ساعة لرمز دولي بيمثل السود الأمريكان أمام رؤساء دول العالم.

الصورة على قد ما إدت له برستيج، على قد ما زودت اهتمام ال J قيادة تحت به FBI مدير وبقي كرمه ربنا ما لحد، السود النشطاء ملاحقة من كارير عمل اللي، Edgar Hoover NOIال تأثر مدى عن الكونجرس أعضاء وبعض هو يتساءل وابتدا، كلها FBI ال بالشيوعية.

خلي بالك يا عزيزي، الكلام ده سنة ١٩٦٠، والحرب الباردة والذعر النووي حاضرين على الساحة وبقوة، فإليجا قال له: بتعمل إيه الله يخربيتك هتودينا في داهية! إزاي تقابل شخصية دولية بالحجم ده من غير ما تاخد إذني ولا تقول لي حتى؟!

وفي لقاء صحفي بعدها اتسأل عن رأيه في مقابلة مالكوم لكاسترو، فقال إنه مكنش يعرف وأنه لو كان يعرف كان رفض المقابلة، في أول خلاف علني بينه وبين مالكوم، خلاف ال FBI كانت حريصة أنها تحافظ عليه وتكبره.

والحقيقة مش ال FBI بس اللي كانت مهتمة بالمنظمة، سنة ١٩٦٠ مالكوم جاتله دعوة غير متوقعة من الكوكلوكس كلان عشان يتقابلوا، ومبقاش فاهم يا ترى ده فخ ولا دي الكاميرا الخفية ولا إيه؟

الكوكلوكس كلان عايزة تقعد مع المنظمة ليه؟ وبعدين دول العدو الأول للرجل الأسود في أمريكا، دول قتلوا أبويا! قرر يبلغ إليجا الرسالة، وفي نفس الوقت يستعد عشان يعلن عن الدعوة، ويهاجمهم ويعمل منهم عبرة إعلاميًا.

ولكن المفاجأة إنه لما بلغ إليجا، قال له: روح قابلهم وخد معاك Jeremiah x مسؤول المنظمة في الجنوب، أقابلهم إزاي يا حج محمد؟ هو أنا رايح أقعد مع منى الشاذلي؟ دول الكوكلوكس كلان!

فإليجا قال له: لازم نعمل اللي فيه مصلحة المنظمة، وطالما بعتولنا بالشكل ده يبقى عايزنا في حاجة مهمة.

مالكوم اللي عمره ما رفض طلب لإليجا وافق على المقابلة، وفي لقاء سري للغاية في يناير سنة ١٩٦١، حصل اجتماع مع كبير الكوكلوكس كلان ومالكوم إكس وجيريمياه كممثلين عن المنظمة، الاجتماع بدأ بتأكيد الكوكلوكس كلان إنهم معندهمش أي مشاكل مع المنظمة، لأنهم good niggers.

بيطالبوا بالانفصال ومؤمنين إن البيض والسود عمرهم ما هيبقوا واحد، عكس الباد نيجرز اللي في حركة الحقوق المدنية وعلى رأسهم مارتن لوثر كينج، ولذلك هما شايفين المنظمة حليف مهم وعايزين يتعاونوا معاها لتحقيق هدف الفصل اللي المنظمتين بيطالبوا بيه، طب وإيه فايدة التعاون ده؟

إن المنظمة مش هتشارك في الحركة، وفي نفس الوقت الكوكلوكس كلان مش هتتعرض لأعضاء المنظمة في الجنوب، مالكوم حس بخنجر في قلبه، بقى بعد كل ده، الكوكلوكس كلان شايفة إن ال NOI حليفة؟ وإن حركة الحقوق المدنية اللي ياما هاجمها وقلل من إنجازاتها هي الخطر الحقيقي؟

أسئلة خطيرة مبطلش يفكر في إجابتها، غير لما كبير الكلان سأله إذا كان يعرف عنوان مارتن لوثر كينج، عشان بيدوروا عليه بقالهم فترة ومش لاقيينه، ولو عرفوا مكانه هيقتلوه.

مالكوم اترعب، وحس لأول مرة إنه قرفان من نفسه، أسد المنظمة اللي ياما دعا الرجل الأسود لأخذ حقه والدفاع عن نفسه، قاعد في اجتماع سري مع العدو الأول ومصدر الرعب الأكبر للرجل الأسود.

وفي نفس الوقت ابتدا يبص لمارتن لوثر كينج، اللي ياما اتريق عليه في خطبه بصورة مختلفة تمامًا، يبدوا إن اللي بيعمله مارتن مش لعب عيال، وإلا مكنوش قعدوا معاه بينما بيحاولوا

يقتلوا مارتن، فقال لهم إنه ميعرفش مكانه، وإنه حتي لو اختلف معاه في الطريقة فلا يمكن يبقى في سبب في أذيته.
فقالوا له يا عم وهو حد قالك تأذيه، قولنا عنوانه بس وسيب الباقي علينا، فحس لأول مرة بمشاعر سلبية تجاه إليجا اللي حطه في الموقف ده، ولما الاجتماع خلص وبلغه باللي حصل فيه، إليجا قال له يبلغهم إنه موافق على التعاون.
وأنه عايزهم يساعدوه ياخد حتة أرض صغيرة، إن شا الله مركز أو محافظة يعمل عليها دولته المستقلة، في اللحظة دي في حاجة اتكسرت جوة مالكوم تجاه إليجا، أول مرة يشوفه بيعمل حاجة في السر عكس اللي بيقوله في العلن، وأول مرة يلاحظ الجانب المظلم ده في شخصيته، ولكن ما خفي كان أعظم.
سنة ١٩٥٩ إيفيلين ويليامز الآنسة غير المتزوجة حملت، وكعادة المنظمة عقوبة الزنا هي الفصل والمقاطعة التامة، مالكوم لما عرف الخبر اتصدم ومبقاش عارف هي ازاي عملت كده، والمسلمين اللي يعرفوها تساءلوا يا ترى مين الأب؟ ومكنش حد يتخيل إن الأب هو إليجا محمد!

لما إيفيلين سافرت شيكاجو بعد جواز مالكوم نفسيتها كانت محطمة، وخلال وقت قليل كان على علاقة غير شرعية بيها، وكأنه بينتقم وبيطلع غيرته من مالكوم، اللي كان خاطبها وخلاص هيتجوزها، إليجا استغل مكانته مش بس كقائد ولكن كزعيم ديني مُدعي النبوة، وأقنعها أنها هتبقى مراته.

ولكن بعد ما حملت والفضيحة انتشرت طردها من المنظمة، ولما كلمته تطلب منه فلوس قال لها لا يا ماما أنا مش سانتا كلوز، ورفض يديها ولا مليم، وسنة ١٩٦٠ لما خلفت وجابت بنت، إليجا قال لها: أقسم بالله ما ولادي!

ومش بس كده، من سنة ١٩٥٩ ل١٩٦٠، ٤ ستات من مكتب شيكاجو أو كانوا مسافرين تدريب وراجعين تاني حملوا منه، ولما لقى إن العيال كترت والإشاعات زادت، كلمها وحاول يصالحها وطلب منها تاخد بالها من باقي أطفاله غير الشرعيين، مقابل إنه هيأجرلها بيت على حسابه ويحولها فلوس كل شهر.

إيفيلين رفضت في الأول، ولكن بسبب زيادة المصاريف وقلة الفلوس وافقت، ولكن بعد فترة الاتفاقية انهارت لأنه كان بيبعت ملاليم كل شهر مبتكفيش أكل الأطفال، ولما كلمته تشتكي رفض لتاني مرة وقال لها: أنا ميتلويش دراعي.

فقالت مبدهاش بقى، وخدت بنتها ومعاها سكرتيرة سابقة من ضحايا إليجا ومعاها بنتها برضه، وراحوا خبطوا على بيته في شيكاجو، ففتح ومرضيش ياخد الأطفال وطلب لهم البوليس، ابنه والاس كان مروح شاف المنظر وكان متأكد إن دول اخواته.

ومراته كلارا اللي شالت المنظمة على أكتافها لما كان في السجن قلبها وجعها، واشتكت لبنتها من إليجا وقالتلها: I am sick of being treated like a dog، أنا تعبت من معاملته ليا ككلبة مبتحسش!

البوليس جه وخدوا البنات ودوهم الشؤون الاجتماعية، وقضية إثبات النسب اترفعت في المحكمة، لكن إما بسبب الخوف أو بسبب الحب، لما إيفيلين وزميلتها اتسألوا عن والد الأطفال، مقالوش اسم إليجا

فالأطفال رجعولهم والقضية اتقفلت، لكن الفضيحة مخلصتش.

الأخبار انتشرت في كل حتة، ووصلت لل FBI اللي حسوا أنها هدية وقعت لهم من السماء، فابتدوا يبعتوا جوابات من غير أسامي للأعضاء وأئمة الجوامع، يقولوا لهم على اللي حصل، ووجهوا المخبرين إنهم ينشروا الإشاعة في كل حتة.

مالكوم لما سمع الكلام ده مصدقوش، الإنكار رد فعل طبيعي بيلجأ له المخ كحيلة دفاعية عند هدم الثوابت، وبالنسبة لمالكوم الحقيقة الثابتة الوحيدة في حياته هي إليجا محمد، ولذلك مدورش ورا الإشاعات ولا اهتم يتأكد إذا كان الكلام اللي سمعه صح ولا غلط، واستمر في اللقاءات الإعلامية والندوات الأكاديمية والجهود الدعوية.

وسنة ١٩٦١ قابل شاب صغير عنده ١٩ سنة، ومكنش يعرف لما قابله إنه هيكون أشهر مسلم في العالم في القرن العشرين، كاشيوس كلاي.

كلاي ملاكم من لويس فيل وحاصل على الميدالية الذهبية في أولمبياد روما ١٩٦٠، أول مرة يسمع عن المنظمة كان سنة ١٩٥٩، كان في شيكاجو عنده بطولة الجولدن جلوف أو القفاز الذهبي، اللي زيها زي بطولة الجمهورية.

هناك شاف مجموعة من الأعضاء واقفين في الشارع بعد آحد الاجتماعات، ولما قرب منهم بفضول عشان يعرف الكلام على إيه، واحد منهم قال له عن المنظمة واداله اسطوانة عشان يسمعها، عليها أغنية لويس فارقان White man heaven is black man hell.
ولما رجع لويس فيل بعد البطولة، بقى بيشغل الاسطوانة دي ليل ونهار بلا توقف، وبعد عودته من الأولمبياد وسفره لميامي عشان يتمرن، قابل أعضاء المنظمة هناك وبقى بيحضر اجتماعاتهم، وبقى بيروح الجامع ومع الوقت أعضاء جامع ميامي بقم يزوروه في التدريب.
أول مرة يشوف مالكوم كان في شيكاجو سنة ١٩٦١، راح يشوف المسنجر إليجا محمد ويسمعه بيتكلم لأول مرة، ولما خلص راح أحد المطاعم التابعة للمنظمة، فقابل مالكوم هناك.
لقاه قاعد وشه للباب ومحاط بمجموعة من الأعضاء بتسمعه وبتبصله بحب واحترام، كلاي اللي عنده ١٩ سنة دخل المطعم وراح يسلم عليه، مالكوم أعجب بثقة الشاب الصغير اللي قدامه، وحس إنه متوقع إنه يعرفه رغم إنه ميعرفوش ولا عمره سمع عنه.
فكلاي قال له: إنت متعرفنيش؟ أنا كلاي بطل الأولمبياد في الملاكمة، وبإذن الله بطل العالم القادم في الوزن الثقيل.
فقال له: حبيبيبي، معرفكش إزاي بس؟ أهلًا أهلًا يا بطل.
كلاي أعجب بمالكوم من أول مقابلة، خاصة لما قال له: إن ال non violence دي بتاعة العيال التوتو، إنما إحنا زينا زي الملاكمين مستنيين الفرصة عشان نضرب!
كلاي عجبه الكلام ومن ساعتها بقى من أصدقائه المقربين، كلاي لقى في مالكوم الأخ الأكبر، وبقى بيقلده حتى في كلامه، وبيتعلم منه أصول الدين اللي أبدى اهتمام شديد بيه، خاصة لما عرف إنه دين الرجل الأسود، وأنه بيدعو للفصل بين البيض والسود.
طبعًا هو لا بيدعو ولا حاجة، بس نسخة إليجا كانت جاذبة للسود اللي حاسين باضطهاد زي كلاي، لأنها بترد لهم إحساسهم بكرامتهم.
وفي الوقت اللي إليجا كان ضد الرياضة، وبالذات الملاكمة اللي شايفها تضييع وقت وفلوس، مالكوم اللي حضر لحظة فوز جو لويس ببطولة العالم، وتأثيرها على الأطفال السود، كان فاهم الأثر العملاق اللي ممكن يلعبه البطل، أثر ممكن يكون أكبر من أي حاجة وصلتلها المنظمة لحد دلوقتي.
وكلاي رغم إن سنه صغير، ولسه معملش اسم في ملاكمة المحترفين، إلا إنه عنده ثقة بالنفس ماركة زلاتان إبراهيموفيتش، ومؤدي موهوب بالفطرة، بيعرف يتعامل مع الإعلام وبيديهم اللي هما عايزينه فبيمشوا وراه في كل حتة.
وده خلاه خلال سنتين من رجوعه من الأولمبياد، يلعب في ساحة ماديسون سكوير جاردن في نيويورك، والتذاكر تخلص في وقت الملاكمة كانت بتعاني فيه من غياب النجوم، وبالتالي قرب منه وخده تحت جناحه.
ومع الوقت حبه كأخ أصغر، وبقى الوحيد من وسط كل معارفه اللي ممكن يعزمه في بيته، ويقعده مع أطفاله، وقال عليه He is my blood brother أخويا بالدم، ومكنش يعرف إن أول جريمة في العالم كانت بين أخين.
علاقة كلاي بمالكوم والمنظمة كلها بوجه عام، فضلت في السر خوفًا على مستقبله

كملاكم محترف لسه بيشق طريقه، ولكنه استمر في مقابلة مالكوم كل ما تجيله فرصة، اللي بقى بيعتبره زيه زي رودي أخوه.
وباستثناء خلافاته مع بيتي اللي كانت بتزيد مع الوقت مش بتقل، سنة ١٩٦٢ كانت سنته الذهبية بلا منازع، في السافيور داي إليجا قال عليه خليفته، وأعلن إنه من هنا ورايح بقى له سلطة أكبر لحل النزاعات داخل المنظمة كذراعه اليمين، وشكره على الملأ.
وبقى من المتوقع إن إليجا اللي صحته اتدهورت، ووزنه نزل لحد ما بقى ٥٦ كيلو، لما يتكل على الله عاجلًا أو آجلًا، مالكوم هيبقى خليفته في الملاعب.

وبعد الاحتفال بسبب الأزمة المزمنة اللي عند إليجا، الدكاترة نصحوه يسيب شيكاجو ويروح يقعد في طقس جاف، فراح مدينة فينيكس بولاية أريزونا وبقى قاعد هناك معظم الوقت، وزي ما انت عارف يا عزيزي، إن غاب القط العب يا فار.

بُعد إليجا عن شيكاغو معناه زيادة نفوذ حاشيته، وعلى رأسهم كابتن رايموند كبير الفروت أوف إسلام، اللي سمعتهم ابتدت تبقى سيئة، وشكاوي الأعضاء ابتدت تكتر منهم، بسبب عنفهم مع أي عضو يطلع منه أي موقف مخالف لتعاليم المنظمة.

لو حد شافوه بيشرب سجاير بيضربوه، لو حد شرب خمرة أو أكل لحم خنزير بيضربوه، لو حد مدفعش الاشتراك أو مشتراش جريدة محمد سبيكس، اللي كل عضو بقى ليه كوتا لازم يخلصها كل عدد بيضربوه برضه.

المجموعة شبه العسكرية اللي كان هدفها حماية المسلمين، بقت سيف على رقبة المسلمين، ووجودها متسببش في ردع الهجوم عنهم، وده اللي أثبتته مجزرة لوس أنجلوس.

في أوائل الستينيات حركة الحقوق المدنية كانت على صفيح ساخن، خاصة بعد انضمام طلاب الجامعات لصفوف المعركة السلمية ضد العنصرية، مارتن لوثر كينج كان شايف إن السلمية هي أفضل طريقة لكسب تعاطف الناس، خاصة لما يشوفوهم بيتعرضوا لعنف وهم بيطالبوا بحقوقهم.

استراتيجية نجحت في نضال غاندي لتحرير الهند من الجيش البريطاني الجبار، وفي فرصة تنجح في أمريكا خاصة مع انتشار التلفزيون، تقول لي: إزاي يعني الناس هتتعاطف لما يتعرضوا للعنف؟ هو مارتن عايزهم يضربوهم؟

أيوة يا عزيزي، مش عايزهم يضربوهم حبًّا في الأذى، ولكن عشان الحركة معتمدة على الميول الأخلاقية الفطرية عند عموم الناس، اللي لما يشوفوا أبرياء بيتضربوا ضميرهم هيصحى ويتعاطفوا معاهم، إلى جانب إن استخدام القوة قصاد خصم أقوى يعتبر انتحار مش شجاعة.

على عكس مالكوم اللي قال في واحدة من أشهر مقولاته:

We believed in a fair exchange. An eye for an eye. A tooth for a tooth. A head for a head and a life for a life. If this is the price of freedom, we won't hesitate to pay the price.

العين بالعين والسن بالسن والبادي أظلم.

وقال بوضوح إن اللي هيتهور هيتعور:

You might see these negroes who believe in nonviolence and mistake us for one of them and put your hands on us thinking that we're going to turn the other cheek, and we'll put you to death just like that.

اوعو تفتكرونا عيال توتو، هتضربونا على خد فهنلف وندیكم الخد التاني، اللي هيمد إيده علينا هنقتله! في رسالة واضحة إن المنظمة مش هتضرب وتسكت، زي ما بيحصل في مظاهرات حركة الحقوق المدنية.

كلامه ده خلى ناس كتير تتهمه بالترويج للعنف، رغم إنه في الحقيقة كل كلامه في سياق

الدفاع عن النفس، والكلام ده استفز البوليس، وبقى واضح إن المواجهة بينهم وبين المنظمة مسألة وقت مش أكتر.
في صيف سنة ١٩٦٢، البوليس في مدينة لوس أنجلوس لمح مجموعة من أعضاء المنظمة، كانوا واقفين في ساحة الركن اللي قدام الجامع، كلمة من هنا على كلمة من هنا البوليس اشتبك مع المجموعة، وطلعوا مسدساتهم وبدأوا في إطلاق النار.
الأعضاء جريوا جوة الجامع، فالبوليس اقتحم الجامع واستمر في إطلاق النار، وانتهت المواجهة بمقتل العضو رونالد ستوكس، وشلل عضو تاني بالإضافة لإصابة خمس أعضاء.
وعلى عكس رواية البوليس اللي قال إن ضرب النار كان دفاع عن النفس، كل الرصاص باستثناء رصاصة واحدة كان مضروب من الضهر، يعني الأعضاء اتضربوا بدم بارد وهم بيحاولوا ينفدوا بروحهم.
مالكوم لما عرف الخبر انهار في العياط، رونالد من أعز أصدقائه وأقرب أعضاء المنظمة إلى قلبه
وحقه لازم يرجع مهما كان التمن!
فسافر للوس أنجلوس وكلم إليجا محمد، وقال له: طول عمرك بتتكلم عن معركة قادمة ودلوقتي جه وقتها.
Brother you don't go to war over a provocation they could kill a few of my followers but I am not going to go out and do something silly
صلِّ على النبي واخزي الشيطان، معركة إيه ونيلة إيه عايزين ناكل عيش، وأمره أمر مباشر بعدم الرد، وبعت رايموند شريف كابتن ال FOI، اللي المنظمة كلها كانت مستنية ردها على اللي حصل للوس أنجلوس، لضمان عدم التصعيد.
مالكوم مبقاش مصدق نفسه، هيقول إيه للناس اللي ياما سمعوه بيقول إن الرجل الأسود عمره ما هيبقى حر وهو مش قادر يدافع عن نفسه؟
The black man will never be free if he is not able to defend himself!
الأعضاء جاتلهم حالة من الإحباط العام، وحسوا إن الناس اللي كانوا بيقولوا إن المنظمة بتاعة كلام عندهم حق، فالأعضاء ابتدوا يسيبوا المنظمة بأعداد كبيرة، إليجا حس إنه لازم ياخد موقف قبل ما الموضوع يكبر، فخطب في الأعضاء وقال لهم إن اللي حصل ده مش هيعدي! وقال لهم:
Go out on the streets, and start war with the white devils!
يا فرج الله! القاضية ممكن؟ اغضب يا ريس بقى ووريهم الوش التاني.
هننزل نولع في القسم؟
لا.
هنخطف الضباط اللي قتلوه؟
لا برضه. هنبيع جرايد!
إليجا أعلن إن المجلة هتصدر مرتين في الأسبوع بدل مرة واحدة، عشان يلموا فلوس لمرات رونالد وأولاده، مالكوم مبقاش مصدق اللي بيسمعه! بقولك بيضربونا بالنار تقول لي: هننافس جريدة الأهرام! والجرنان ده هنحاربهم بيه ازاي؟! هنحمر عليه بطاطس؟!

وعلى قد ما كان مش مقتنع باللي بيسمعه، على قد ما كلام إليجا بالنسبة له آمر ولازم يتنفذ، فطلب من كل عضو من الأعضاء في الجامع بتاعه، يشتري نسختين من كل عدد لمدة ٣ شهور، وحذرهم إن اللي مش هيشتري هيطرد من المنظمة.

الجريدة باعت أعداد خيالية عدت ال٤٠٠ ألف نسخة بعد وفاة رونالد ستوكس، لكن المفاجأة إن الفلوس دي كلها راحت للمنظمة وأهله مخدوش ولا مليم! فكان رد ال fruit of islam لما عرفوا إن ابن عمه هو اللي سرب الخبر ده لباقي الأعضاء، إنهم مسكوه ضربوه علقة موت في وسط الشارع عشان يبقى عبرة لمن يعتبر.

المهزلة دي خلت حوالي ٤٠ واحد يسيبوا المنظمة من جامع بوسطن، الجامع صاحب يمكن أكبر نسبة من المتعلمين في المنظمة كلها، اللي إليجا غير اسمه من معبد لجامع هو وباقي المعابد في محاولة للتقرب من مسلمين الشرق الأوسط.

تقول لي: طب وبالنسبة لادعاء النبوة؟

لا هو مش عايز يقرب قوي كده.

ولما عرف إن الأعضاء بتمشي راح بوسطن، وقال للأعضاء إن زمان عقوبة المرتد عن الإسلام كانت الموت، في تهديد واضح لأي حد يفكر يلحق بزمايله، في الوقت اللي إليجا كان بيفكر إزاي يبيع جرائد؟

مالكوم كان بيفكر إزاي يوحد كل المنظمات في حملة موحدة ضد عنف الشرطة، تقول لي: حتى منظمات حركة الحقوق المدنية اللي ياما هزقهم؟

نعم يا عزيزي، مالكوم كان مفكر استراتيجي، عارف إنه لو دخل لوحده المعركة دي هيخسر، إنما لو دخلوها كلهم وقدروا يتوحدوا على اختلافاتهم على هدف واحد، وهو إنهاء عنف الشرطة ضد السود، هتبقى فرصهم أكبر في النجاح.

ولكنه مقدرش يعبر عن رغبته بصورة علنية بسبب إليجا، فبقى بيروح يحضر اجتماعات حركة الحقوق المدنية في نيويورك، يقعد ورا في آخر القاعة وينزل الطاقية على وشه عشان محدش ياخد باله، وكأنه أسد مربوط مش قادر حتى إنه يزأر.

بس مالكوم ميستحملش حد يربطه، في نهاية مايو مقدرش يمسك نفسه أكتر من كده، فشارك في مظاهرة في هارلم ونادى فيها باتحاد قادة حركة الحقوق المدنية في حركة واحدة، الخبر وصل لإليجا اللي أهل الخير مبيفوتوش فرصة عشان يقوموه على مالكوم، فحس إنه خرج عن السيطرة، وأنه خلاص بقى ماشي بدماغه ومحدش مالي عينه.

فقرر يعمل عدة خطوات لوقف خطورته ولقصقصة جناحاته، فأمره ميفتحش بقه وميتكلمش في السياسة إطلاقًا، يا يتكلم في الدين وفي الكلام اللي بيسمعه من إليجا يا ميتكلمش خالص، وعزله من رئاسة تحرير الجريدة وعين بداله ابنه ننوس عين مامته، هيربرت محمد.

وبعد توليه المجلة بقت بتتجاهل أخبار مالكوم تمامًا ولا كأنه موجود، فمالكوم حس إنه محتاج يهدي اللعب شوية، وابتدا يرفض على غير العادة دعوات الظهور في الندوات واللقاءات الإعلامية، على أمل إن مع الوقت إليجا هيصفى ويرضى عليه.

وفي نفس الوقت اللي إليجا كان بيخطط إزاي يضعف مالكوم، اللي قوته ابتدت تبقى خطر عليه، لإنه زي ما قولنا يا عزيزي، عايز يناضل بينما إليجا عايز ياكل عيش، الFBI عن طريق شبكة المخبرين اللي عندها في المنظمة، عرفوا إن في شرخ بين علاقة إليجا ومالكوم،

اللي ابتدوا يشوفوه أخطر من أي وقت فات بعد دعوته لاتحاد الفصائل.
وفي عز ما هم بيفكروا جاتلهم هدية من السما، مكتب شيكاجو بعت برقية لجيه إدجار هوفر سنة ١٩٦٢، بيبلغه إن جالهم تقارير إن إليجا مخلف ٧ أطفال غير شرعيين، من ستات كانوا معاه في المنظمة أغلبهم من صغار السن.
فالمكتب بدأ يكتب جوابات ويبعتها بدون أسماء لكل الفروع ولبيت إليجا ذات نفسه، فالإشاعات كترت والكلام وصل لمالكوم بصورة مكنش يقدر يتجاهلها، مش بس عشان يطمن ولكن كمان عشان يحمي المنظمة، من إشاعة ممكن تتسبب في انهيارها التام.
فقرر بما إنه مسافر شيكاغو عشان يحضر السافيور داي، إنه يروح يسأل والاس ابن إليجا المقرب إلى قلبه، أعقل وأنبل اخواته، اللي بعد نبوءة فارد لما اتولد بأنه هيقود المنظمة بعد أبوه.
إليجا جابله شيوخ من المسلمين السنة إدوله خلفية قوية عن الإسلام، فلما كبر اتخانق مع باباه بسبب بعده عن الإسلام الصحيح، ولكنه كان دايماً يرجع لما قلبه يحن، أو لما يخاف من اللي ممكن يحصله تحت شعار الدم عمره ما يبقى ميه.
مالكوم سافر عشان يقابله وسأله إذا كان سمع الإشاعات، فوالاس قال له: أيوة سمعت والإشاعات دي حقيقة، والأطفال دول إخواتي.
مالكوم حس بصدمة عمره، وحس إنه إطعن بخنجر من أعز الناس ليه، لما عرف إن إليجا أبو بنت عشرة عمره إيفيلين ويليامز، ومن الصدمة مبقاش عارف يعمل إيه ولا يفكر إزاي، وفجأة جاله خبر إن إليجا تعبان جداً وطلب منه يقود احتفال السافيور داي بداله.
وده كان سبب كافي للعيلة المالكة، وبالأخص هيربرت ورايموند شريف إنهم يكرهوه أكتر، ولما حسوا إن لازم يبقى في تواجد للدم الملكي بصورة أكبر في الاحتفال، طلبوا منه يدي مساحة لوالاس يخطب في الجماهير.
فمالكوم رفض وقال لهم إنه محتاج يقعد معاهم، عشان يتكلم معاهم في مشاكل تخص عيلتهم، والمشاكل دي كانت عبارة عن مشكلتين، كلام الناس عن علاقات إليجا النسائية، وكلام الناس عن البذخ اللي هم عايشين فيه.
فقالوا له واحنا نتكلم معاك في مشاكلنا ليه؟ إنت فاكر إنك في برنامج المسامح كريم؟ ده انت هبّت منك على الآخر!
فبعتوا يشتكوا لإليجا اللي قاعد في فينيكس، ويقولوا له شايف مالكوم بيعمل إيه؟ أديك كبرته لحد ما افتكر إنه واحد مننا، فأمر مالكوم يرجع على نيويورك، وهو حاسس إن أيامه في المنظمة بقت معدودة.

فصل مالكوم من أمة الإسلام

في نيويورك مالكوم مبقاش بيفكر في حاجة غير الكلام اللي قاله والاس، وقرر إنه محتاج يواجه إليجا بنفسه، فراح له وأول ما شافه إليجا خده بالحضن وقال له:

So what is it son?

وكأن كلمة ابني اللي إليجا اختارها بعناية كانت لجام اتحط على لسان مالكوم ففرمله، مقدرش ينسى إن إليجا ده كان سبب في هدايته وتغيير حياته وهو في السجن، فبدل ما يواجهه لقى نفسه بيحاول يبرر له، وقال له:

إنه سمع عنه إشاعات، وإن القرآن بيقول إن الكمال لله وحده، وإن كل الناس بتغلط، والإنجيل بيقول إن كل نبي له نقطة ضعف وابتلاء، واللي هو عمله ده تحقيق للنبوءة وإثبات إنه نبي!

إليجا مبقاش مصدق اللي بيسمعه، فتنهد بارتياح وقال له: الله ينور عليك، صح، دي فعلًا نبوءة وأنا فعلًا نبي وكل الأنبياء بيغلطوا.

مالكوم اتصدم أكتر، في جزء منه كان مستني إليجا ينكر، يقول لا محصلش دول كدابين، إنما كلامه ده اعتراف باللي عمله، واللي عمله ده ملوش غير معنى واحد، إنه راجل نصاب، وإن مالكوم ضيع نفسه وضيع كل اللي أقنعهم يمشوا وراه.

ولما سابه مقدرش يرجع نيويورك، كأنه متعلق بقشاية يطلع كل اللي سمعه غلط، وكل اللي حصل مجرد كابوس، راح زار إيفيلين اللي أكدت له مش بس علاقات إليجا النسائية المتعددة، ولكن كمان إنه بيغير منه، وفي الوقت اللي كان بيمدحه في العلن كان بيشتمه في السر.

بيقول لها إن مالكوم هييجي يوم ويسيبه، وأنه مهما كبر في الإعلام فهو تحت سيطرته التامة كأنه الكلب بتاعه بالضبط.

Malcolm is my lapdog!

مالكوم اتصدم وبقى في موقف لا يحسد عليه، عامل زي الست اللي بتحب جوزها واكتشفت إنه بيخونها، ومش قادرة تواجهه ولا قادرة حتى تواجه نفسها.

تقول لي: ده اسمه كلام؟ لازم يسيبه فورًا.

كلامك صح يا عزيزي، بس الكلام أسهل من الفعل، هيسيبه وهيعمل إيه؟ وهيعيش إزاي؟ مالكوم حياته كلها بتدور حوالين المنظمة، عايش في بيت واخده من المنظمة، وبيتحرك بعربية بتاعة المنظمة، وحتى مرتبه اللي مراته ياما اتخانقت معاه عشان مش مكفيهم بياخده من المنظمة.

لذلك مالكوم لجأ لحل بيلجأ له أغلب الناس اللي في علاقات سامة ومش قادرين يخرجوا منها، وهو ال denial أو الإنكار.

وبدل ما يسيب المنظمة بقى بيكلم القريبين منه، ويفكر معاهم إزاي ممكن يواجهوا الإشاعات دي ويوقفوها، الخبر وصل للتعابين اللي في شيكاغو من العائلة المالكة، فقالوا لإليجا شفت ابن الجزمة؟

مفهمك إنه خايف عليك وآهو طلع هو اللي ورا الإشاعات دي كلها، فالغل والغيرة زادوا في قلبه، وحس إن مالكوم مبقاش محل ثقة وأنه لازم يتخلص منه في أقرب فرصة، والفرصة دي جاتله لحد عنده.

يوم ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٣ تم اغتيال الرئيس جون كينيدي، والبلد دخلت في حالة حداد عامة، الرئيس كان محبوب الجماهير، وإليجا محمد بعت للمنظمة وحذرهم إن محدش يدي تعليق سلبي على موت الرئيس، عشان متحصلش مشاكل.

وفي لقاء صحفي مع مالكوم تم سؤاله عن رأيه في حادثة الاغتيال، فقال:

The chicken has come to roost.

أو فيما معناه كما تدين تدان.

مالكوم كان مقتنع إن الـ CIA وراء اغتيال رئيس وزراء الكونغو باتريس لومومبا، وإن الرئيس كان في إيده يوقف الاعتداءات على مظاهرات حركة الحقوق المدنية في الجنوب وموقفهاش، وبالتالي اغتياله نتيجة طبيعية لثقافة العنف المتفشية في أمريكا.

أهل الخير بلغوا إليجا بالتصريح فقال: بس، غلط وأنا مستنيه يغلط، وأعلن فصله من المنظمة لمدة ٩٠ يوم ممنوع فيهم من دخول الجامع، أو إلقاء أي تصريحات صحفية.

العقوبة كانت مفاجئة للأعضاء! معقول مالكوم يتفصل؟ ولكن الفصل ده كان علامة لأعضائه، إنه خلاص وقع من نظر إليجا، فابتدوا يهاجموه ويقوموا الأعضاء عليه.

كابتن جوزيف اللي منساش أبدًا الإهانة اللي اتعرضلها لما فصله بعد ضرب مراته، ابتدا يقول لأعضاء جامع هارلم:

.If you knew what brother Malcolm did you would kill him yourself

لو حد فيكم عرف مالكوم عمل إيه كان هيقتله بنفسه!

وإليجا وعيلته لقوها فرصة هايلة إنهم يطلعوه هو السبب ورا الإشاعات، وبما إن أتباع أي منظمة ديماجوجية زي دي يحبوا الإنكار زي عينيهم، ناس منهم ابتدت تصدق إن مالكوم هو السبب بالفعل.

أما مالكوم نفسه فكان عايم في مية البطيخ، كل اللي بيفكر فيه إزاي يصالح إليجا عشان يرضى عنه ويرجعه، فبعتله جوابات طويلة بيعتذر له وبيتحايل عليه، وإليجا رافع شعار الهاتف الذي طلبته ربما يكون مغلقًا، يعمل seen وميردش.

فمالكوم قرر يبعد عن هارلم، اللي بعد ما كان بيمشي فيها رافع شعار يا أرض اتهدي ما عليكي قدي، بقى ماشي فيها عينه مكسورة بعد ما اتفصل، وخد بناته ومراته وسافر لميامي عشان يبقى جنب كاشيوس كلاي، وهو بيستعد لأهم ماتش في حياته. ماتش بطولة العالم أمام المرعب سوني ليستون.

دي كانت أول مرة ياخد بناته ومراته ويسافروا في إجازة بعد السنين دي كلها، وفي ميامي كلاي اللي مش داري بالأحداث ومركز في التدريب، كان مستنيه في المطار ورحب بوجوده اللي كان دايمًا بيطمنه.

مالكوم كان غاوي تصوير ومعاه الكاميرا بتاعته، اتصور مع عيلته ومع كلاي وبعت الصور دي للجرايد، وكأنه عايز يحسن من سمعته اللي تضررت بعد تصريحه الأخير، عن طريق ظهوره كرجل عائلة مع أطفاله، وفي نفس الوقت ابتدا يفكر إن كلاي ممكن يكون مفتاح

عودته للمنظمة.
فبعت لإليجا محمد يستأذنه إنه يروح الماتش اللي هيتلعب يوم ٢٥ فبراير ١٩٦٤، وياخده تاني يوم بعد ما يكسب ويروحوا سوا احتفال السافيور داي يوم ٢٦ فبراير، وكأنه بيستغل كلاي اللي كان أحد أهم أسباب تعلقه بالمنظمة كهدية لإليجا مقابل رجوعه.
إليجا رفض العرض، وقال له: لو عايز يروح الماتش يروح كممثل عن نفسه مش عن المنظمة، لإن كلاي مستحيل يكسب فمش عايزين منظرنا يبقى وحش.
لكن مالكوم كان واثق في كلاي، اللي على الرغم إنه كان عامل فيها مجنون وقاطع بطاقته قدام الإعلام ومش هامه أي حاجة، من جواه كان مرعوب من ليستون.
إذا كان محمد رمضان خربها بأغنية مافيا، فليستون كان بالفعل شغال مع المافيا، صحيح كلاي سريع بس ليستون لو مسكه مش هيرحمه، فمالكوم طمنه وقال له إنه هيكسب لإن ربنا عايزه يكسب.
ويوم الماتش هدَّاه وصلى معاه وقعد يتفرج عليه في الصف السابع في الكرسي رقم سبعة، بينما المنظمة مكلفتش خاطرها وبعتت حد من الجريدة عشان يغطي المباراة، اللي انتهت بفوز كلاي ببطولة العالم للوزن الثقيل وهو عنده ٢٢ سنة.
فإليجا عمل زي كل مدير مصري أصيل وقال الفوز ده فكرتي وتنفيذي، تاني يوم في احتفال السافيور داي وقف على المنصة جنب رودي أخوه، ومعاهم لويس فاراقان النجم الصاعد المرشح لاستبدال مالكوم، وأعلن إن بطل العالم الجديد مسلم وقال:
Clay had confidence in Allah and in me as his only messenger.“
”.Only me
كلاي كسب عشان كان عنده ثقة في ربنا وفي الرسول اللي هو أنا، أنا بس!
وفي رسالة لأي حد متعاطف مع مالكوم، وفي محاولة لتذكرة كل الحاضرين إن الحارة دي بتاعتي وأنا اللي شاكمها قال:
«I have been given the keys to your salvation and
I can either send you to heaven or hell»
أو فيما معناه ـاستغفر الله العظيم يا ربـ أنا معايا مفاتيح خلاصكم، ممكن أوديكم الجنة، وممكن أوديكم النار.
بعد الفوز كلاي أعلن إسلامه وانضمامه للمنظمة في خبر صدم الإعلام أكتر من صدمتهم بفوزه في الماتش، ومالكوم اللي كان شايفه أكتر من مجرد ملاكم، بدأ يحضره للعب دور كشخص مؤثر على الساحة العالمية.
قال له إنه بقى عليه مسؤولية تجاه غيره من المسلمين وغيره من السود المقهورين، وعشان يقدر يقوم بالمهمة دي محتاج يقوي علاقته بإفريقيا، فخده معاه على نيويورك عشان يقابلوا ممثلين الدول الإفريقية، في اجتماع الجمعية العمومية للأمم المتحدة.
وبدأ يحضر لسفرية يروحوها سوا في إفريقيا، وفي نيويورك الإعلام اتلم عليهم زي الجراد وصورهم نزلت في كل حتة، فإليجا كان هيتجنن، آمر فصل مالكوم اللي هيموت ويرجع لمدة غير محددة، وكلم كلاي وقال له: ميقابلش مالكوم تاني، اللي خبى عن كلاي خبر فصله لمدة غير محدودة.

وكلاي مكنش مدرك حجم الخلاف بينهم، وبالتالي استمر في مقابلته بصورة يومية وراح معاه للمرة التانية مقر الأمم المتحدة لمقابلة بعض الوفود الإفريقية، فإليجا كلمه تاني وقال له: أنا مش قولتلك متلعبش مع مالكوم يا حبيبي؟!
كلاي قال له: حاضر يا عمو، ولتاني مرة تجاهل الكلام واستمر في مقابلة مالكوم، اللي مكنش يعرف إن حياته في خط»ر.

اغتيال مالكوم إكس

أحد أعضاء الجامع فجأة راح لمالكوم بدون ترتيب وقال له إنه عايز يقوله سر خطير، كابتن جوزيف أمره بوضع قنبلة في عربية مالكوم عشان تنفجر أول ما يركبها، ولكن بما إنه بيحبه مقدرش يعمل كده، وجه يبلغه عشان ياخد باله من نفسه قبل ما ينفد بجلده.

هنا وهنا بس، مالكوم أدرك الحقيقة اللي بيتجاهلها بقاله مدة طويلة، وهي إنه لازم يسيب المنظمة، اغتياله لا يمكن هيتم من غير موافقة إليجا محمد، ومعنى إنه وافق على قتله يعني مفيش أمل من رجوعه، فقرر الرحيل.

وبسبب علاقته القريبة من كلاي كان عايز ياخده معاه، فقابله هو وأخوه وقال لهم إنه هيمشي من المنظمة، وإن إليجا ده راجل نصاب مش نبي ولا حاجة، رودي أخو كلاي مستحملش يسمعه بيتكلم عن إليجا بالمنظر ده.

مسكه عشان يضربه ووقعه على الأرض، وكان هياكله لولا إن كلاي حاش بينهم، كلام كبير صعب يستوعبوه من الشخص اللي ياما قال لهم إن إليجا ده أحسن واحد في الدنيا.

وصحيح إليجا مش نبي ولكنه مش غبي، كان عارف إن وجود كلاي اللي مكملش ٢٣ سنة جنب مالكوم خطر، ومكنش هيسمح أبدًا يضيع من إيده فرخة بتبيض دهب زي بطل العالم للملاكمة.

كلمه واستدعاه لشيكاغو، وفي مقابلة صحفية اتعملت قبل سفره مباشرة، ظهر كلاي حزين بصورة غير معتادة، ولما اتسأل عن رأيه في الخلاف بين مالكوم وإليجا، اللي اتنشر في الإعلام بفضل ال FBI، قال:

.No matter what he does Malcolm will always be my brother

مهما يحصل مالكوم هيفضل أخويا.

لكن الخيار بين الأخ والأب كان في منتهى الصعوبة، وانتهى باختيار الأب، ورجع من شيكاغو بيقول على مالكوم خاين وكذاب.

كلاي شخص عنده احترام للسلطة وإليجا رمز السلطة الأكبر في حياته، إلى جانب إن مالكوم قال له قبل كده:

خلي بالك، محدش بيمشي من المنظمة من غير مشاكل!

فابتدا ميردش على مالكوم، اللي أعلن انفصاله عن المنظمة بشكل نهائي في شهر مارس، وفي حركة متطلعش غير من لاعب شطرنج محترف، عايز يضمن إن الجيم خلص، إليجا أعلن على الراديو إعطائه اسم محمد علي لكاشيوس كلاي.

.As long as he believes in god and follows me

طول ما بيؤمن بربنا، وبيسمع كلامي.

مالكم فهم الرسالة، وأدرك إنه بعد كشة الملك الأخيرة دي، فالملك خلاص مات.

ولضمان إحكام سيطرته على محمد علي، أمر بتعيين ابنه هربرت اللي ميعرفش أي حاجة عن الملاكمة كمدير أعماله.

وعشان يضمن بعده عن تأثير مالكوم سفرهم في جولة إفريقيا، لتحسين علاقات المنظمة

بالدول الإسلامية وجمع التبرعات ليها، نفس الرحلة اللي رتبها مالكوم هيسافرها من غيره ولأهداف مختلفة تماماً.
أما مالكوم فأعلن انفصاله عن المنظمة، وتأسيسه لمنظمة الجامع الإسلامي ال Muslim Mosque Inc، وقال إنه مش عايز الناس تسيب المنظمة، ومجبش سيرة أي حاجة حصلت بينه وبين إليجا.
اللي طلع في مؤتمر صحفي يعيط، باعتبار إن مالكوم باعه وسابه بعد العشرة دي كلها مش هو اللي فصله، وعلى قد ما أداء إليجا المسرحي أثر في بعض الأعضاء، على قد ما أعضاء تانيين كتير مشيوا أول ما مالكوم أعلن انفصاله.
فيه اللي حس إن الدنيا لبش ومشي خالص، وفي اللي مشي عشان ينضم لمنظمة مالكوم الجديدة، وفي محاولة لإيجاد الطاقة الروحية اللازمة لأستكمال الرحلة، مالكوم قرر إنه يروح يحج، لكن المشكلة إنه معهوش فلوس.
وهنا ظهرت إيلا زي ما بتظهر دائماً كل ما يحتاجها في حياته، وادته فلوس كانت محوشاها عشان تحج، عشان يطلع ويحج بدالها، إيلا سابت المنظمة من خمس سنين، وكانت متفهمة مدى صدمة مالكوم في إليجا، وحست إنه أولى بالرحلة دي.
وهناك مالكوم حس إنه بيتعلم الإسلام من أول وجديد، وإن لأول مرة في حياته الغمامة تتشال من على عينيه، حس بغضب شديد من نفسه إزاي كان مصدق العبط اللي إليجا بيقوله، وإنه نبي وإن في مراكب فضائية، رغم إن أول ركن في الإسلام هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.
مالكوم قرأ الشهادة وقرر يرجع يدعو إلى الإسلام الصحيح، وفي نفس الوقت قرر يغير من خطابه المبني على كراهية الرجل الأبيض، الإسلام مفيهوش أبيض وأسود، ولذلك مفيش مانع أبداً من التعاون مع البيض طالما الهدف واحد.
الحج حسسه إنه بيتولد من أول وجديد، لدرجة إنه حس إنه محتاج اسم جديد يكمل بيه ما تبقى من حياته، وكإنه عايز يرسم خط بين حياته قبل وبعد اللحظة دي، فغير اسمه لمالك، أو الحاج مالك الشباز.
وبالفعل لما رجع أمريكا خطابه اتغير إلى حد كبير، وابتدا يفكر في الخطوة اللي جاية، وقرر إن الحل الحقيقي اللي هيجبر الحكومة أنها تدخل لوقف العنصرية، هو شكوتها في الأمم المتحدة.
لأن إذا كان القانون الأمريكي بيبيح التفرقة العنصرية في بعض الأماكن والمواقف، فميثاق الأمم المتحدة بينص على احترام حقوق الإنسان، والتفرقة دي لا ليها دعوة بالحقوق ولا بالإنسان، والطريقة الوحيدة اللي ممكن يشتكي الحكومة فيها، هي إن دولة إفريقية تتبنى القضية وهي اللي تقدم الشكوى.
فسافر في نوفمبر في جولة إفريقية في نفس وقت جولة محمد علي، وأثناء مغادرته الأوتيل في غانا كان محمد علي داخل ومعاه حاشيته، فمالكوم اللي لسه بيعتبره أخوه الصغير فرح جداً وابتدا يناده عليه بصوت عالي:
Brother Muhammad.. Brother Muhammad
وجري عليه عشان يحضنه، محمد علي بصله بمنتهى البرود وقال له:

.You should have never left Elijah Muhammad
مكنش ينفع أبدًا تسيب إليجا محمد.
وسابه ومشي، مالكوم حس إن الدنيا جت عليه جامد، خسر الأب والمنظمة وكمان خسر الأخ، فقال أول ما دخل العربية وعينيه مدمعة: أنا خسرت كتير أوي.
لكن اللي خسره لحد دلوقتي كوم واللي لسه هيخسره كوم تاني.
جولة مالكوم الإفريقية كانت رحلة فاشلة بكل المقاييس، مفيش ولا دولة وافقت انها تشتكي أمريكا، رغم تعاطف زعماء القارة مع قضيته، إلا إن محدش عايز يقف قدام القطر.
يمكن يكون المكسب الوحيد، هو حصوله على منح من الأزهر لتدريس أعضاء منظمته الجديدة أصول الإسلام الصحيح، ولما أعلن الموضوع ده بعد رجوعه، منظمة أمة الإسلام اللي بتعاني من انخفاض عدد الأعضاء حست إنها ضربة تحت الحزام، وأعلنوا الحرب عليه.
مالكوم ابتدا يتعرض لواحدة من أشرس عمليات الاغتيال المعنوي في التاريخ، الشخص اللي ياما شيطن البيض النهارده بقى بيتشيطن، ومحمد سبيكس اللي أنشأها بقت بتهاجمه أكتر ما بتهاجم البيض، وفي أحد الأعداد نزلت رسمة لراسه طالع لها قرون وبتتنطط في الشارع بعد قطعها.
حتى محمد علي شارك في الهجوم، قال إن مالكوم إكس كان مدمن وحرامي ورد سجون، قبل ما إليجا محمد ينضفه ويعلمه ويقدمه للعالم كله، وطعنة القريب مؤلمة أكتر مليون مرة من طعنة الغريب.

ومش بس كده، المنظمة مكفهاش الهجوم الإعلامي، وطالبت مالكوم بإخلاء البيت اللي قاعد فيه هو وأسرته، البيت المتواضع ده ممكن يكون الحاجة الوحيدة اللي فضلت له من المنظمة.

ولما حس إن المنظمة اللي عارفة إن معندوش مصدر دخل تاني، معندهاش مشكلة ترمي بناته في الشارع حس إنه بقى عامل زي الساندباج ومحتاج يرد، وزي ما مورجان فريمان بيقول في فيلم شاوشانك ريديمبشن:

.Everyman has a breaking point

ودي كانت نقطة اللاعودة بالنسبة لمالكوم.

مالكوم أعلن إن السبب الحقيقي لانفصاله عن المنظمة، هو إن إليجا محمد مخلف أطفال غير شرعيين من حوالي سبع بنات كانوا شغالين في المنظمة، استغل ضعفهم ومارس معاهم الزنا في الوقت اللي لما كان حد من المنظمة بيغلط، كان بيعاقب بالفصل وحرمانه منها نهائيًا.

وقال إن اللي يعمل علاقة غير شرعية مع بنات قد عياله يبقى أكيد راجل كبر وخرف، وقال كمان إن اللي ميعرفوش حد من المنظمة، إن إليجا كان على اتصال بالكوكلوكس كلان، وبالحزب النازي الأمريكي.

وفي نفس الوقت أعلن استعداده للشهادة، إن المنظمة لا تمت للإسلام بصلة، وبالتالي لا يحق لها دخول السجون كمنظمة دينية، وده معناه حرمان المنظمة من مصدر تجنيد غاية في الأهمية.

بالإضافة إنه بدأ يشجع أمهات الأطفال من ضحايا إليجا، إنهم يرفعوا دعوة قانونية مع الوعد بالوقوف جنبهم، تحت شعار عليا وعلى أعدائي.

الكلام اللي مالكوم قاله كان عامل زي القنبلة في هارلم، مالكوم مغلطش في راجل عادي، ولو غلط في رئيس أمريكا كان هيبقى أهون عند أعضاء المنظمة من إنه يغلط في إليجا، النبي والقائد والمعلم.

في اجتماع سري حضره كابتن جوزيف ورايموند شريف، إليجا محمد أمر بتصفية مالكوم، وقال إن مفيش حل غير التخلص منه نهائيًا، ويا ريت الكلام ده يكون قبل احتفال السافيور داي الجاي، عشان نقفل الصفحة ونرميها ورا ضهرنا.

وفي مكالمة سجلها مكتب ال FBI مع لويس فاراقان، اللي كان بيعتبر واحد من رجال مالكوم المخلصين، قال له: إن مالكوم منافق، والمنافقين أفضل حل للتعامل معاهم هو قطع رقبتهم!

ورغم الماضي اللي بيجمعه بمالكوم، فاراقان أدرك إن المستقبل مع إليجا اللي بدأ يحضره كنجم المنظمة الجديد، فاختار مستقبله وبدأ يشارك في التجهيز لإهدار دم أخوه، ومالكوم بقى في عداد الأموات.

يوم ٢١ فبراير سنة ١٩٦٥ بعد نص الليل، كابتن جوزيف خد معاه مجموعة من ال FOI وطلعوا على بيت مالكوم، الخطة هي رمي قنبلة مولوتوف على البيت اللي جواه بيتي وبناتها الأربعة من اتجاهين، مقدمة البيت وضهره.

لضمان إن محدش هيطلع من البيت حي، كتيبة الإعدام اللي اتحركت بمباركة إليجا، رمت

أول قنبلة كسرت الإزاز وانفجرت في البيت، مالكوم صحي مفزوع على الصوت وريحة الدخان، وفي نفس اللحظة المجموعة رمت القنبلة التانية، لكن لحسن حظ مالكوم اتزحلقت على الإزاز وانفجرت برة البيت.

مالكوم قام مفزوع مبيفكرش في حاجة غير إنقاذ بناته، وبعد ما طلعهم برة البيت وقف مستني المطافي والبوليس، مش مصدق إن المنظمة معندهاش مشكلة تقتل أطفال ملهمش ذنب في سبيل الوصول إليه، في مشهد فكره بتفجير وحرق بيتهم القديم من الكوكلوكس كلان من أكتر من ٣٠ سنة.

وفي عز الزحمة حد من المنظمة تسلل وحط إزازة فيها مواد مشتعلة في أوضته، وكأن التاريخ بيعيد نفسه،

زي ما تم اتهام باباه بحرق بيته، لما البوليس لقى الإزازة اتهموه إنه هو اللي فجر البيت، عشان يعمل شو إعلامي ويتبلى على المنظمة.

مالكوم حس إن أيامه بقت معدودة، وقال إنه مش هيموت في سكات، وأنه في اجتماع منظمة ال من عودته بعد أسسها اللي Organization of African American Unity MMIال جنب تاني كذراع إفريقيا يسمح بتواجد البيض وغير المسلمين، هيعلن عن أسماء الناس اللي بتحاول اغتياله.

شك إن اللي فجر البيت الFBI، ومكنش يعرف إن اللي عمل كده عشرة عمره القديم، اللي أنقذه في يوم من الأيام من الإدمان وكان سبب في انضمامه للمنظمة، كابتن جوزيف.

بعد الحادثة بيتي زوجة مالكوم قابلت محمد علي بالصدفة، فقالت له إنت شايف انت بتعمل إيه في جوزي؟ كلامك وكلام باقي المنظمة هيتسبب في قتله بدم بارد!

فعلي اتوتر وقال لها: أنا؟ أنا معملتش حاجة! رغم إنه كان أشهر صوت مشارك في حملة التحريض ضده، ويمكن يكون قربه منه كانت الحاجة الوحيدة اللي حامياه.

اتباعه اللي فضلوا معاه بعد انفصاله، بدأوا يقولوا له إنه لازم يشدد من إجراءات الأمن، لازم أي حد ييجي أي اجتماع يتفتش قبل ما يدخل.

مالكوم رفض بشدة وقال لهم إنه مش عايز يعمل في الناس زي ما إليجا اللي عنده بارانويا كان بيعمل معاهم، وقال إن التفتيش ده شيء مهين ميقبلش إن اللي ييجوا يسمعوه يتعرضوا ليه.

وفي أحد اجتماعاته في قاعة أودوبون الشهيرة في هارلم، حارسه الشخصي وجندي المارينز السابق جين روبرتس، لقى مجموعة بتعمل دوشة، ومجموعة تانية في نفس الوقت بتتحرك تحركات غريبة.

ففهم بحكم خبرته وحسه الأمني إن اللي بيحصل قدامه ده تدريب على عملية اغتيال، والضحية مالكوم، واللي مالكوم مكنش يعرفه إن روبرتس ضابط متخفي undercover من شرطة نيويورك، اللي كانوا مرشقين المخبرين في كل حتة.

روبترس بعت لمشرفه يقول له اللي حصل، وأكد له إن عملية الاغتيال هتحصل في أي وقت، وتوقع إن البوليس هيزود من حجم تواجده في الاجتماع الأسبوعي، ومكنش يعرف إن المسرحية خلاص نهايتها اتحددت، ومش فاضل غير الفصل الأخير.

يوم ٢١ فبراير مالكوم كان هيعلن عن برنامج منظمة الوحدة الأفريقية الأمريكية، ومن أول

لحظة دخل روبرتس فيها القاعة لقى تواجد آلبوليس أقل من الطبيعي، وفي أماكن بعيدة عن المداخل والمخارج.
وفي مفاجأة غير متوقعة الضيوف اللي كانوا المفروض هيحضروا يتكلموا مع مالكوم، كلهم اعتذروا ومحدش جه، بينما بيتي والبنات اللي في العادي مبيحضروش، مالكوم غيّر رأيه، وطلب منهم ييجوا في آخر لحظة.
وقعدوا قصاد المسرح، ومساعد مالكوم اللي مكنش بيحب حد يطوِّل وهو بيقدمه، قال في مقولة أشبه بالنبوءة:
.This is a man who is willing to give his life for his people
وكأن قلبه كان حاسس، مالكوم طلب منه على غير العادة يسيب المسرح ويروح يكلم الضيوف آخر مرة، يشوف هييجوا ولا لأ، مالكوم بقى لوحده على المسرح والقاعة مليانة.
.Al Salam Alaikom Brothers
فجأة اتنين في آخر القاعة قاموا وقفوا وعلوا صوتهم، واحد فيهم بيقول للتاني طلع إيدك من جيبي وبدأ يتخانق معاه، أتباع مالكوم اتجهوا ناحية الصوت في نفس الوقت اللي شخص تالت ولع في فيلم كاميرا ورماه على الأرض وكأنه قنبلة دخان.
مالكوم حس إن في مشكلة، وابتدا يحاول يهدي الناس في المايك.
!Let’s cool it brothers
صلوا على النبي يا إخوة، ومكنش يعرف أنها آخر كلمة هيقولها في حياته.
٣ من الإخوة دول قاموا وقفوا واتجهوا قدام المسرح، ويليام برادلي أحد أعضاء جامع نيوجيرسي، طلع بندقية متشال منها الماسورة من جوة الجاكتة وضرب مالكوم، فطار ووقع على الكراسي اللي وراه قدام مراته وبناته اللي مبقوش مصدقين اللي بيحصل.
الاثنين اللي معاه حبوا يتأكدوا من وفاته، فطلعوا مسدساتهم وضربوه بالنار وهو واقع غرقان في دمه، مراته صرخت:

!They are killing my husband
الحقوا بيقتلوا جوزي!
والناس بقت تجري برة القاعة عشان تنفد بجلدها.
الاتنين اللي مسكوا في بعض اختفوا وسط الناس، والتلاتة اللي أطلقوا النار ٢ منهم رموا سلاحهم على المسرح واتسللوا وسط الناس، وواحد منهم الأصغر سنًّا تالمادج هاير، فضل ماسك مسدسه.
روبرتس شافه فضربه بالنار، الرصاصة مجتش بإعجوبة وروبرتس رمى عليه الكرسي، وفي نفس الوقت واحد تاني من اتباع مالكوم، طلع مسدسه وضربه بالنار في رجله، فاتمسك واتقبض عليه.
وبعديها روبرتس جري على المسرح، وفي لحظة نسي فيها إنه ضابط، نزل على ركبه وفتح قميص مالكوم لقى صدره متغربل، وبدأ يعمله تنفس صناعي في محاولة لإسعافه، ولما لقى الهوا بيطلع في صورة فقاعات من فتحات الرصاص، عرف إن مالكوم بيموت.
ولكن الأمل في إنقاذه كان أقوى من إدراك الحقائق، فاستمر في عمل تنفس صناعي بكل قوة، لحد ما سمع مالكوم بيطلع نفس كبير، وكان نفس واحد وأخير.
أتباع مالكوم بعد الدربكة اللي حصلت رجعوا يطمنوا على مالكوم، ولما شافوه غرقان في دمه انهاروا في العياط، ودخلوا في حالة من الإنكار، وعملوا حواليه دايرة وكأنهم بيحموه، وبدأوا يترجوه يقوم وكأنه سامعهم، وبقم يسألوا نفسهم ويقولوا مش يمكن يخف؟ مش يمكن يرجع؟
ولكن في حاجات مهما كان الواحد بيحبها لما بتروح مبترجعش، تم إعلان وفاة مالكوم في المستشفى، والخبر انتشر في كل حتة، صدمة موجعة لكل محبيه في العالم كله، بعض الدول في الشرق الأوسط وإفريقيا عبرت عن حزنها الشديد.
أهل هارلم خرجوا يعيطوا في الشوارع مش مصدقين إن مالكوم مات، ومارتن لوثر كينج قال إن اغتياله تراجيديا، بتوضح إن في ناس انحدروا لدرجة تعبيرهم عن الاختلاف بالقتل.
وفي الجنازة بعد وضع الجثمان في التربة، أتباعه رفضوا إن البيض اللي شغالين في المدافن يهيلوا عليه التراب، فخدوا منهم الجاروف وبدأوا يدفنوه بأيديهم، تحت المطر وكأن السما نفسها بتبكي عليه.
وفي عزاه وقف الممثل أوسي دافيس، وقال واحدة من أقوى خطب الرثاء في التاريخ، وقال ردًّا على الناس اللي بتقول عنه مثال للكره والعنف:

Did you ever talk to Brother Malcolm? Did you ever touch him or have him smile at you? Did you ever really listen to him? Did he ever do a mean thing? Was he ever himself associated with violence or any public disturbance? For if you did, you would know him. And if you knew him, you would know why we must honor him: Malcolm !was our manhood, our living, black manhood

هل اتكلمتم مع مالكوم قبل كده؟ هل تواصلتم معاه؟ هل قابلتم إبتسامته؟ هل سمعتوه

بيتكلم؟ عمركم شفتوه بيعمل حاجة مؤذية؟ عمره كان له علاقة بأي عنف أو شغب؟ لو عرفرتوه هتفهموا ليه لازم نكرمه، مالكوم رمز للرجولة، رجولة كل راجل أسود اتعرض للقهر واتاخدت منه الرجولة دي، ولذلك عمرنا ما هننساه.

وفي نفس الوقت لويس فاراقان راح أدى خطبة في جامع نيو جيرسي، الجامع اللي أعضاؤه قاموا بمهمة الاغتيال في حركة صعب تكون صدفة، محمد علي عمل ماتش ودي لتسلية أعضاء المنظمة، ويوميها بالليل رجع لقى شقته بتولع، وشك إن أتباع مالكوم حبوا ينتقموا منه، ولكن تبين بعدها أنها كانت حادثة.

اللي مكنش حادثة هو اللي حصل في جامع رقم ٧ في هارلم، في نص الليل مجموعة مجهولة طلعت على سطح المبنى المجاور، ورموا أزايز مولوتوف على الجامع من فوق.

فولع والحريقة خرجت عن السيطرة، لدرجة أنها هدت المبنى كله في مشهد شافه حوالي ٣٠٠ فرد، كان منهم كابتن جوزيف، اللي فجأة قعد على جنب وبدأ يعيط، ولكن يفيد بإيه بكاء الجزار على الدبيحة؟!

وعلى بعد مئات الأميال في شيكاغو، إليجا كان بيستعد لتأدية رقصة الانتصار، بعد ما أنكر أي علاقة ليه باغتيال مالكوم.

وفي احتفال سافيور داي، وقف متحاط بالحراس من كل ناحية، وقال إنه منافق وخد جزاءه، بعد ما عاش ينشر الكره والإشاعات ضده.

وفي حركة متممة للاغتيال المعنوي بعد الاغتيال الجسدي، وقف جنبه والاس ابنه وويلفرد وفيلبرت إخوات مالكوم، يطلبوا منه السماح ويعلنوا تبرؤهم من مالكوم.

وبعد الاحتفال في محاولة لقفل الحكاية وكأن مالكوم لم يكن، عين نجم المنظمة الجديد لويس فاراقان كإمام لجامع هارلم رقم سبعة بعد إعادة بنائه.

فاراقان لما عرف الخبر انهار في البكاء، نزل على الأرض وبص للسماء كأنه بيكلم مالكوم وقال له:

I didn’t mean to take your home! I didn’t mean to take your mosque!

وفي سنة ١٩٧٥ بعد عشر سنين من السيطرة التامة، توفى إليجا محمد بسبب توقف عضلة القلب، رغم إن القلب مات قبلها بسنين طويلة، وأول ما مات، محمد علي كان حاسس بالرغبة بالتكفير عن ذنبه طول السنين دي، فراح زار بنات مالكوم، وأول ما شافهم حضنهم كأنه بيحضن أبوهم.

عيط عياط هيستيري وقال لهم إنه مش ندمان على حاجة في حياته، غير تخليه عن مالكوم، وأنه نفسه الزمن يرجع بيه عشان يعتذر له، لكن الزمن مبيرجعش.

بعد وفاة مالكوم اللي كان متراقب من البوليس وال FBI، كل مكتب حب يحمي مصادره، المخبرين كانوا في كل حتة في القاعة وفي المنظمة، ولو اتعملت محاكمة عادلة هيضطروا يكشفوا عن مصادرهم.

والأولوية بالنسبة ليهم حماية المصادر، مش أخد حق واحد أسود كان بتاع مشاكل وما صدقوا خلصوا منه، والأكيد إنهم كانوا عارفين محاولة الاغتيال على الأقل بعد تقرير روبرتس، ده إذا مكنوش اشتركوا فيها على الأقل بالسلب.

وعشان كده كان من مصلحتهم إن التحقيق يتقفل في أسرع وقت، وإلى جانب هاير اللي اتقبض عليه يوميها، تم القبض على اثنين من أعضاء جامع هارلم، رغم إن العملية اتخطط لها في نيو جيرسي.

ورغم إن روبرتس كتب في تقريره إن آل٣ اللي شافهم مكنوش من جامع هارلم، لكن روبرتس متمش استدعاؤه للشهادة، رغم إنه كان أقرب واحد لمالكوم حفاظًا على هويته، وتم سجن اتنين من جامع سبعة مكنوش في القاعة أساسًا، لمدة عشرين سنة بسبب شهادة ضعيفة من بعض الشهود.

وبعد حوالي ٥٥ سنة من اغتيال مالكوم، نزلت سلسلة وثائقية على نتفلكس بعنوان: Who killed Malcolm X? x بتبين فيه ازاي القضية اتكروتت واتسجن فيها ناس ظلم، وازاي ويليام برادلي عاش وكمل حياته بحرية لحد ما مات وماتت معاه الحقيقة، وبسبب الفيلم تم إعادة التحقيق في وفاة شخصية ما زال اسمها معروف حتى الآن.

وده لعدة أسباب، منهم نشر كتاب قصة حياته اللي بدأ في كتابته الصحفي أليكس هايلي سنة ١٩٦٣، واتنشر بعد وفاته وباع في خلال ١٢ سنة حوالي ٦ مليون نسخة، والسبب التاني هو إن مالكوم بقى رمز للعديد من الحركات اللي جت بعده، زي ال

black power movement

واسمه بقى بيتردد في كل مظاهرة وكل حركة حقوقية.

والسبب التالت هو فيلم Malcolm x بطولة دنزل واشنطون وإخراج سبايك لي، اللي نزل سنة ١٩٩٢ وتصادف نزوله مع أحداث شغب لوس أنجلوس، وفي نفس الوقت انتشار موسيقى الهيب هوب.

والسبب الرابع والأهم هو إن اسمه لسه معروف، لأن القضايا اللي كان بيطالب بحلها لسه موجودة، لسه في عنصرية ولسه في تمييز وإن كانوا أقل بمراحل عن الستينيات، والدليل على كده هو استمرار عنف الشرطة ضد السود اللي أدي لظهور حركات زي

Black lives matter

اللي ما زالت بتطالب في حق السود في العيش بكرامة وحرية، بعد أكتر من ٤٠٠ سنة من العبودية.

***

قصة حياة مالكوم تراجيديا إغريقية، البطل فيها بيخوض رحلة بحث عن الذات وخلالها بيخسر كل حاجة عشان يوصل للحقيقة، رحلة على قد ما نهايتها حزينة على قد ما ممكن نتعلم منها عدة دروس:

الدرس الأول هو إن الناس بتتغير، وزي ما غلط إن الواحد يحكم على كتاب من عنوانه، غلط برضه الواحد يحكم على إنسان من بداياته، الناس بتتغير والتغيير هو الحقيقة الوحيدة الثابتة في الكون.

الدرس التاني هو إن المنظمات والمجموعات هي كمان بتتغير، وأوقات المجموعة تبدأ لهدف ولما تكبر وربنا يكرمها الهدف ده بيتنسي، وبيبقى الهدف الوحيد هو الحفاظ على بقاء المجموعة، وبالتالي الحفاظ على امتيازات أعضائها.

مهم هنا الواحد يبقى دائمًا واعي هو منتمي لإيه وليه، ياما جماعات بدأت خيرية وانتهت

سياسية، وجماعات تانية بدأت دينية وانتهت تجارية بمطاعم عايزة تشتغل وجرايد عايزة تتباع.
وده بيوصلنا للدرس التالت، وهو إن الإنكار لا يفيد، أوقات الواحد من حبه في الأشخاص أو في المكان، بيتجاهل شعوره على أمل إنه يطلع غلطان، وبينتهي الأمر دايمًا إنه بيكون غلطان إنه تجاهل شعوره مش العكس، الإنكار ياما كان سبب في استمرار علاقات مؤذية.
والدرس الرابع، هو إن الأثر الطيب باقي ومبيضيعش، وساعات المقتول عمره بيكون أطول من عمر القاتل، بعد أكتر من نص قرن على اغتيال مالكوم، اسمه لسه بيتردد في كل حتة حول العالم، وخطبه اللي كان بيسمعها آلاف انهردا بيسمعها ملايين على اليوتيوب.
والدرس الخامس والأخير، هو إنه زي ما قال الإمام علي ابن أبي طالب، لا تستوحش طريق الحق لقلة سالكيه يا عزيزي، مش دايمًا المجموعة بتبقى صح، وأوقات كتير الواحد بيحتاج ياخد موقف يريح ضميره حتى لو هيدفع تمنه لوحده.
زي ما قال الكاتب هنريك إبسن في مسرحية
enemy of the people
أو عدو الشعب:
The strongest man in the world is the man who is willing to stand alone.
أقوى رجل على وجه الأرض هو الرجل اللي مستعد يقف لوحده.
بس يا عزيزي، خليني أسألك سؤال، مالكوم كان خطيب محنك وعنده قدرة كبيرة على المناظرة والإقناع، استخدم أدواته ومعرفته اللي اكتسبها عشان يواجه عنصرية المجتمع، وفي نفس الوقت ده كان في شخص تاني بقدرات مختلفة، رياضي عبقري ووحش في المنافسات والتمرينات.
والسؤال يا عزيزي، هل الرياضي يقدر يأثر في المجتمع زي الدعاة والمدافعين عن حقوق الإنسان؟ هل ممكن يكون السبب في التغيير؟
هنجاوب على السؤال ده بتسليط الضوء على الشخص اللي اعتبر مالكوم أخ كبير ليه، لحد ما ولاد الحلال وقعوا بينهم، هنشوف الحكاية من زاوية تانية، زاوية الملاكم الأسطورة محمد علي.

محمد علي

أطفو كالفراشة وألدغ كالنحلة
شهر أغسطس في أمريكا شهر مش عادي، شهر الاستعداد لبداية أهم دوري رياضي في السنة، دوري كرة القدم الأمريكية NFL ال أو، National Football League.
الدوري الأكتر مشاهدة للرياضة الأكتر شعبية في الولايات المتحدة الأمريكية، اللي متوسط حضور الجماهير فيه بيعدي الستين ألف مشجع لكل مباراة، وكأحد طقوس اللعبة اللي تعتبر فخر الصناعة الوطنية الأمريكية، بيتم عزف النشيد الوطني قبل بداية ماتشاتها، أثناء وقوف جميع الحاضرين من لاعبين ومدربين.

ولكن شهر أغسطس سنة ٢٠١٦، في مباراة الSan francisco ال بين pre season فرانسيسكو السان لاعب، متوقعة غير مفاجأة حصلت، 49ers & Green Bay Packers ٤٩ers، كولين كايبرنيك، فضل قاعد أثناء عزف النشيد الوطني.
يا نهار أبيض!
ولما اتسأل بعد الماتش موقفش ليه قال:
"I am not going to stand up to show pride in a flag for a country that oppresses black people and people of color."
مش هقف لاحترام علم دولة بتقهر السود والملونين، تقول لي: وإيه المشكلة هو طابور مدرسة، إن شا الله ما عنه وقف، هو حر؟
عزيزي، تحية العلم واحترام النشيد قدس الأقداس عند الأمريكان، خاصة مشجعين كرة القدم، ولكن كولن اللي عبر عن غضبه من العنصرية وعنف الشرطة تجاه السود، كان رافع شعار أنا وهبت نفسي لله، وابتدا بدل ما يقعد ينزل على ركبته أثناء عزف النشيد.
الموضوع انتشر في الأخبار خاصة بعد ما لعيبة تانيين ابتدوا يعملوا زيه، فالدنيا ولعت والجماهير اتقسمت نصين، نص شايف إن اللي كولن عمله إهانة للجيش الأمريكي تستحق العقاب، ونص تاني شايف إن الراجل معملش حاجة غلط، وكل اللي عمله إنه استغل شهرته للفت الانتباه لقضية تهمه وتهم ملايين غيره.
كولن تحول من لاعب لرمز واللي عمله بقى قضية رأي عام، مع بداية الموسم التيشيرت بتاعه بقى الأعلى مبيعاً، بغض النظر إن في مشجعين كانوا بيشتروا التيشيرتات دي، عشان يصوروها وهما بيحرقوها اعتراضاً على اللي عمله، مشجعين تانيين كانوا بيجيبوها عشان يلبسوها في مظاهرات حركة Black Lives Matter، اللي النزول على الركبة بقى من علاماتها.
وماتش ورا التاني النقاش كان بيزيد مش بيقل والموضوع وصل للرئاسة، الرئيس أوباما دافع عنه على استحياء وقال:
"he cares about some real, legitimate issues that have to be talked about."
هو بيتكلم عن قضايا حقيقية لازم نتكلم عنها.
لكن المرشح الرئاسي دونالد ترامب هاجمه بشراسة، ونصح أي مشجع يشوف لاعب مبيقفش أثناء النشيد إنه يمشي ويسيب الإستاد، ومع الوقت وبعد ما لعيبة تانية منهم اللي بيلعب في دوريات تانية ابتدوا يعملوا زيه، النقاش تحول من هل اللي كابرنيك عمله صح ولا غلط، إلى هل من حق الرياضيين ياخدوا موقف خارج الساحة الرياضية ولا لأ؟
هل اللاعب ده مجرد شخص بياكل عيش المفروض يجي يلعب وهو ساكت؟ ولا اللاعب ده ليه دور اجتماعي يتعدى المكسب والخسارة؟
وحكاية واحد من أشهر الرياضيين اللي خدوا موقف خارج الرياضة، هي اللي هتجاوبنا على كل الأسئلة دي، واحد خسر كل شيء وفي نفس الوقت كسب كل شيء، وقف قصاد خصومه والمجتمع والحكومة الأمريكية كلها في سبيل مبادئه وقناعاته، شخص عاشر أساطير زي مالكوم إكس ومارتن لوثر كينج، وكان له تأثير على مايك تايسون وصدام حسين

والخميني، وفي بعض الأقاويل على بن لادن نفسه.
أهم شخصية رياضية في القرن العشرين طبقاً لاستفتاء الأعظم الملاكم، ١٩٩٩ سنة BBC
Muhammad Ali التاريخ في محمد علي.

هزيمة التنمر والانهزام أمام العنصرية

في ١٧ يناير سنة ١٩٤٢ في مدينة Cassius اتولد، كنتاكي ولاية Louisville Marcellus Clay Jr، ومن أول يوم ليه وهو صوته عالي ودماغه ناشفه وإيده تقيلة، اتولد بعد عملية ولادة متعثرة بسبب حجم رأسه الكبيرة، اللي طلعت عين الدكتور لحد ما عرف يخرجها، وصوته كان الأعلى وسط الأطفال في المستشفى، مبيبطلش صريخ وعياط.
ولما كبر شوية مكنش بيستحمل يقعد، لدرجة إنه اتعلم المشي وهو عنده ١٠ شهور، بيمشي على طراطيف صوابعه وبعد شوية بقى مبيبطلش جري، يقال إن وهو عنده سنتين ضرب مامته بالبوكس في وشها كسر لها سنتها.
طبقًا لمامته أوديسا السنة دي كانت ملخلخة، بس ده لا يمنع إن ابنها طاقته عالية وإيده تقيلة، ورث منها طيبة القلب، وورث من باباه Cassius Clay Senior قوة الشخصية والثقة بالنفس وحلاوة اللسان.
أمه كانت بتشتغل عاملة منزل عند السكان البيض في ضواحي لويسفيل الغنية، بتروح الصبح تطبخ وتغسل وتنضف وترجع هلكانة آخر الليل، وباباه رسام ليفط الإعلانات ودخله المعقول أنقذ الأسرة من الوقوع في الفقر.
إلا إنهم كانوا عايشين على حد الكفاف، بيلبس هدوم مستعملة وعايشين من الشهر للشهر، ولكن رغم الصعوبات المادية كلاي احتفظ بشخصية مرحة مبتبطلش لعب وهزار طول الوقت، خاصة بعد ما أخوه الصغير Rudolph كبر وابتدا يلعب معاه.
ورغم إن رودي أصغر منه بسنتين، إلا إنه بقى رفيقه في اللعب والمغامرات، كان بيقف بين بيته وبيت الجيران في مسافة لا تتعدى ال٢ متر، ويخلي رودي يرمي عليه طوب وهو يحاول يتفاداه، فنمى عنده الReflexes، ردود أفعال عصبية مذهلة.
ولما كبروا شوية بقى عندهم مجموعة من الأصدقاء كلاي كان الزعيم بتاعهم، من صغره وهو عاشق للانتباه، مستعد يعمل أي حاجة للفت النظر، فكان بيعمل مقالب في أهله وزمايله والمدرسين وأي حد بوِجه عام، يرمي طماطم على جنينة مدرس عازم ضيوف على باربيكيو، ويدحرج مع زمايله عَجل قصاد العربيات في الشارع، دول مش أحباب الله دول ابتلاء من الله.
وفي المدرسة المدرسين كانوا شايفينه طالب غبي مفيش منه أمل في التعليم، لأنه كان بيعاني من صعوبة شديدة في التعلم والقراءة، وفي نفس الوقت مكنش مشهور وسط أصحابه بالرياضة، ملعبش كرة سلة ولا baseball.
وطبقًا لأخوه ملعبش كرة قدم أمريكية لأنه حس أنها لعبة عنيفة، إلا إنه كان بيتمتع بذكاء اجتماعي وحس فكاهي رهيب، بالإضافة إنه كان رشيق وسريع جدًّا، كل يوم الصبح بدل ما يركب أوتوبيس المدرسة يسابقه هو وأخوه جري.
ولكن الزهر لعب لما باباه جابله هو وأخوه عجلة جديدة، فبقى بيركبها طول الوقت تحت شعار اللي علي علي، وفي أحد أيام شهر أكتوبر سنة ١٩٥٤، كان راكب هو وأخوه وواحد صاحبهم على العجلة بيتفسحوا جنب The Columbia Auditorium.

صالة عرض كبيرة كان معمول فيها معرض للأدوات المنزلية، وفجأة وهما ماشيين الدنيا مطرت عليهم بغزارة شديدة، فركنوا العجلة ودخلوا استخبوا في المعرض لحد ما المطرة وقفت، فخرجوا ولكن المفاجأة إنهم ملقوش العجلة!

كلاي كان مرعوب، العجلة ب٦٠ دولار أو ما يوازي أكتر من ٥٠٠ دولار بفلوس النهارده، أبوه ممكن يرتكب جريمة لو عرف أنها اتسرقت منهم.

وفي وسط هذا الذعر واحد ابن حلال قال له: إن في ضابط شرطة في الدور الأرضي، واقترح عليه يروحله عشان يقدم بلاغ، ودي كانت بداية معرفته بواحد من أهم الناس اللي هيقابلهم في حياته Joe Martin.

جو ضابط شرطة ومدرب ملاكمة في صالة تدريب في الدور الأرضي للأوديتوريوم، لقى عيل عنده ١٢ سنة داخل يشتكيله إن عجلته اتسرقت، وقال له إنه لو شاف اللي سرقها هياكله علقة موت، فاقترح عليه ييجي يتمرن مع الشباب يمكن ربنا يكرمه لو شاف الحرامي، وقد كان.

الأسبوع اللي بعده كلاي ملقاش العجلة، ولكنه اكتشف مكان ساحر ممكن يبقى مدخله لعالم الشهرة والمال، المال اللي أبوه زرع فيه من وهو صغير، إنه الفرصة الوحيدة للراجل الأسود إنه يحصل على الاحترام.

كلاي أعجب بالgym اللي كله عرق وأصوات ساندباجات بتضرب ووشوش بتورم، مكان مسموح فيه للمراهقين بممارسة العنف من غير عواقب، مكان ممكن ينجح فيه من غير ما يحتاج يقرأ أو يحل مسائل حساب، مكان مثالي لمراهق غاضب بيبحث عن هدف في الحياة، وهكذا بدأت رحلته مع الملاكمة.

الأسبوع اللي بعده راح لجو مارتن، ودخل حلبة الملاكمة لأول مرة في حياته، لاعب شاب في سنه لكن الشاب ضربه لما مبقاش شايف قدامه، فطلعوه من الحلبة قبل ما يموته، لكن المرة اللي بعدها جه تاني ولا كأن أي حاجة حصلت.

ومرة ورا التانية ابتدا يتعلم أساسيات ال بينتج كان اللي، مارتن جو من Sweet Science Tomorrow's Champion بعنوان المحلي التلفزيون على برنامج أبطال الغد، بيعرض فيه ماتشات الملاكمين الهواة.

محمد علي لعب أول ماتش بعد شهر وكسب بالنقط، وطبقًا لمدربه مكنش باين عليه أي حاجة استثنائية في الأول، لكن مع الوقت الموهبة ابتدت تظهر، جو مارتن لاحظ إن ردود أفعاله بتخليه يقدر يتفادى أغلب الضربات.

الطوب اللي أخوه كان بيرميه عليه، والجري على مشط رجله وهو صغير خلوه سريع وحركته خفيفة، إلى جانب إن في بعض الآراء غير المثبتة علميًا حتى الآن، بترجح إن ردود أفعاله السريعة وقدرته على توقع اللكمات، جزء منها عائد لصعوبة التعلم اللي كان بيعاني منها.

طبقًا لتصريحات لاحقة لأفراد من عائلته كلاي كان بيعاني من الDyslexia عسر القراءة، ولكنها كانت غير مشخصة في الوقت ده، وعدم تعلمه القراءة والكتابة والحساب بشكل كافي ممكن يكون خلى مخه أكتر قدرة على التفوق رياضيًا.

لأن تعلم القراءة بيعيد تشكيل الوصلات العصبية في المخ، وممكن يكون المخ أكتر قدرة على معالجة البيانات البصرية زي توقع اللكمات في حالة كلاي، لو متمش إعادة تشكيل وصلاته بتعلم القراءة.

عشان كده في ناس بتعاني من عسر القراءة، بيفشلوا دراسيًا ولكن بينجحوا ويكسروا الدنيا في حياتهم العملية، زي Virgin مؤسس Richard Branson.
مفيش دليل علمي على هذا الكلام، دي مجرد احتمالات لتفسير تفوق يبدو فائق للطبيعة، وإلى جانب ردود أفعاله السريعة كلاي كان عنده القدرة على استعادة توازنه لو اتضرب، على عكس معظم الملاكمين لو اتضرب مبيتعصبش، وفي نفس الوقت مش بيخاف أو يهرب، الخناقة بالنسبة له فن مش عن عن، والملاكمة عقل مش عضلات.
وإذا كانت الموهبة خلته يلمع، فالانضباط خلاه يستمر وميطفيش، مارتن قال عنه:
It was almost impossible to discourage him. He was easily the hardest worker of any kid I ever taught.
من المستحيل حاجه تحبطه، لأنه أكتر ولد بيشتغل وبيبذل جهد في التمرين، أول واحد بيوصل وآخر واحد بيمشي.
وفي البيت يصحى الصبح يشرب لبن ويضرب بيض ني على الريق ويجري للمدرسة، وبعد المدرسة يروح يغير ويأكل ويروح يتمرن لحد بالليل، للاستعداد للماتش الأسبوعي اللي هيتذاع على التلفزيون في برنامج جو مارتن.
وقبل كل ماتش كان يلف على البيوت يخبط عليهم، ويعرفهم بنفسه ويقولهم إنه عنده ماتش بكرة على التلفزيون، ويطلب منهم يتفرجوا عليه في حركة غير مسبوقة، ولكنها معبرة عن عبقريته التسويقية، وفي نفس الوقت ابتدا يقول لزمايله في المدرسة، وهو بيلعب shadow boxing بين الحصص إنه هيبقى بطل العالم في الوزن الثقيل.
I am going to be the heavyweight champion of the world.
أهم وأغلى لقب رياضي في أمريكا والعالم كله في الخمسينيات، ولكن زي مانت عارف عزيزي المشاهد، حوش المدرسة غابة والطلبة فيه ديابة، زمايله في المدرسة ابتدوا يتريقوا عليه، وكل ما يسمعوه بيقول إنه هيبقى بطل عالم، يقولوا له You ain't ever gonna be nothing، إنت ولا حاجة وعمرك ما هتبقى حاجة، بطل عالم إيه وانت مش فالح في المدرسة.
والحقيقة عندهم حق، كلاي خد امتحان IQ وهو عنده ١٥ سنة وجاب ٨٣، صحيح الامتحانات غير معبرة عن إمكانات الفرد بوجه عام ولا فرص نجاحه، لكن ده ميمنعش أنها درجة تحت المتوسط، تنم عن مستقبل دراسي مظلم ومستوى أكاديمي ميدخلوش معهد القطن.
لكن كلاي كان ماشي بمبدأ العلم في الراس مش في الكراس، وكل ما يتيريقوا عليه أكتر كل ما يحب الملاكمة أكتر، لأنها الشيء الوحيد اللي بيحسسه بتميزه، التريقة استمرت لحد ما تم ١٦ سنة وحس إن جه الوقت إنه يثبت إنه أجمد واحد في المنطقة.
وكأي فتوة جديد كان عارف إنه لازم يتغلب على الفتوة القديم، فقرر يتحدى بلطجي لويس فيل الأشهر، اللي كان منيم المنطقة كلها من المغرب، ورافع شعار اللي هلمحه هامرجحه: Corky Baker.
أصدقاء كلاي نصحوه ميغامرش بحياته، في ناس شافت كوركي بيرفع عربية بإيده، وناس تانية كانوا من كتر الرعب لما يشوفوه في الشارع بيمشوا الناحية التانية، لكن كلاي كان

رافع شعار آنا وهبتَ نفسي لله.
وبعد نزال ماستمرش لأكتر من جولة واحدة، اتبع فيها كوركي استراتيجية عركة في خمارة، لكن فشل إنه يضرب كلاي، اللي فادى ضرباته وضربه بلكمته المفضلة ال Jab، لحد ما مناخيره جابت دم.
تقول لي: إيه الJab ده؟
في الملاكمة في ٣ أنواع من اللكمات، لكمة مستقيمة لو crossو، الشمال بالإيد Jab Uppercut أو صاعدة ولكمة، hook أو خطافية ولكمة، باليمين.
لو اللاعب أيمن، إيده اليمين هي القوية، بيقف إيده الشمال قدام واليمين ورا فيما يسمى بال orthodox boxing stance، الحقنة بمعنى Jabال أو السريعة اللكمة بتبقي دي الشمال، southpaw أو أشول ولو، الكروس هي اللي ورا اليمين إيده وبيقف بيقف العكس الشمال هي اللي لورا واليمين هي اللي قدام.
أسرع لكمة في الملاكمة هي الجاب، ودي كانت من تخصص كلاي اللي كان بيعتمد على سرعة إيده وطول دراعه، فبيضرب اللي قدامه بسرعة ويتحرك من قدامه قبل ما يلحق يضربه، وده اللي حصل مع كوركي اللي فضل يتضرب، لحد ما وقف في وسط الحلبة وقال:
This ain’t fair!
مش لاعب!
فانسحب وقرر ميكملش الماتش، وبعد ما ضرب الفتوة كلاي بقى كبير المنطقة، وشعاره هو الساحة دي بتاعتي وأنا اللي شاكمها، ولكن رغم فوزه في صراعه مع التنمر، صراعه مع العنصرية كان أصعب بكتير.

بعد نهاية الحرب الأهلية الأمريكية سنة ١٨٦٥، وإقرار التعديل ال١٣ للدستور أو ال13th amendment اللي أقرت بإلغاء العبودية، بدأت بعض الولايات في إصدار تشريعات للتحايل على التعديل الدستوري والحفاظ على تراث العبودية، أدت لتطبيق نظام فصل عنصري مبني على لون البشرة.

زي ما قولنا في مالكوم الأوتوبيسات السود ليهم مكان مخصص ورا، ومينفعش يقعدوا قدام حتى لو الأوتوبيس فاضي، وفي المطاعم والمحلات ليهم أماكن مخصصة، وممكن يتم منعهم من دخول المكان أساساً، ده إلى جانب صعوبات فيما يخص التصويت والعمل وأماكن السكن.

وكلاي لاحظ إن العالم مقسوم نصين، نص للسود ونص تاني أحلى للبيض بس ممنوع يدخلوه، كان بيتفرج على الأطفال البيض بيلعبوا في ملاهي Fontaine Ferry Park، اللي جنب بيته ورغم كده ممنوع يخشها، حتى الكنيسة لما كان بيروحها مع مامته، كان بيشوف كل الصور بيضة رغم إن كل الحاضرين سود، لدرجة إنه سألها في مرة:

Why is Jesus white while everyone at the church is black?

ليه المسيح أبيض بينما كل اللي في الكنيسة سود؟

الشعور ده نماه جده، اللي ياما حكاله إنه كان ممكن يبقى لاعب baseball مشهور لولا العنصرية، وباباه اللي كان شايف إنه ممكن يبقى ياسمين صبري هوليوود لولا بشرته السوداء، وربى فيه من وهو صغير إن الفلوس هي الحاجة الوحيدة، اللي ممكن تخلي الناس تحترم واحد أسود زيه.

كلاي اتعلم الدرس وبقى هدفه يجمع أكبر قدر ممكن من الفلوس، والملاكمة بالنسبة له هي الطريقة اللي ممكن يحقق بيها الهدف ده، لكن الثروة محتاجة شهرة، وأول طريق المجد في الملاكمة هو الأولمبياد.

كلاي بقى بيتمرن حوالي ست ساعات يومياً، ومش مرة واحدة لا مرتين، بيتمرن مع جو مارتن وبعد كده يطلع على مدرب تاني اسمه Fred Stone، لعيبته معروفين بفنياتهم عشان يعلي مستواه، وإلى جانب التمرين كان بيتفرج على ماتشات عشان يتعلم من أخطاء اللعيبة. فلاحظ إن الملاكمين خاصة في الأوزان التقيلة، ماتشاتهم أقرب لمصارعة التيران، بيقفوا يدغدغوا بعض فبيتصابوا وعلى آخر الماتش حالتهم بتصعب عالكافر، فقرر إن مفيش أي داعي للعب بالطريقة دي، الملاكمة فن مش عركة في خمارة.

الصياعة أنك تضرب ومحدش يضربك، ولذلك مفيش أي داعي أنك تفضل واقف قدام الخصم، المفروض تضرب وتتحرك عشان محدش يعرف يطولك، فكلاي بقى يضرب ويتحرك يضرب ويتحرك، إيده سريعة ورجله أسرع.

وعلى عكس كل قواعد الملاكمة اللي بتقول إن الملاكم لازم يغطي وشه، كلاي كان بيلعب وإيده جنبه ووشه مكشوف عشان يغري اللي قدامه يضربه، فيتفاداها قبل ما يرد عليه بلكمة مضادة.

كلاي بقى ملك اللكمات المضادة، ولكن الStyle ده عرضه لهجوم شديد ليه ولمدربه، اللي شايف اللعيب بتاعه بيكفر بكل قواعد الملاكمة، في أحد الماتشات جو مارتن صمم إن

كلاي يرفع إيده وهو بيلعب، ولكن لما شافه بيتضرب قال له: حقك عليا نزل إيدك تاني.
ورغم إنه برة الحلبة شخص خجول ومؤدب أقرب للفنان محمود الجندي، إلا إنه جوة الحلبة كان بيتقمص شخصية الفنان غسان مطر، الخوف الشديد اللي كان بيشعر بيه قبل كل ماتشاته باعترافه الشخصي، كان بيحوله لثقة يهز بيها اللي قدامه ويهزمه نفسياً من قبل ما يواجهه، تحت شعار:
.Fake it till you make it
فابتدا يتنمر على منافسينه ويتريق عليهم، واتبع مدرسة الفنان زاب ثروت الأدبية وبقى يقول أشعار بسيطة قبل كل مباراة:
.This guy must be done, I'll stop him in one
ولكن زي ما انت عارف يا عزيزي، مفيش حاجة ببلاش، جدول المباريات المزدحم جه على حساب الدراسة، اللي أصلاً حالتها كانت منيلة بنيلة، كان متوقع إن كلاي يسقط، ولكن في نهاية السنة وفي لفتة تاريخية معروفة باسم The claim to fame.
ناظر المدرسة جمع المدرسين وقال لهم: الطالب ده عنده فرصة ينجح ويكسر الدنيا، ولو ده حصل عايزين العالم يفتكر إن إحنا اللي نجحناه مش اللي سقطناه، الله عليك يا أستاذ!
وبسبب مدرسة الناظر علاء ولي الدين دي، كلاي اتخرج في المركز ال٣٧٦ من ٣٩١، بتقدير certificate of attendance، مكنش له لزوم تتعب نفسك معانا والله.
بس مش مهم الشهادة، كله يهون في سبيل الانضمام للمنتخب اللي هينافس في أولمبياد روما ١٩٦٠، المشكلة إن اختبارات الانضمام للمنتخب في سان فرانسيسكو أقصى غرب الولايات المتحدة، على بعد حوالي ٣ أيام بالقطر من لويسفيل في الشرق.
فكلاي اللي عنده فوبيا من الطيران، قال لجو مارتن إنه مش عايز يلعب في الأولمبياد، واقترح عليه يبدأ يلعب مع المحترفين حيث الشهرة والمال، بقى عايزني أطير لسان فرانسيسكو ولو كسبت أطير رايح جاي لإيطاليا؟ هو العمر بعزقة؟ مش لاعب!
جو مارتن قعد يحايل فيه، قال له: إن أحسن طريقة يبدأ بيها مشوار الاحتراف هي الفوز بالأولمبياد، أنما لو لعب محترفين على طول، هيقعد سنين لحد ما حد يديله فرصة يلاعب بطل العالم.
كلاي اقتنع بس قبل ما يسافر راح أشترى باراشوت، وفضل لابسه في الطيارة لحد ما وصلوا، وكما هو متوقع كسب الاختبارات، وبقى على بعد خطوة من تحقيق حلم الميدالية الأوليمبية.
في روما كلاي الخجول تحول لنجم نجوم القرية الأوليمبية، ماشي بكاميرا في إيده وبيسلم على الناس كلها باعتباره بطل العالم، ابتسامته الدائمة وحسه الفكاهي خلوه من أشهر الرياضيين في القرية، أمريكا في الوقت ده كانت بتحاول تظهر صورة وردية للعالم.
عندنا رياضيين سود أهو والدنيا زي الفل، عشان يداروا على موجة الاحتجاجات اللي بتطالب بإنهاء التفرقة العنصرية في أمريكا، بقيادة عتاولة الحقوق المدنية زي مارتن لوثر كينج، وكلاي رغم إنه أسود كان بيروج للصورة دي.
لما صحفي أجنبي سأله إذا كان في أزمة بتواجه السود في أمريكا قال له:
Oh, I guess there are some troubles, But nothing you can't fix. The .United States is still the greatest country in the world

أعتقد آه في مشاكل، بس مش مشاكل ملهاش حل لأن أمريكا أعظم بلد في العالم.
ولما صحفي روسي من مدرسة الأستاذ بيرس مورغان، حب يزنقه وسأله عن حقيقة إن السود مينفعش يأكلوا في مطاعم البيض في أمريكا، قال له إن فعلاً ده بيحصل أحياناً ولكن ده ميمنعش إن البلد دي أحسن من غيرها، على الأقل مش عايش في كوخ وبصارع التماسيح.
Life in America is still wonderful, at least I am not fighting off alligators and living in a mud hut.
في إشارة لسذاجته وضحالة معرفته السياسية، وجهله بعيشة السود في العالم وفي إفريقيا تحديداً، اللي كانت بتمر بمرحلة تحرر من الاستعمار، وبيتضرب ببعض دولها المثل في حركات الحقوق المدنية، ولكن بغض النظر عن تصريحاته اللي ضايقت بعض الناس اللي كانوا متوقعين رد مختلف.
محدش كان بيعاني قد مدربين المنتخب، كلاي كسب ماتش ورا التاني وبقى على موعد لمواجهة بطل أوروبا في النهائي البولندي Zbigniew Pietrzykowski زيجي بتركاوسكي.
المدربين قالوا له لو مفيهاش إساءة أدب، يعني ياريت وسط اللقاءات تبقى تيجي تتمرن، عشان الواد البولندي مش سهل وكسب ميدالية برونزية الأولمبياد اللي فاتت، إنت هتلاعب بطل أوروبا مش الفنان حمادة هلال.
لكن كلاي كان بيتعامل إنه في مهرجان الجونة، ومبيتمرنش تحت شعار اللي ذاكر ذاكر، يروح يجري له اتنين كيلو الصبح ويطلع ي socialize مع زمايله، ويمضي أوتوجرافات للمشجعين ويعمل لقاءات مع الصحفيين.
ورغم كل ده تغلب على زيجي بتركاوسكي في النهائي بأداء فني لفت أنظار العالم، وكسب الميدالية الأوليمبية بعد ٦ سنين من بداية لعبه للملاكمة وعمره ١٨ سنة.
بعد التتويج كلاي حس إنه ملك متوج على العالم كله، ومن ساعة ما لبس الميدالية وهو مبيقلعهاش، بيتمشى بيها وياكل بيها وحتى بينام بيها، الميدالية بالنسبة له هي الشهادة اللي بتثبت إمكانياته والدرع اللي هيحميه من العنصرية.
ويخليه جدير بالاحترام والمعاملة كمواطن درجة أولى لأول مرة في حياته، دي الأولمبياد مش بطولة الجيزة، ولما رجع لويس فيل قال بيت شعر لتثبيت صورته كبطل قومي قدام المئات اللي جم يستقبلوه وقال:
To make America the greatest is my goal,
So I beat the Russian, and I beat the Pole.
هدفي أخلي أمريكا الأعظم، فهزمت الروس، والبولنديين إدتهم دروس.
وفي أحد الأيام قرر يروح ياكل في محل من محلات وسط البلد، خلاص بقى بطل أوليمبي ومن حقه يأكل في أي حتة، لكن صدمته كانت كبيرة لما صاحب المطعم الأبيض رفض تقديم أكل ليهم عشان سود، حتى وهو لابس الميدالية وبيقوله إنه لسه رافع راس أمريكا وكسبان الأولمبياد.
كلاي أدرك في اللحظة دي إن العنصرية مش هتنتهي عشان حتة ميدالية، وإن حبه لأمريكا طلع زي أغلب علاقاتك العاطفية: حب من طرف واحد.
وفي واحدة من أشهر الأساطير في تاريخ الرياضة، كلاي حس بغضب وإحباط شديد جداً بعد

الموقف المهين ده، فرمى الميدالية اللي فشلت في جلب الاحترام ليه في النهر.
القصة دي كلاي ذكرها في سيرته الذاتية اللي صدرت سنة ١٩٧٥، ولكنها مجرد أسطورة لأنه اتصور بعد تاريخ الواقعة دي وهو لابس الميدالية عادي، اللي يرجح أنها ضاعت لسبب ما ولكنه ربط ضياعها بالموقف ده فخلاه أقوى وأكثر تأثيرًا.

الطريق إلى بطولة العالم

الموقف ده أكد لكلاي إن طريق الرجل الأسود للاحترام مفروش بالشهرة والفلوس، واللي هيحقق الاتنين هو الفوز ببطولة العالم، وبسبب تألقه في الأولمبياد جاله كذا عرض من أساطير في الملاكمة لتدريبه وإدارة أعماله.

زي بطل العالم السابق اللي أنهى مسيرته بلا هزائم روكي مارسيانو، ومدير ومدرب أول بطل أولمبي يفوز ببطولة العالم للوزن التقيل فلويد باترسون، ومن أشهر مدربين الملاكمة في التاريخ: Cus d'amato.

ولكن الأمر انتهى بتولي مجموعة من رجال الأعمال البيض من ولاية كنتاكي إدارة أعماله، وقالوا له إن بما إنهم فاحشي الثراء فمش محتاجين يسرقوه، وأنهم مجرد عايزين يساعدوا ابن كنتاكي البار لتحقيق طموحاته، وعرضوا عليه عقد بيسمح له يحتفظ بنص عوائد ماتشاته بالإضافة لإيداع ١٥٪ في صندوق خاص يقدر يصرفه في حالة التقاعد.

النسب دي كانت غير مسبوقة في الوقت ده، اللي الملاكمين فيه كانوا بياخدوا نسب قليلة جدًا في مقابل أرباح مهولة لمديرين أعمالهم، اللي أغلبهم على علاقة وطيدة بالمافيا، أبو كلاي في الوقت ده كان متقمص شخصية أبو نيمار وعامل فيها مدير أعماله، فوافق على شرط واحد إنهم يلاقوا مدرب تاني غير مارتن جو.

أبو كلاي قال إنه عايز مدرب أكتر خبرة بلعب المحترفين، عشان يساعد ابنه يكسب بطولة العالم، ولكن ممكن يكون السبب الحقيقي له علاقة بأن مارتن جو ضابط شرطة أبيض، وأبوه لا بيحب البيض ولا بيحب الشرطة.

تقول لي: الله مش رجال الأعمال بيض برضه؟

عزيزي، طالما بتدفع يبقى زي ما قال الفنان محمد منير: لا يهمني لونك ولا يهمني عنوانك.

كلاي معترضش، ومتمسكش بمدربه اللي كان سبب في لعبه للملاكمة، وأحد أهم أسباب فوزه بالأولمبياد، ومارتن اللي عمله على إيده وشافه بيكبر قدام عينه، مشي مكسور على أنغام عايم في بحر الغدر شط الملاكمين مليان.

في البداية تولى تدريبه بطل العالم السابق تدريب معسكر عامل كان اللي، Archie Moore جاي أنا لا: له قال كلاي، بنفسهم وينضفوا ويغسلوا بيطبخوا الملاكمين، الرفاهية من خالي housekeeping أتعلم مش أتمرن، أنا مطبختش لأمي هاجي أطبخلكم أنتم، فسابه وبدأت رحلة البحث عن مدرب من أول وجديد.

البحث عن مدرب لملاكم في عنفوان شبابه، رافع شعار يا أرض اتهدي ما عليكي قدي مهمة مش سهلة أبدًا، محتاج مدرب مش بس بيفهم في الملاكمة، لكن كمان بيفهم في كيفية كسب ثقة الملاكمين واحترامهم، والتأثير عليهم من غير ما يحسوا إن هو اللي بيمشيهم.

السبونسرز قرروا تكليف المدرب المخضرم Angelo Dundee بالمهمة دي، ودي مكانتش أول مرة داندي يسمع عن كلاي، قبل الأولمبياد أثناء زيارته للويس فيل مع الملاكم ويلي باسترانو، اللي كان بيمرنه في الوقت ده.

لقى شاب صغير عنده ١٥ سنة، بيتصل بيه على أوضة الأوتيل وبيقوله إنه بطل الجمهورية،

وبإذن الله هيبقى بطل الأولمبياد وبعدها بطل العالم وعايز يقعد معاه شوية، فداندي قال له: يطلع بما إن شكله ولد لطيف، وكمان مفيش حاجة عدلة يتفرجوا عليها على التلفزيون.
القعدة استمرت ل٣ ساعات، كلاي سأله فيهم عن طرق التدريب والتغذية، وكان عامل زي السفنجة عايز يمتص كل كلمة وكل معلومة، وقبل ما يمشي طلب إنه يتمرن مع باسترانو، فداندي قال له: قوم يا حبيبي يلا عشان هتتأخر على المدرسة ومتنساش تغسل سنانك، ولكن مع إصراره وافقوا.
وبالفعل لاعبوا بعض في التدريب، وكانت النتيجة إن باسترانو اللي عنده خبرة ٥ سنين في ملاكمة المحترفين، وفي المستقبل بقى بطل عالم في وزن الخفيف ثقيل، كل علقة موت وداندي اضطر يوقف النزال، خوفاً على معنويات باسترانو اللي نزلت الأرض بعد ما اتمسح بيه الأرض.
ولذلك بعد سنين من أول مقابلة داندي كان فاكره كويس جدًّا، وأدرك إنه عشان يقدر يأثر على كلاي، وفي نفس الوقت يحافظ على الشغلانة اللي بتدخله حوالي ٢٠٠ دولار في الأسبوع، محتاج يتعامل معاه زي ما بيتعامل مع الأطفال بالضبط، بال reverse psychology أو علم النفس العكسي.
عايزه يشتغل على لكمة معينة زي اليقوله بس، عليها اشتغل ميقولوش، أمثل uppercut uppercutال اللي لعبتها في التدريب كانت ممتازة، وهو ملعبهاش ولا قرب ناحيتها، فينبسط قوي ويجي تاني يوم يشتغل عليها لوحده، خطة في منتهى الذكاء!
كلاي ابتدا يشق طريقه في عالم المحترفين، وابتدا يكسب ماتش ورا التاني زي السكينة في الحلاوة، بنفس الطريقة اللي كان بيكسب بيها ماتشات الهواة، حركة سريعة وتفادي لضربات الخصم.
وعلى عكس ما كان متوقع إن الصحفيين هينبهروا بطريقة لعبه، هاجموه وقالوا إيه اللعب المايص ده؟ هو إحنا جايين نتفرج على ماتش بينج بونج؟ ما تلعب عدل يا كابتن وتقف وتتضرب زي الرجالة!
الهجوم طال مدربه اللي اتهموه إنه مش شايف شغله، وسايب كلاي يترقص ولا كأنه بيلعب باليه، ولكن زي ما قال Ali: A Life كتابه في، Jonathan Eig.
داندي مكنش عايز يغير كلاي اللي شافه موهبة فطرية، لكن على قد ما كلام الإعلام مأثرش على طريقة اللعب، على قد ما أثر على الشعبية، اللي بتترجم لعوائد أكتر من بيع التذاكر، وفرصة أكبر للحصول على فرصة للمنافسة على لقب بطل العالم.
في الوقت ده كلاي تم استضافته في أحد برامج الراديو المحلي، مع واحد من أشهر المصارعين المحترفين في الوقت ده معروف باسم: Gorgeous George.
جورج من أوائل المصارعين اللي حولوا مصارعة المحترفين من مجرد رياضة لبرنامج ترفيهي، بيعتمد على الأداء المسرحي إلى جانب الأداء الرياضي، فهم من بدري إن سر النجاح هو قدرته على جذب انتباه الجمهور والإعلام، فبقى يستفز خصومه وبيدخل الحلبة وهو لافف شعره كأنه لسه طالع من الكوافير
ويقولهم:
I can’t lose, I am the greatest. If I lose I will cut my hair in the

.middle of the ring
لا يمكن أخسر لأني الأعظم، لو خسرت هحلق شعري في نص الحلبة.ٍ
ماتشاته كان بيحضرها آلاف كتير، مش عشان بيحبوه ولكن عشان يشوفوه بيضٍرب، وده خلاه من أشهر الرياضيين وأنجحهم في أمريكا، دخله سنة ١٩٥٠ كان حوالي ١٠٠ ألف دولار، وده رقم ضخم جدًّا وقتها.
كلاي قرر يتبع نفس الاستراتيجية، وتحت شعار من تواضع لله رفعه، ابتدا يعلن في كل مناسبة إنه أحسن ملاكم وزن تقيل في التاريخ، I am the greatest واللي هلمحه همرجحه، ومبقاش بس بيتوقع فوزه لكن كمان بيتوقع هيكسب في أنهي جولة.
.He’s mine, I will get him in nine
.If he makes me sour, I will cut it to four
.But if he run, I’ll get him in one
هسيطر عليه بسهولة وهديله القاضية في الجولة التاسعة، ولو حاول يقاوم هخلص في الجولة الرابعة، ولو جري مني هنهي النزال في الجولة الأولى.
وزي ما توقع طريقته نجحت في جذب عدد أكبر من المتفرجين، وماتشاته بقت sold out، المشجعين اللي كتير منهم من البيض، عايزين يتفرجوا على الشاب الأسود المغرور بيتضرب، المشكلة إن محدش عارف يضربه.
كلاي كسب ١٩ ماتش بلا هزيمة واحدة، وحس إنه يقدر يتحدى بطل العالم، وبطل العالم في الوقت ده كان مقطورة محملة أسياخ حديد، تريلا مينفعش تطلع الدائري قبل ١١ بالليل، إيده الشمال مرزبة واليمين قطر إسكندرية ـ أسوان، المرعب: سوني ليستون.
ليستون الابن ال٢٤ لأسرة من المزارعين الفقراء، أبوه كان بيضربه بعنف واستمرار وهو صغير، فشل في الدراسة فساب المدرسة واتجه للجريمة من قبل حتى ما يتعلم يقرا ويكتب، واتحبس وهو عنده ٢٢ سنة بتهمة السطو المسلح.

في السجن قوته البدنية المهولة، وقدرته على القتال لفتوا الأنظار ليه فبدأت رحلته مع الملاكمة، وبعد الإفراج عنه المافيا اللي كانت مسيطرة بصورة شبه كاملة على ملاكمة المحترفين، لاحظوا موهبته وتولوا إدارة أعماله، لحد ما بقى بطل العالم للوزن الثقيل سنة ١٩٦٢، بعد هزيمته لفلويد باترسون في ماتش استمر ١٢٦ ثانية.

عزيزي، أنا مش بقولك انه اتغلب على الفنان أمير كرارة، ده فلويد باترسون ومع ذلك كسبه في دقيقتين، يعني ملحقش يركن العربية، الدنيا اتقلبت وسوني ليستون بقى معروف كأخطر رجل على وجه الأرض، وساعد في ترويج السمعة دي الفترة اللي قضاها في السجن وعلاقته بالمافيا.

ده إلى جانب وسائل الإعلام البيضاء، اللي كانت سعيدة بوجود رجل أسود زيه يقدر يلعب دور الشرير، وبالنسبة لكلاي دي كانت فرصة عمره للعب دور البطل المنقذ.

تصريحات كلاي المثيرة للجدل وحبه لجذب الانتباه، خلوه محل أنظار الصحافة اللي ابتدت تتابع أخباره بنهم، سنة ١٩٦٣ مجلة Times اللي بتبيع حوالي ١٠ مليون نسخة كل عدد، حطت صورته على الغلاف

وكلاي ابتدا يتعامل مش على إنه ملاكم، ولكن على إنه عامل في صناعة الترفيه، وقال في إحدى المقابلات:

.I don’t feel like I am boxing anymore, it’s show business

أنا مش حاسس أني بلعب ملاكمة، أنا حاسس أني في مجال العروض والترفيه، وبما إنه لسه المصنف الرابع على العالم، كان عارف إنه عشان يلاعب سوني ليستون، ممكن يستني سنين لحد ما يبقى المصنف التاني أو ال contender.

فقرر يعمل شو إعلامي لاستفزاز ليستون وإجباره إنه يلاعبه بأي طريقة، فبدأ يشتمه في كل مقابلاته الصحفية وسماه The Ugly Bear الدب القبيح، شتيمة عنصرية الغريب أنها طالعة من ملاكم أسود زميل، بيعاني هو برضه من العنصرية.

لكن كلاي كان عبقري تسويق، وقرر يروج لنفسه كأندردوج جاي ينقذ الملاكمة من قبضة رجل عصابات وخريج سجون، بينما هو شاب وسيم وسريع الناس بتيجي من العالم كله عشان يتفرجوا عليه.

بس ليستون مكنش مهتم يلاعب شاب عنده ٢١ سنة مش عارف هو بيقول إيه، فكلاي بدأ واحدة من أشهر الحملات الدعائية في تاريخ الملاكمة عشان يجبره يلاعبه، وبقى بيطارده في كل حتة، يروحله ماتشاته وقدام المعسكر التدريبي بتاعه، وحتى الأماكن العامة زي الكازينوهات والمطاعم.

كل ما يشوفه يقوله أنا لو مسكتك في الحلبة هبهدلك، الموضوع كان شبه نكتة الفار اللي بيقول للأسد في حد هيطلع عينه النهارده، محدش خد تهديدات كلاي بجدية، فجاب أوتوبيس وحط عليه شعارات بتتوقع هزيمة ليستون الدب القبيح.

وراح ركنه قدام بيته الساعة ٣ الفجر ومسك ميجافون وقعد يشتمه، قدام الجيران والصحفيين اللي بعتلهم يبلغهم إنه رايح لليستون، عشان يضمن تغطيتهم للحدث.

الدوشة اللي عملها خلت الجيران يتصلوا بالبوليس، اللي وصل بسرعة قبل ما تحصل مصيبة، وده طمن كلاي لأن سجل ليستون الإجرامي هيخليه يخاف يضربه في الشارع، ليتحبس

بعقوبة مشددة كل ده كان مادة مسلية جدًا لوسائل الإعلام، اللي بعضهم حبوه وبقى ضيف دائم في برامجهم، وبعضهم ابتدوا يشجعوا إقامة المباراة لأن واضح إن الغرور عاميه وليستون محتاج يربيه، فليستون قرر يحط حد للمهزلة دي وقبل التحدي.

في الوقت ده أمريكا كانت بتمر بتحدي أكبر بكتير، الكلام ده في أوائل الستينيات في عز حركة الحقوق المدنية، سنة ١٩٦٣ شهدت The March for Jobs and Freedom، التاريخي خطابه فيها قال اللي، كينج لوثر مارتن بقيادة مواطن ألف ٢٥٠ من مسيرة I have a dream لدي حلم.

وقبل نهاية السنة تم اغتيال الرئيس كينيدي، وفي وسط كل ده كلاي كان بعيد تمامًا عن السياسية، آخر مسيرة للحقوق المدنية شارك فيها في الخمسينيات، واحدة ست بيضاء رمت عليه ميه، فقرر إنه مش هيتظاهر تاني، عايزين ناكل عيش ونضرب ناس من غير مشاكل.

لكن مع تقدمه في السن وسطوع نجمه في الملاكمة، ابتدا يتشد لمنظمة مختلفة عن المنظمات اللي بتنادي بالمساواة بين البيض والسود، منظمة في الوقت اللي أغلب الأصوات السوداء بتنادي بإنهاء الفصل العنصري، طالبت بعمل دولة مستقلة للسود، أكبر منظمة للمسلمين السود في أمريكا، وطبقًا لل Nation of Islam، منظماتها أخطر من واحدة FBI أو NOI.

وزي ما قلنا في مالكوم في الوقت اللي اتفصل فيه من المنظمة بعد خلافاته مع إليجا محمد، كان كلاي بيستعد لخوض أهم مباراة في حياته،إلا إنه كان بيقضي وقت طويل مع مالكوم اللي اعتبره أكتر من أخ، مالكوم علمه عن الدين والسياسة وتاريخ العبودية وكان كلاي مسميه Big M.

وكان مالكوم بيعزمه في بيته على اعتبار إنه عم العيال، وشاف فيه شاب مش بس يقدر يبقى بطل عالم، لكن كمان ممكن يبقى رمز للرجل الأسود، اللي هيشوف نفسه فيه وهيحس بالفخر وعزة النفس، زي ما السود حسوا بفخر شديد لما جو لويس كسب بطولة العالم بعد فوزه على James Braddock سنة ١٩٣٧.

وزي ما قولنا إليجا محمد شايف إن الرياضة لهو وتضييع وقت، إلا إن مالكوم حس إن نجاحه في ضم كلاي بصورة علنية للمنظمة ممكن يشفع له عند إليجا، فراحله مع أسرته معسكر التدريب في ميامي في رحلة مدفوعة الأجر من كلاي.

عشان يبقى جنبه في مباراته مع جودزيلا القرن العشرين سوني ليستون، ويحمسه بأنها مش هتبقى مجرد مواجهة بين اتنين ملاكمين، ولكن هتبقى ملاكمة بين الحقيقة والضلال، بين دين الحرية ودين العبودية، عشان كده لازم يبقى متأكد إن ربنا هينصره.

ورغم الحملة الإعلامية الجبارة اللي عملها كلاي عشان يلاعب ليستون، إلا إنه بينه وبين نفسه كان قلقان، وحاسس إن ده أخطر ملاكم يواجهه حتى الآن، لكنه كان مستعد يموت قبل ما يتقبل الهزيمة وقال في إحدى المرات:

Maybe I can be Beat. I doubt it, but the man is going to have to» knock me down and then I'll get up and he'll have to knock me down again and I'll get up and he'll have to knock me down again

and I'll still get up. I've worked too hard and too long to get this chance. I'm gonna have to be killed before I lose, and I ain't going to «die easy

ممكن أخسر، بس عشان أخسر لازم يوقعني بالقاضية، ولو وقعني هقوم تاني، ولو وقعني كمان مرة هقوم تاني برضه، أنا تعبت واشتغلت كتير عشان الفرصة دي، وعشان يكسبني لازم يموتني، وأنا مش ناوي أموت بسهولة.

وعشان يداري خوفه قرر إنه لازم يعمل فيها مجنون، فأثناء ال weight in أو تسجيل أوزان اللعيبة، جري عليه ومثل إنه هيضربه بس حاشوه، على أمل حدوث حاجة من اتنين: يا ليستون هيحس إنه هيواجه حد مش خايف منه على غير العادة فهو اللي هيخاف، يا إما هيغضب وهيلاعبه وهو متنرفز وساعتها يبقى مسك أول طريق الخسارة، الحركة دي خلت الصحفيين يقولوا كلاي ده يا إما مرعوب، يا إما هبت منه خالص.

وفي يوم ٢٥ فبراير سنة ١٩٦٤، كلاي بدأ وإيديه الاتنين تحت وكأنه بيقول لليستون اضربني، عدم تغطية الوجه في مباراة مع بطل العالم ده معناه انتحار مؤكد، وليستون ناويله على شر بعد ما هزقه على جميع القنوات، ولكن من أول دقيقة السرعة تغلبت على القوة.

ليستون هجم بقوة وضرب ٨ لكمات متتالية مفيش واحدة فيهم لمست كلاي، اللي فضل يتحرك في كل حتة بيتفادى ضربات ليستون وفي نفس الوقت مبيبطلش ضرب، وزي ما انت عارف الضربة عبارة عن Mass X أو سرعة X كتلة = momentumوال، momentum velocity، وكلاي في الفيلوسيتي معندوش ياما ارحميني.

«عشان كده رغم إن لكماته تبان ضعيفة، إلا أنها تسببت في ضرر» كبير لليستون اللي مبقاش عارف الضرب جاي منين ولا منين، كلاي كسب جولة ورا التانية وليستون عينه ورمت ومناخيره ابتدت تنزف، والجمهور مبقاش مصدق إن كينج كونج ممكن يتضرب عادي زي البني آدمين.

بعد نهاية الجولة التالتة، بعض المصادر القريبة من كورنر ليستون، سمعوه بيقول لمساعدينه Juice The gloves، حطوا السائل على القلبظات، ومع بداية الجولة الرابعة كلاي اتحرك بخفة كالعادة، وليستون بيجري وراه زي التور، لحد ما زنقه وابتدا وهم ماسكين بعض يمشي إيده على وشه.

وبعدها حصلت حاجة غريبة، كلاي بقى واضح عليه إنه بيعاني من مشكلة، وشه بيتألم وعينيه مغمضة، ليستون أول ما شاف المنظر ده حصلت له صحوة مفاجئة، والجمهور بقى حاسس إنه ممكن ينهي الماتش بلكمة ماركة مجدي قفشة، ولكن ستر ربنا الجرس أعلن نهاية الجولة قبل ما ليستون يعملها.

كلاي اشتكى لمدربه إنه مش شايف حاجة، وطلب منه يقطع الglovesوينهي النزال، هيلاعب إزاي أخطر رجل على وجه الأرض، وهو متقمص شخصية الشيخ حسني في فيلم الكيت كات، لكن داندي اللي شك إن فرقة ليستون حطوله مادة على الجوانتي عشان تعمي كلاي، قال له: هتلعب يعني هتلعب، دي بطولة عالم مش الكونفدرالية.

ومع بداية الجولة الخامسة كلاي دخل الحلبة وفريقه حاطين إيديهم على قلوبهم، داندي قال

له يجري من قدامه، وباندیني اللي يعتبر مسؤول الشؤون المعنوية والمحفز الرئيسي ليه، قال له يفرد إيده الشمال ويستخدمها لقياس المسافة بينه وبين ليستون.
والجولة بدأت وليستون رافع شعار أنا جايلك وناويها، كلاي بقى عامل زي الساندباج عمال يتضرب وكل شوية يحضنه عشان ياخد نفسه، وليستون عامل زي اللودر اللي بينفذ قرار إزالة، في أحد المرات ليستون ضرب كلاي ١٦ لكمة في جسمه، ورا بعد من غير أي رد من كلاي اللي كان متوقع إن ليستون ممكن ينهي النزال بالقاضية في أي وقت.
لكن يبدو إن قدرة كلاي على تلقي اللكمات واستحمال الألم، كانت فوق توقعه هو ومدربه، على نهاية الجولة بدأ يشوف تاني ورجع لمستواه، أما ليستون نفسه اتقطع من كتر الضرب اللي ضربه لكلاي في الجولة الخامسة، ومن كتر الجري وراه طول الماتش، كلاي لعب زي ما شعاره بيقول:
.Float like a butterfly sting like a bee
أحلق كالفراشة وألدغ كالنحلة، ومع نهاية الجولة السادسة في مفاجأة غير متوقعة بالمرة، ليستون انسحب وقرر ميكملش المباراة، وكلاي الشاب اللي عنده ٢٢ سنة بقى بطل العالم للوزن الثقيل.

الانضمام لمنظمة أمة الإسلام

كلاي بعد الفوز دخل في حالة من اليوفوريا وفضل يزعق في وسط الحلبة ويقول:
I am the greatest. I shook up the world. I shook up the world.
لكن العالم كان على موعد مع صدمة أكبر بكتير، عند سؤاله عن علاقته بال The black Nation Of Islam ل انضمامه وأعلن المفاجأة فجر، muslims.
خبر صادم لقطاع كبير من الناس، اللي كل اللي يعرفوه عن المنظمة أنها متطرفة وبتدعوا للعنف والكراهية للبيض، رغم إن جزء من مشجعيه بيض ومديري أعماله بيض وحتى مدربه أبيض.
حتى أهله اتصدموا إن ابنهم غير دينه، وانضم لمجموعة من السود العنصريين الانفصاليين، اللي بيروجوا لتفوق الرجل الأسود وبيدعوا للعيش في دولة مستقلة، لكن كلاي متراجعش تحت الضغط.
تمسك بموقفه وقال إنه مؤمن بربنا وبالسلام، وأنه مش بيحاول يعيش وسط البيض ولا يتجوز منهم، وأنه اتعمد في سن ١٢ سنة ولكن مكنش يعرف هو بيعمل إيه وهو مش مسيحي حالياً، وقال أنا عارف أنا رايح فين وعارف الحقيقة، ومش مضطر ابقى الشخص اللي عايزني ابقاه، أنا حر أكون الشخص اللي من اختياري.
طبعًا في الوقت اللي كلاي كان بيبدأ فيه مشواره مع الـبيعلن كان إكس مالكوم، NOI Muslim Mosque منظمة وعمل، عنها انفصاله، المستعدة تتعاون مع تيارات حركة الحقوق المدنية المختلفة، على عكس أمة الإسلام اللي ضد المطالبة بالدمج والمساواة، وشايفاهم تضييع وقت وخيانة للقضية.
وفي خلال أسابيع من الإعلان ده، المنظمة خسرت نجمها الأشهر بالإضافة لحوالي ٢٠٪ من أعضائها، مالكوم كان عامل حسابه إن صديقة وتلميذه وأخوه المحبب كلاي، هينضم لمنظمته الجديدة، لكن إليجا محمد مضيعش وقت ورد فعله كان سريع وحاسم.
جرت العادة لأعضاء المنظمة إنهم يتخلوا عن اسم العبودية ويستبدلوه بإكس، زي ما حصل مع مالكوم اللي غير اسمه من مالكوم ليتل لمالكوم إكس، لكن إليجا محمد قرر يgo the extra mile مع كلاي عشان يحسسه بأهميته ويكسبه في صفه، فأعلن عن منحه اسم جديد بالكامل في لفتة مبتتعملش غير مع أقرب الأقربين، اسم هيعرفه العالم كله: محمد علي.
كلاي أو محمد علي دلوقتي كان في موقف لا يحسد عليه، يا يختار زعيم المنظمة اللي فهم رغبته في الشعور بالتميز وقربه منه وخلاه عضو في حاشيته، يا يختار أخوه ومعلمه وصديقه، اللي آمن بيه في الوقت اللي المنظمة كانت بتراهن على هزيمته.
ولتاني مرة في حياته، محمد علي تخلى عن شخص ساعده وحبه وآمن بيه عند تعارض المصلحة، وبدأ يتجاهل مالكوم وميردش على تليفوناته وفي أحد لقاءاته التلفزيونية قال:
He’s nothing but a fellow who was an ex-dope addict, a prisoner, a jailbird who had no education, couldn’t read or write, who heard about the Honorable Elijah Muhammad, who took him off the

streets, cleaned him up, and educated him enough to go out and debate. He is no longer Malcolm X. He is just Malcolm Little. Little, .nothing

هو مجرد سجين سابق أو رد سجون زي ما بنقول، غير متعلم ومكنش بيعرف يقرا ويكتب لحد ما سمع عن المحترم إليجا محمد، اللي علمه ونظفه وانتشله من الشوارع وخلاه يقدر يقوم بمناظرات، ومالكوم مبقاش مالكوم إكس، لكن بقى مالكوم ليتل أو مالكوم ولا حاجة. بيهينه باعتبار إن أبوه اسمه ليتل اللي معناها صغير، تصريح قاسي قوي من محمد علي اللي ضحى بمالكوم واختار إليجا محمد، فضل الأب على الأخ، واستبدل أبوه البيولوجي بأب روحي وبدل اسمه باسم جديد، وكأنه بينتقم من أبوه اللي ياما عانى بسببه هو ووالدته.

تخليه عن مالكوم اللي قال له قبل كده إن محدش يقدر يسيب المنظمة من غير مشاكل، كان موقف ندم عليه بصورة شديدة بعد كده، لكنه ندم حيث لا ينفع الندم، فبعد حوالي سنة من فوزه علي ببطولة العالم في فبراير ١٩٦٥، تم اغتيال مالكوم.

وتحت شعار الحي أبقى من الميت، خلال وقت قصير محمد علي بقى الفتى الذهبي الجديد للمنظمة، وأحد أهم مموليها بسبب التبرعات اللي بيدفعها، المنظمة استغلت شعبيته لجذب أعضاء جدد.

بعد فوزه على ليستون محمد علي بقى من أشهر الرجال السود في أمريكا، سنة ١٩٦٤ الNew York Times ذكرت إليجا محمد ٣١ مرة، ومالكوم إكس ١٠٠ مرة، بينما محمد علي تم ذكره في أكتر من ٢٠٠ مقال، محدش اتذكر أكتر منه غير مارتن لوثر كينج اللي كسب جايزة نوبل للسلام في نفس السنة.

لكن المقالات دي مكنتش من نوعية عيبي أني طيبة وبثق في الناس كلها، محمد علي اتعرض لهجوم شرس حوله من الأندر دوج لعدو الجماهير، رئيس الWBA: World Boxing Association، طالب بسحب اللقب منه بعد إعلان انضمامه للمنظمة لأنه مثل أعلى سيئ لشباب أمريكا.

وفي نفس الوقت بعض المشجعين مصدقوش إن ليستون ممكن يخسر بالسهولة دي، ورجحوا إن الماتش تم التلاعب بنتيجته خاصة بعد اكتشاف إن شركة Intercontinental promotions، اللي بتدير أعمال ليستون حصلت قبل الماتش على حق الترويج لماتش محمد علي القادم واختيار خصمه، وده معناه إن ليهم مصلحة مادية في خسارة ليستون عشان يبقى فيه ماتش عودة.

الإشاعة انتشرت لدرجة إن لجنة مكافحة الاحتكار في مجلس الشيوخ، The antitrust and monopoly subcommittee of the US senate's judiciary committee، حققت في الموضوع ده واستنتجت إن مكنش في أي إجراءات غير قانونية. مديرين أعمال ليستون حبوا يأمنوا نفسهم في حالة خسارته، ولكن رغم كده الخسارة كانت غير مقنعة لناس كتير، كانوا مقتنعين إن الشاب الطري اللي بيتباهى إن شكله حلو ده، مينفعش بأي حال من الأحوال يضرب الغوريلا دي.

الجماهير شكت كمان إن محمد علي بيتهرب من التجنيد، لأنه سقط مرتين في امتحان القدرات العقلية، امتحان بسيط اللي يجيب فيه ٣٠ درجة من ١٠٠ ينجح، وأسئلته من نوعية

لو راجل اشتغل من ٦ الصبح ل٣ العصر وخد ساعة بريك في النص يبقى اشتغل كام ساعة؟
إزاي أقوى ملاكم محترف في العالم مش ذكي كفاية إنه يشيل بندقية؟
مدير المباحث الفيدرالية نفسه ،بالقصد نفسه سقط علي إن مقتنع كان، J Edgar Hoover
المشكلة، العسكرية الخدمة أداء من تهربه يثبت عشان المدرسة في سجله على بالكشف فأمر
IQ ال امتحان في ٧٨ جاب إنه الدنيا خير كتر، مستواه ده إن أثبت المدرسة ورق إن.
محمد علي مكنش عاجبه الاهتمام المفاجئ بقدراته العقلية، أو بمعنى أدق قدراته الدراسية
وقال:
.I said I was the greatest, not the smartest
أنا قولت إني الأعظم مش الأذكى، أضرب بني آدمين بس مضربش أرقام.
ومع ذلك الصحافيين لقوا هدف سهل يتسلوا عليه وشككوا في نزاهته وقدراته، خاصة إن
ليستون قال بعد الماتش إنه اتعرض لإصابة أثبتتها الأشعة في كتفه، ورفع شعار أنا جايلك
وناويها.
وبدأ يستعد للعب مباراة طويلة ممكن يحسمها على غير العادة بالنقط مش بالضربة القاضية،
فبقى بيجري كل يوم ٨ كيلو، ويفضل يطلع وينزل في سلالم عشان يحسن لياقته، واستعان
بمدرب فنون قتالية عشان يزود سرعته، على اعتبار إن اللي فات حمادة واللي جاي سطح
الواد حمادة، بينما محمد علي رفع شعار تراهني أضرب نفس الراجل تاني على قفاه؟
ولكن قبل المباراة بثلاثة أيام حصلت مفاجأة غير متوقعة بالمرة، محمد علي أصيب بفتق في
البطن تطلب عملية جراحية، والمباراة اتكنسلت، ليستون اللي عمل فورمة جامدة بعد شهور
طويلة من التدريب الشاق كان هيتشل، لما عرف خبر الإلغاء حس بشعور الفنان حسن حسني
في غبي منه فيه وفضل يكلم نفسه ويقول:
.The damned fool. The damned fool
وبعد فترة لما اتحدد معاد ماتش العودة في مايو ١٩٦٥ ، ابتدا يشرب بكثرة ومرجعش يتمرن
زي الأول، وعلى عكس أول ماتش اللي كان قبله هادي وواثق من نفسه، المرة دي كان
متوتر لدرجة إن يوم الماتش، بطنه فضلت مقلوبة طول اليوم، كان واضح إن في حاجة
اتغيرت، زي ما قال واحد من ال sparring partners بتوع ليستون:
.You can see it in his eyes, they don’t look scary anymore
وعلى الجانب الآخر محمد علي كان واثق من الفوز، لما اتسأل عن توقعاته للمواجهة
المرتقبة قال في واحدة من أشهر النبوءات في تاريخ الملاكمة:
It may start out with me not even throwing a punch, I’m just gonna go backwards and Liston will pursue and then, finally, bam! — I’ll .hit him with the right hand and it’s gonna be over
ممكن الماتش يبدأ من غير ما أضرب ولا لكمة، ليستون هيجري ورايا وأنا هرجع لورا وبعد
كده مرة واحدة، بوووووم، هضربه لكمة يمين والماتش هينتهي، وقد كان.
الماتش بدأ وليستون مندفع عايز يركب البسرعة اتحرك معتاد هو كما وعلي، أوله من fight
نط ليستون، مدوية مفاجأة حصلت الجولة نهاية وقرب، التايه العيل زي وراه مجريه وفضل
jab يضربه بيحاول وهو لقدام بإيده الشمال، فمحمد علي لف جسمه وتفاداها وفي نفس

الوقت ضربه بإيده اليمين من فوقيها
ضربة كانت سريعة لدرجة إن أغلب اللي بيتفرجوا مشافوهاش، وقوية لدرجة إن ليستون وشه لف ووقع على الأرض، والحكم أعلن نهاية الfight بالضربة القاضية.
لتاني مرة الجماهير شكت في حدوث تلاعب في النتيجة، اللي قاعدين مشافوش اللكمة وسموها phantom punch، أو اللكمة الشبح اللي محصلتش أساسًا، مراة ليستون أكدت إن جوزها اتنازل عن الماتش، وبعض الملاكمين القدام أكدوا إن الضربة الهايفة دي، لا يمكن تكون وقعت الحيطة بالسهولة دي.
حتى الFBI شكوا إن ليستون وقع من غير ما حد يضربه، محمد علي نفسه فضل فترة مقتنع إنه رمى نفسه على الأرض من غير ما حد يلمسه، لكن الإعادة بالتصوير البطيء أكدت صحة اللكمة، وليستون نفسه اعترف وقال إنه مكنش يتخيل إن محمد علي ممكن يضربه بالقوة دي.
محمد علي بقى ملك متوج على عرش الملاكمة، اللي إدارة أعمال أبطالها والتلاعب بمبارياتها، كانوا يعتبروا إحدى وسائل أكل العيش للمافيا، ولكن لحسن حظه الحرب اللي شنها أخو الرئيس جون كينيدي: Robert Kennedy، على المافيا أثناء توليه لمنصب النائب العام، من ١٩٦١ ل ١٩٦٣ خلوهم فيهم اللي مكفيهم.
بالإضافة إنه استفاد من حماية المنظمة اللي التفاف أعضائها حواليه، بعت رسالة لأي حد بيفكر يفرض سيطرته عليه إن اللي هيتهور هيتعور.
وفي نفس الوقت المنظمة استفادت منه ماليا، مش بس من التبرعات السخية اللي كان بيقدمها بانتظام، ومن الأعضاء الجدد اللي انضموا على حس أقوى وأشهر رجل أسود في أمريكا، لكن كمان في صورة مكاسب مادية لكبار أعضائها خاصة ابن إليجا محمد، هربرت محمد.
اللي بقى مدير أعماله وزي ما قلنا سافر معاه في جولة إفريقية، هدفها تعزيز العلاقات وجلب التبرعات من الحكومات المسلمة، لعب فيها محمد علي دور السفير على أكمل وجه، وعبر عن رغبته في زيارة الجمهورية العربية المتحدة اللي نشأت من الاتحاد المؤقت بين مصر وسوريا، عشان القانون هناك بيسمح له إنه يتجوز أربعة، وهو ناوي يرجعهم معاه أمريكا ويعيشهم في بيت واحد.
وبالفعل سافر مصر وقابل الرئيس جمال عبد الناصر، ولما شاف فيلم عن عدوان ١٩٥٦، قال في حالة تعرض مصر لتعدي من نفس النوع في المستقبل، هيبقى سعيد إنه يحارب في صفها ويرفع علمها.
أثناء الرحلة دي محمد علي قرب من هربرت محمد، باعتبار إنه ابن الحج صاحب البيت، هربرت هو رائد الأعمال الأهم في عائلة إليجا، اللي بالنسبة للمنظمة رويال فاميلي، ورغم إنه مكملش تعليمه إلا إنه تولى إدارة جريدة Muhammad Speaks، الجريدة الرسمية للمنظمة اللي أسسها مالكوم، بالإضافة لمخبز واستوديو تصوير.
هربرت طبقًا لبعض مصادر ال FBI، كان عنده هوس بتصوير صور وأفلام إباحية، يعزم الستات الحلوين في الإستوديو عشان يصورهم مقابل فلوس وهدايا، وبعد كده ياخد الصور الإباحية يخزنها في بدروم الاستوديو، والصور العادية زي البورتريهات يشيلهم معاه ويتباهى

بيهم قدام أصحابه.
وأثناء الرحلة ورى محمد علي اللي مكنش يعرف عنه أي حاجة من الكلام ده، صورة موظفة عنده في الجريدة وSonji Roy اسمها cocktail waitress، وأول ما محمد علي شافها قلبه دق ٣ دقات، ولما رجعوا أمريكا قابلها واتقدملها من أول يوم، تحت شعار دعينا لا نضيع الوقت في الفريندزون، واتجوزها بعد ٦ أسابيع.
محمد علي حب مراته حب جارف، ولكن مع الوقت المشاكل كترت والخلافات ابتدت تبان، في البداية محمد علي كان فاكر إن سونجي هتبقى زوجة مطيعة، وهتسمع اللي يقول عليه وقال:
That was the onliest reason I married her, she agreed to do everything I wanted her to do.
لكنه اتفاجئ بعد الجواز إن سونجي اللي فاكرها أمينة زوجة سي السيد طلعت رضوى الشربيني، فكرها مستقل وبتتحدى آرائه خاصة فيما يتعلق بNation Of Islam، اللي كانت رافضة تحكمهم فيه وشايفاهم بيستغلوه ويمصوا دمه.
وفي نفس الوقت معترضة على طريقة عيشتهم، ومش فاهمة إزاي جوزها بيخاف بالشكل ده من إليجا محمد، وقالت له في إحدى الخناقات:
How could I stand by seeing you act like a tiger in the ring and out of it your knees trembling before some religious superstition like a man who believes in ghosts? You are the world heavyweight champion muthafucker!
إزاي عايزني أشوفك نمر في الحلبة وبرة الحلبة بتترعش من الخوف كأنك شخص بيخاف من الأشباح؟
محمد علي كان بيحس بإحراج قدام زمايله في المنظمة، من لبسها القصير وعدم تغطيتها لشعرها، وده خلاه يتعدي عليها لفظيا وجسديا أكتر من مرة، ورغم إن الحب ولع في الدرة في الأول، لكن في النهاية الخلافات ولعت في البيت.
وزي ما تخلى عن مالكوم، تخلى عن سونجي عشان يرضي المنظمة، وطلقها في بداية سنة ١٩٦٦ بمباركة هربرت وأبوه، اللي كانوا رافضين وجود أي شخص غيرهم عنده القدرة على التأثير على فرختهم اللي كل يوم بتبيض لهم بيضة دهب.
الانفصال عن سونجي كسر قلب محمد علي، خلاه يجرب لأول مرة الاللي heart ache heart break ال من بييجي، ورغم إنه وجه كل حزنه وغضبه للتمرين، بدل ما يقعد يضرب أيس كريم ويكلم أسامة منير تحت البطانية، إلا إنه كان على موعد مع مفاجأة هتغير حياته إلى الأبد.

حرب فيتنام

يقول المثل ،فرداني مبتجيش المشاكل أو مبتنقط بتمطر لما، When it rains it pours
،العقلية القدرات امتحان في المطلوب الأدني الحد خفض تم، فيتنام لحرب الحشد زيادة مع
A-١ ألف لائق بقى لائق غير كان ما بعد علي محمد ١٩٦٦ سنة فبراير وفي، وممكن
يتطلب للتجنيد في أي لحظة.

في البداية محمد علي كان مصدوم من الخبر، وقال إنه مش فاهم ليه عايزين ياخدوه هو رغم إن الضرايب اللي بيدفعها بتدفع مرتب ٥٠ ألف عسكري في فيتنام، وممكن الحكومة تجيب بيهم ٣ طيارات ومقالش خالص إنه مش هيحارب ولا حتى قال إنه ضد الحرب.

لكن بعد يومين من التشاور مع NOI، خوفوه إنه لو دخل الجيش هيبقى تحت رحمة صف الظباط البيض، اللي هيكفروا سيئاته عشان مسلم وعضو في المنظمة، وبعد التحدث مع إليجا اللي اتسجن أربع سنين بسبب دعوته لعدم المشاركة في الحرب العالمية التانية.

كلامه اختلف تمامًا، وأعلن إنه ضد الحرب لأسباب دينية وسجل نفسه ك conscientious objector، أو رافض للخدمة العسكرية لأسباب من وحي الضمير، وقال إن السود بيموتوا في فيتنام بينما البيض الأغنياء، بيعملوا كل اللي يقدروا عليه عشان يتفادوا التجنيد، ونهى بواحدة من أشهر مقولاته:

I got no trouble with the Viet cong.

أنا معنديش مشاكل مع الفيتناميين! هو قال كده من هنا والدنيا اتقلبت من هنا، محمد علي تحول من عنصري كاره للبيض لخاين رافض يحارب من أجل الوطن، وظهرت أصوات بتطالب بسحب اللقب منه ومنعه من الملاكمة مدى الحياة، طالما انت حلو كده وبتضرب أي حد في الحلبة روح حارب في فيتنام!

الهجوم اللي اتعرض له كان عنيف جدًا، لدرجة إنه لأول مرة في حياته يخاف ويفكر يتراجع عن موقفه، ويعتذر عن الكلام اللي قاله طبقًا لمدرسة شهيرة في العلاقات العامة، اسمها ربنا يكفينا شر قطع العيش ولكن دور الNOI هنا كان حاسم.

دعموا موقفه ونصحوه يثبت على رأيه، ووكلوا ليه واحد من أشهر المحامين اللي تولى الدفاع عن مجموعة باسم Jehovah's witnesses، في قضايا شبيهة أمام المحكمة الدستورية العليا لرفضهم المشاركة في الحرب لأسباب دينية.

وجمعوا أكتر من ٤٠٠٠ توقيع من أعضائهم بيشهدوا إن محمد علي بيشتغل داعية إسلامي في المنظمة، بيقضي ٩٠٪ من وقته في العمل الديني لتقوية موقفه أمام المحكمة، المنظمة رفعت شعار يا أهلًا بالمعارك، ودعمهم ده خلاه يثبت على موقفه.

وعلى عكس مالكوم إكس ومارتن لوثر كينج، اللي الإعلام كان بيقتطع أجزاء من كلامهم وفي بعض الأوقات بيتجاهلهم تمامًا، محمد علي كان بيجذب وسائل الإعلام زي المغناطيس، ومن لقاء للتاني كان بيزداد ثقة وكلامه بيزداد حدة.

وابتدا يسأل منين أمريكا بتحارب من أجل حرية الفيتناميين وإنقاذهم من الشيوعيين في الخارج، بينما مش مهتمة إطلاقًا بحرية السود وحمايتهم من العنصرية جوا أمريكا نفسها؟

ربط الanti-war movement بال civil rights movement حوله لظاهرة محلية وعالمية، ظاهرة قدرت تأثر على ملايين مهمش دينه أو آرائه المؤيدة للتفرقة العرقية، كل اللي همهم إن حد بالشهرة والقوة دي خد موقف ضد السلطة.
ده إلى جانب الملايين اللي حبوا ثقته ونجاحه وشافوا نفسهم فيه، لدرجة إن بقى عادي في وسط الشارع تلاقي واحد أسود رافع إيده وبيقلد محمد علي وبيقول: I am the greatest، anti war movement ال في متكررة بصورة له بينسب quote في وبقى، رغم إنه مقالوش نصًا وهو:
!No viet cong ever called me nigger
مفيش فيتنامي قال عليا زنجي قبل كده!
وقال في إحدى المظاهرات:
Why should they ask me, another so-called Negro, to put on a uniform and go ten thousand miles from home and drop bombs and bullets on brown people in Vietnam while so-called Negro people in Louisville are treated like dogs and denied simple human rights.
ليه عايزيني أروح أحارب وأرمي قنابل على فيتناميين على بعد آلاف الأميال، والسود في لويسفيل هنا في أمريكا بيتعاملوا زي الكلاب؟!
موقفه ده كان له تأثير كبير على مارتن لوثر كينج اللي بينادي بالدمج، طبقًا لشهادة المقربين منه موقف محمد علي شجعه بشكل كبير في حسم موقفه تجاه الحرب، واتخاذ موقف ضدها رغم إن ده خلاه ضد ليندون جونسون اللي يعتبر حليف لحركة الحقوق المدنية.
كل ده كره أمريكا البيضاء في محمد علي، اللي بقى مصدر خطر لازم يتعاقب ويتعمل منه عبرة قبل ما الناس تقلده، إيه شباب السود عايزين يبقوا أسود ولا إيه؟
الملاكم اللي قدر يتفادى آلاف الضربات في مسيرته، بقى عمال ياخد ضربة ورا التانية، البينما، منه اللقب وسحبوا الوطنية لقطيع انضمت world boxing association الRing magazine امتنعت عن تقديم جائزة أفضل ملاكم في العام لأول مرة من حوالي ٤٠ سنة، وقالوا إن محمد علي:
.Is not to be held up as an example to youngsters of the USA
في الوقت ده محمد علي كان فورمة، بيكسب ماتش ورا التاني وبيثبت إن الملاكمة فن مش عن عن، لكن بعد تصريحاته اللجان الرياضية رفضوا استضافة ماتشاته في ولاية ورا التانية، فمبقاش لاقي مكان يلعب فيه لدرجة إنه اضطر يروح يلعب في كندا.
فقرر يلجأ للمحكمة لأن خصمه المرة دي أقوى من أي حد لاعبه قبل كده، خصم قادر مش بس يهزمه لكن كمان يسجنه ويضيع مستقبله، الحكومة الأمريكية.
أول قاضي يشوف الورق أيد موقف محمد علي كمعترض ضميري، لكن مجلس الاستئناف في وزارة العدل رفض توصية المحكمة الابتدائية، وقال إن محمد علي رفض المشاركة في الحرب على أسس عرقية واجتماعية، ولذلك ميستحقش التعامل باعتباره معترض ضميري على أساس ديني، وأعلنوا إنه لازم يسلم نفسه في مكتب التجنيد في هيوستن الشهر الجاي.
في الوقت ده ناس من حبايبه اللي حسوا إن مستقبله بيضيع، اتصدروا ليه وتواصلوا مع قادة

في الجيش والحكومة، وآكدولهم إنه مش لازم يحارب على الخطوط الأمامية، لو الراجل دينه بيمنعه من الحرب خلوه يخش الجيش، وكل اللي هيعمله إنه يلعب ماتشات ودية قدام الجنود لرفع روحهم المعنوية.
لكن محمد علي رفض الاقتراح ده، وقال مش داخل يعني مش داخل، يهديك يرضيك؟ لأ. هنضيع عقود دعايا وتسويق قيمتها بحوالي مليون دولار، مفيش شركة هتحب تربط اسمها باسم خاين عدو للوطن، برضه لأ.
محمد علي كان حاسم موقفه وكان مستعد يدفع ثمنه أيا كان الثمن وقال:
I'm being tested by Allah. I'm giving up my title, my wealth, maybe my future. Many great men have been tested for their religious beliefs. If I pass this test, I'll come out stronger than ever. All I want is justice.
أنا في اختبار من ربنا، وهتنازل عن اللقب والفلوس ويمكن كمان مستقبلي، رجال كتير ربنا حطهم في اختبارات، ولو نجحت في الاختبار ده هطلع منه أقوى بكتير من الأول، وكل اللي أنا عايزه هو العدالة.
في الوقت ده مارتن لوثر كينج كان بيقود حركة اسمها: Chicago Freedom Movement، هدفها القضاء على الفصل العرقي في المساكن، وأسلحتها مظاهرات في الأحياء البيضاء وإضراب عن دفع الإيجار، لإجبار أصحاب البيوت البيض على القيام بالإصلاحات والصيانات اللازمة.
إحدى العائلات المشاركة في إضراب الإيجار اتطردت من الشقة، ولتنفيذ الحكم البوليس جه وابتدا يشيل العفش من الشقة وينزله على الرصيف، ورغم إن محمد علي مشاركش في الحركة ولا علق على أهدافها، إلا إنه كان موجود في اللحظة دي وشاف العيلة وهي بتطرد، قدام جماهير متعاطفة ولكن عاجزة عن فعل أي شيء.
فراح شال كرسي المطبخ من على الرصيف، ومن غير ما يقول ولا كلمة طلع السلم وحطه في الشقة، والبوليس متدخلش ومحاولش يمنعه، وكأن علي بقى أكبر من أي بوليس وفوق أي قانون، وفي لحظة واحدة الناس اللي كانوا واقفين، ابتدوا يشيلوا العفش قطعة قطعة لحد ما رجعوه كله، والعيلة أنقذت من البيات في الشارع بأعجوبة، في مثال بسيط على حجم تأثيره اللي تعدى حلبات الملاكمة.
وفي محاولة مستميتة من فريق المحامين لإنقاذه من السجن المحقق، بعتوا شكوى للمحكمة الدستورية بيتهموا فيها مكتب التجنيد في لويسفيل، وبيقولوا إنهم استدعوه رغم سقوطه مرتين قبل كده في امتحان القدرات العقلية بسبب العنصرية، لكن المحكمة رفضت الشكوى، وكده محمد علي مبقاش قدامه غير حاجة من اتنين: يا يخش الجيش، يا يخش السجن.
وفي يوم ٢٨ أبريل سنة ١٩٦٧، في يوم بارد الشمس مطلعتش فيه، علي اتجه مع محامينه وحاشيته لمكتب التجنيد في هيوستن قصاد حشد من الكاميرات، هناك لقى ٢٥ شاب تانيين جايين بشنطهم وجاهزين للترحيل على مركز التدريب.
الشباب وقفوا صف واحد واللي يتنده عليه ياخد خطوة للأمام ويبقى دخل الجيش رسمي،

واحد ورا التاني اتنده عليهم وخدوا خطوة لقدام، لكن لما جه الدور على محمد علي اللي اتنادى باسمه القانوني كاشيوس كلاي، ثبت في مكانه.

كاشيوس كلاي، ثابت مبيتحركش، الضابط حظره إن اللي بيعمله ده جناية عقوبتها خمس سنين سجن وغرامة ١٠ آلاف دولار، خطوة لو خدها هتوفر عليه كتير قوي، لكن محمد علي متحركش.

وخلال أقل من ٢٤ ساعة الworld boxing association، وجميع اللجان الرياضية المانحة للرخص في الولايات المتحدة الأمريكية سحبوا منه رخصة الملاكمة، واتمنع من ممارسة اللعبة اللي حبها وتفوق فيها وكانت بتشكل مصدر دخله الرئيسي.

محمد علي خسر لقبه ومهنته ومصدر دخله وحتى رياضته اتحرم منها، وبعد أسبوعين اتحكم عليه بخمس سنين سجن بتهمة التهرب من التجنيد، ولضمان عدم هروبه بما أنها بقت مسألة وقت ويبقى مطلوب القبض عليه لما تنفذ الحيل القانونية، اتسحب منه الباسبور واتمنع من السفر، وبكده حتى اللعب خارج أمريكا بقي غير ممكن.

وبسبب خطوة وحيدة مخدهاش في حياة قطع فيها آلاف الأميال، وصعد فيها لأعلى قمة، تحول من بطل العالم لعدو وخاين يستاهل كل اللي يجراله، وعمل زي ما أي حد بيعمل لما الدنيا بتيجي عليه، كلم مامته اللي اتحايلت عليه يخش الجيش وقال لها:

Mama, I'm all right. I did what I had to do. I sure am looking forward to coming home to eat some of your cooking.

أنا كويس يا أمي وعملت اللي كان لازم أعمله، ومتشوق أجيلك البيت وآكل كوكيز من إيدك، تحت شعار أيًا كان حلة محشي الحجة قادرة على علاج ما أفسده الزمان.

وبعد إجازة قصيرة مع الأهل محمد علي اتعرف على Belinda Boyd، مسلمة شغالة في أحد مطاعم المنظمة مرضيتش تديله أكل عشان موقفش في الطابور، بيلندا أصغر من محمد علي ب ٨ سنين، خريجة مدارس المنظمة ومعاها حزام أسود في الكاراتيه.

أعجب بيها واتجوزها في وقت مستقبله مكنش له ملامح، بس بيلندا اللي كانت شايفة إن جوزها عنده ما يؤهله، إنه يبقى ذخر وسند وسفير للإسلام كانت مؤيدة لموقفه، بس واحدة واحدة الضغط المادي ابتدا يزيد عليهم.

تقول لي: ضغط مادي إزاي بعد كل الفلوس اللي كسبها دي؟

الحقيقة إن رغم كل الفلوس دي مكنش بيحوش ولا بيستثمر، التبذير مع غياب أي إدارة مالية بالإضافة للكرم، وحبه لتوزيع الفلوس على اللي حواليه، حتى لو نصابين خلاه بيصرف فلوسه أول بأول، ولذلك وقف مصدر الدخل الأهم بمنعه من الملاكمة حطه في موقف سيئ للغاية.

ومع تأييد محكمة الاستئناف لقرار سجنه، ورفع القضية للمحكمة الدستورية العليا، بقى واضح إن منعه من الملاكمة هيستمر لفترة طويلة.

في الوقت ده الحرب على فيتنام بقت حديث الساعة، والجامعات بقت مكان خصب لل anti-war movement، فنزّل إعلان في الجرايد إنه متاح كمتحدث، وبالفعل المنظمات الطلابية بدأت تدعوه ييجي يتكلم، وبقى بياخد في المرة من ٥٠٠ ل٣٠٠٠ دولار.

ولكن الموضوع مكنش بالسهولة دي، محمد علي اللي طول عمره الدراسة بالنسبة له صعبة، بذل جهد كبير في التحضير عشان ميبقاش منظره وحش قدام طلبة الجامعة اللي عمره ما دخلها، وقعد يسمع خطب لإليجا محمد كانت حجر الأساس لفكره اللي حاول ينقله للطلبة.

لكن على عكس آلملاكمين اللي متعود يهزمهم بسرعته، الطلبة في المناظرات معندهمش ياما ارحميني، في إحدى المرات تمت دعوته للحديث أمام آلاف الطلبة في جامعة UC Berkeley وجود من استيائه عن وعبر الماريجوانا شرب بمهاجمة فبدأ، interracial couples في الجمهور، أو كابلز حبّيبة من ارتباط السود والبيض، وبدأ في تبرير ليه الفصل العنصري وليس الدمج هو الحل، باعتبار إن الحيوانات اللي زي بعضها بتعيش مع بعضها.
على رأي الجوكر في دارك نايت:
.Very poor choice of words
اختيار سيئ جدًا للكلمات.
عدد كبير من الطلبة بعد ما سمعوا الكلام ده، قاموا وسابوه وهو لسه بيتكلم، ولكن مرة ورا التانية قدرته على التواصل مع الطلبة اتحسنت وثقته بنفسه زادت، وروح الدعابة العالية شفعت له أفكاره المختلفة عن أغلب اللي الطلبة بيسمعوه، ولكن ده ميمنعش إنهم كانوا بيتحدوا الآراء دي بمنتهى القوة.
يعني لو كان كل البيض شياطين ليه مدربينه بيض؟ وليه شركائه في سلسلة محلات Champ Burger اللي بيملك ٦٪ منها بيض؟ باعتبار إن البيض والسود الاتنين عايزين الأخضر.
كل ده خلاه ينمي فلسفة فكرية خاصة بيه، وبقى بيعتمد أقل على الاقتباس من خطب وكتب إليجا محمد، اللي كان بيعتبره الفتى الذهبي للمنظمة، لكن كل ده اتغير بعد حوالي خمس سنين من انضمامه.
في شهر مارس سنة ١٩٦٩، محمد علي اتفاجئ باستدعائه لبيت المعلم الكبير في شيكاجو، بسبب تعليق قاله في أحد لقاءاته بيعبر فيه عن رغبته في العودة للملاكمة، لأنه بالمنظر ده مش هيلاقي ياكل وهيترمي في الشارع.
إليجا قال له: تعليق زي ده ميطلعش من راجل مؤمن، واثق إن ربنا هيرزقه زي ما رزقه قبل كده، وقال له: إن المنظمة ضد لعب الرياضة اللي تعتبر تضييع وقت، وبتطلع أسوأ ما في النفس البشرية من غيرة وغرور وتعلق بأمجاد دنيوية زائلة.
تقول لي: معلش يعني يا عم إليجا لما اتعرفت على الراجل كان بطل عالم، مش شغال في محل سبح، ولا هو الراجل لما الدنيا جت عليه اكتشفت إن الرياضة حرام؟
مش دي المشكلة، المفاجأة إنه عاقب محمد علي ومراته بالفصل من المنظمة، ومنعهم من حضور نشاطاتها لمدة سنة كاملة، ومش بس كده إليجا مكفهوش الفصل، وأمر بسحب اسم محمد علي والرجوع لاستخدام كاشيوس كلاي.
العقوبة دي كابوس لبيليندا اللي كل حياتها ومعارفها بتدور حوالين المنظمة، ومنتهى الإهانة لمحمد علي اللي خاض صراعات طويلة، لحد ما الناس خارج المنظمة ابتدوا يتعاملوا معاه باسمه الجديد.
ضربة جديدة لرجل اعتاد تفادي الضربات، المرة دي مش من حكومة أمريكا، لكن من معلمه وأبوه الروحي، اللي كان بيخاف منه ويعمله حساب أكتر من أي ملاكم واجهه في حياته، لكن رب ضارة نافعة.
في كتاب The Messenger: The Rise and Fall of Elijah Muhammad، Karl Evanzz الكاتب بيقول إن الفصل ده ممكن يكون من أحسن الحاجات اللي حصلت

لمحمد علي، المنظمة في الوقت ده كانت بتمر بمرحلة ضعف وتفكك، في ظل غياب أعضاء مؤثرين يقدروا يحركوا الرأي العام زي مالكوم إكس الله يرحمه.
وفي ظل صعود منظمات تانية شبابية زي ال black panthers، بتقدم أفكار أكتر راديكالية وبالتالي بقت الأكتر شعبية، وبينما إليجا محمد كسر السبعين وبقى بيخاطب جيل غير الجيل وبيتكلم لغة غير اللغة، محمد علي خد قرار فصله على إنه إذن يعمل اللي هو عايزه، وتجاهل قرار سحب الاسم وفضل يستخدم اسم محمد علي ولا كأن أي حاجة حصلت.
ولكنه في نفس الوقت تفادى الإساءة لإليجا محمد، أو التفكير في الانفصال عن المنظمة ككل، وكأنه خايف يلاقي نفس مصير مالكوم لما دخل في مواجهة مع المعلم الكبير، ولكن بوجه عام ممكن نقول إن قرار الفصل كان فاتحة خير عليه.
مع بداية سنة ١٩٧٠ محمد علي فاجئ العالم وأعلن إنه هيكتب سيرته الذاتية، أعظم سيرة في التاريخ عن أعظم ملاكم في التاريخ، بسم الله ما شاء الله عليه قنبلة تواضع.
دار نشر رندم هاوس دفعوا ٢٠٠ ألف دولار مقدم، عشان الكتاب اللي هيكتبه محرر جريدة مبلغ، علي محمد مع كلامه على بناء، ghost writer ك Muhammad Speaks Buck بعنوان مسرحية في يمثل عرض جاله اللي، علي محمد أسرة اقتصاد ينعش المفروض White، وبقى واضح إن الراجل قادر على كسب الفلوس من غير ما يدخل الحلبة.
لكن القدرة على كسب الفلوس حاجة، والقدرة على تحويشها حاجة تانية خالص، الفلوس اتصرفت بسرعة مهولة، ومحمد علي بقى متأكد إن مفيش غير الملاكمة اللي هتقدر توفر له دخل يكفيه، بالإضافة إنه كان هيموت ويرجع يلعب تاني بعد غياب ٣ سنين ونص، اتفرج فيهم على عالم الملاكمة وهو بينساه وفي نفس الوقت بيحتفل بملك جديد على عرش الوزن الثقيل: Joe Frazier.
جو فريزر الابن التاسع لأسرة من عشر أبناء وأب وأم مزارعين، ساب المدرسة وهو عنده ١٥ سنة وسافر نيويورك عشان ياكل عيش، ولما ملقاش وظائف على linkedin اتجه لسرقة العربيات، قبل ما يسافر فيلاديلفيا عشان يشتغل في مجزر لحوم.
كان بيقلد فيه بطل العالم للوزن الثقيل السابق Joe Louis، وبيضرب اللحمة المتعلقة في الثلاجة كأنه بيضرب الساند باج، بدأ رحلته مع الملاكمة وهو عنده ١٧ سنة عشان يخس، وبعد ٣ سنين في سنة ١٩٦٤ كسب الأولمبياد، وبعدها بأربع سنين بقى بطل العالم للوزن الثقيل، تخيل عزيزي، واحد حب يعمل دايت فكسب الأولمبياد وبقى بطل عالم.
محمد علي قابل جو فريزر لأول مرة سنة ١٩٦٨ بعيداً عن كاميرات الصحافة، وقال له: إن عمره ما هيبقى بطل قدام نفسه إلا لو لاعبه وكسبه في الحلبة، فريزر اعترف له إنه لما بيتمرن بيجبر نفسه على بذل مجهود أكبر، لأنه عارف إنه هيضطر يواجهه في يوم من الأيام، ورحب بالنزال ده لحسم من فيهم أحق باللقب.
وفي نهاية لقائهم الودي علي قال لفريزر إنه بيدور على شغل، وطلب منه يشغله sparring partner، واستلف منه ١٠٠ دولار على وعد إنه يرجعهم ليه، فريزر موافقش إن محمد علي يشتغل معاه، لكنه بذل كل اللي يقدر عليه عشان علي يرجع للملاكمة، قاطع البطولة اللي اتعملت لتحديد بطل العالم بعد سحب اللقب من علي سنة ١٩٦٧.

وطالب بحق علي في اللعب، لدرجة إنه بعت للرئيس نيكسون يطلب منه التدخل لحل الأزمة، ورغم إنه أعلن عن رغبته في مواجهته في الحلبة، مكنش في ولاية يلعبوا فيها، الولايات رافضة استضافة مباريات الخائن عدو الوطن، حتى كاليفورنيا الولاية الوحيدة اللي اللجنة الرياضية فيها أبدت موافقة مبدأية، حاكم الولاية رونالد ريجان رفض بصورة قاطعة.
لكن كل ده اتغير بصورة غير متوقعة لما شريك محمد ماتشات مروجين أحد، bob arum تجدد تروح لما بتعمله باللي شبيهة سلسلة في، بصديقه استعان اللي قريبه بحد استعان، علي boxing comission مفيهاش جورجيا ولاية إن اكتشاف وتم، الرخصة، وبالتالي من الممكن منحه رخصة للملاكمة في مدينة أتلانتا، بموافقة العمدة ومجلس شيوخ الولاية.
وفي نفس الوقت قاضي في إحدى محاكم نيويورك، حكم في قضية اترفعت نيابة عن محمد علي من منظمة الNAACP: The National Association for the Advancement of Colored People، ولغى قرار منعه من الملاكمة في الولاية، وبكده بقى في ولايتين ممكن يستضيفوا ماتشات محمد علي، ابتدت تندع!

عودة بطل العالم

يلا نلعب يا عم فريزر؟ لا مش لاعب.

مدربين فريزر نصحوه يتقل على الرز، ويستنى يشوف محمد علي مستواه وصل لفين وقدرته على جذب الجماهير أخبارها إيه؟ الراجل بقاله ٣ سنين خارج الحلبة، ومقضيها تشامب برجر وأيس كريم دارا، فالمروجين قالوا نعمل ماتش استعراضي أو exhibition ميضرش، محمد علي هيلاعب ٣ ملاكمين ورا بعض في نفس الماتش.

ورغم تفوقه الملحوظ وإيده اللي ما زالت أسرع من مدفع رشاش، محمد علي تعب بعد الجولة الأولى، وبقى واضح إن سنوات البعد عن الملاكمة أثرت على لياقته، ولكنه كمل وخلص الماتش بسهولة وبدأ التفاوض مع فريزر عشان يلاعبه، لكن لتاني مرة فريزر وفريقه يرفضوا.

المروجين عشان يحاولوا يجذبوا الجماهير، قالوا لو مش هيلاعب فريزر نخليه يلاعب ملاكم أبيض، ويبقى نزال بعنوان The White Hope Vs The Freedom Fighter، محمد علي كسب المباراة بسهولة نسبية، نلعب يا فريزر؟ برضه لأ.

فلاعب ملاكم تاني وكسبه بالضربة القاضية الفنية، ورغم انتصاراته المتتالية إلا إن كان في حاجة متغيرة، ردود أفعاله بقت أبطأ وحركته أقل، طبقًا لمدربه أنجيلو داندي محمد علي بيلعب دقيقة من كل جولة بنفس مستواه القديم، والدقيقتين اللي فاضلين بيعديهم بدعاء الوالدين.

أسلوب محمد علي في اللعب معتمد بصورة أساسية على تفادي الضربات، عن طريق حركة الرجلين والرأس، وخلال تاريخه في اللعبة ماتعلمش يblock أو يصد الضربة، وفي غياب سرعته القديمة وبطء ردود أفعاله بقى بيتضرب لأول مرة في حياته.

ده بالإضافة للياقته اللي ضعفت، وبالتالي أجبرته يقلل من حركته عشان يعرف يكمل الجولة، غير إنه ابتدا يشعر بألم رهيب في إيده، خلاه ياخد حقنتين في كل إيد عشان يعرف يلعب، ولكنه رغم كده مستواه كان لسه عالي كفاية إنه يتغلب على خصومه، وقليل كفاية لإقناع جو وفريقه بمواجهته.

وأول ما وافقوا من هنا الإعلام اتقلب من هنا، المواجهة بين علي وفريزر أصبحت في نظر الجمهور أكبر حدث رياضي في القرن العشرين، لأول مرة يبقى في مواجهة بين بطلين محدش فيهم خسر قبل كده، بطلين كانوا على قدر من الود والمحبة، لحد ما محمد علي قرر يتبع مدرسة التنمر على الخصم لجذب أكبر عدد من المشاهدين.

فابتدا يهاجمه هجوم شرس ووصفه ب Uncle رواية من الشهيرة الشخصية، Uncle Tom إنه وقال، البيض لأسياده وخادم خاضع أسود رجل إنه بيها المقصود اللي، Tom's Cabin Dumb and Ugly وقبيح غبي، لتالت مرة علي ينقلب على شخص وقف جنبه.

وجو مبقاش فاهم إزاي ده نفس الراجل اللي افتكره صاحبه واترجاه يشغله قبل شهور، لكن محمد علي بعد فترة قال إنه كان بيعمل ده عشان يحطه تحت ضغط نفسي يضعفه قبل ما يلاعبه، لكن الضغط كان غير محتمل.

خاصة إن جو فريزر ابن المزارعين الفقراء، كان شايف محمد علي ابن لأسرة متوسطة مرفهة، وملوش أي حق يشكك فيه وفي انتماءاته ويشتمه على الملأ بالشكل ده، جو فريزر الملاكم الشرس اللي في نظر العالم مثال لل Ultimate Male، مستحملش الهجوم الملون بالخيانة وغدر الصحاب، خاصة بعد ما زمايل ابنه مارفن ابتدوا يتنمروا عليه في المدرسة، ويعايروه إن أبوه أنكل توم زي ما محمد علي بيقول.

فريزر اللي حس إن مش بس مهارته كملاكم، ولكن كمان رجولته وهويته كرجل أسود بيتعرضوا لهجوم ملوش أي مبرر، من راجل حاول يساعده ومدله إيده وقت ضعفه، عيط بغزاره قدام مراته وابنه، وحلف ينتقم منه في الحلبة، وقد كان.

داندي كان شايف إن محمد علي محتاج وقت قبل ما يلاعب فريزر صاحب أخطر Left Hook، أو لكمة خطافية يسرى على الساحة، لكمة قادرة على إنهاء أي نزال بالضربة القاضية، زي ما قال إرنست همنجواي:

If you fight a great left-hooker, sooner or later he will knock you out your deletion. He will get the left out where you can't see it, and it comes like a brick. Life is the greatest left-hooker so far.

اللعب ضد ملاكم محترف في ضرب اللكمة الخطافية اليسرى، معناه إنه عاجلًا أو آجلًا هيوصلك الضربة اللي هتجيبك الأرض، والحياة نفسها هي أعظم ملاكم بالخطافية اليسرى.

لكن مديرين أعمال محمد علي وبالأخص هربرت محمد، صمموا إنه يلاعبه عشان ميضيعوش على نفسهم الفلوس تحت شعار محدش ضامن عمره.

وفي ٨ مارس سنة ١٩٧١، في نزال الرئيس الأمريكي ركب خط مخصوص في البيت الأبيض عشان يقدر يتفرج عليه، محمد علي واجه جو فريزر في لقاء لا يقل أهمية عن مباراة الأهلي والزمالك، محمد دخل الحلبة مع جو فريزر لتحديد الأحق منهم بالفوز ببطولة العالم.

العالم كان منتظر يتفرج على عودة البطل اللي ب Float like a butterfly and sting like a bee، بس اتفاجأوا إنه بيستينج بس لكن مش قادر يفلوت!

محمد علي حركته بقت تقيلة، وجو فريزر رغم إن أسلوبه في اللعب مش بيعتمد على الحركة برجله، إلا إنه بيحرك رأسه طول الوقت، وده خلاه يتفادى ضرر سلاح محمد علي الأخطر:ال Jab.

علي وفريزر كانوا أشبه بمصارعين رومان حالفين واحد فيهم يموت التاني، لمدة ١٤ جولة كل واحد عمل كل اللي يقدر عليه عشان يوقع التاني، وفي الجولة ال١٥ بعد نجاح محمد علي في الصمود أما smokin' Joe.

فريزر ضربه left hook بعزم ما فيه، فغاب عن الوعي ووقع على الأرض وسط توقع المشاهدين إن النزال خلص بالضربة القاضية، لكن قبل ما الحكم يعد لعشرة محمد علي قام وكمل للآخر، وتم إعلان فوز جو فريزر وهزيمة محمد علي لأول مرة من حوالي ١٢ سنة، بعد واحدة من أفضل مباريات الملاكمة في التاريخ.

محمد علي داق الخسارة اللي ياما دوقها لغيره، وقال إن سببها هو إنه متمرنش كويس واستهان بجو فريزر، اللي طلع أحسن مما تخيل، لكن طبقًا لمراته بيليندا اللي مكنتش موجودة في غرفة التغيير بعد المباراة، فالهزيمة كان ليها أسباب أخرى.

بعد زواج محمد علي من بيليندا، ابتدت تشوف منه جانب مكنتش تعرفه قبل الجواز، جانب مظلم يصل في بعض الأحيان إلى حد الشر، محمد علي اللي في المدرسة كان شعاره حبيبي على نياته كل البنات اخواته، كبر وبقى شعاره يوم تلات تلت بنات ندهوني، أو امرأة واحدة لا تكفي.

ولما بيليندا اكتشفت خيانته وعلاقاته النسائية المتعددة وواجهته، عيط وحلفلها إن هي اللي في القلب بينما دول مجرد نزوات عابرة ملهمش أي معنى في حياته، بيليندا اتصدمت في الأول ولكن زيها زي أي واحدة في علاقة Toxic، قررت تطنش باعتبار إن المهم إنه في نهاية اليوم بيروح لها هي وولادها.

ولكن مع الوقت الموضوع زاد عن حده، ومحمد علي ابتدا يطلب منها تحجز له في فنادق، وأنها متزعجوش لما تكون عارفة إنه مع واحدة، ولما اعترضت قال لها إنها مراته ولازم تسمع كلامه، وقال لها: أديكي شايفة هيربرت محمد ابن إليجا محمد، متجوز أهو ورغم كده بيصاحب عادي مفيش حاجة، فسمعت كلامه بالفعل وبقت بترتبله لقاءاته الغرامية.

ولكنها فضلت تحذره إن بالمنظر ده لا يمكن يكسب، ولا هيعرف يلعب حتى بهذا الكم من التشتت، ويوم ٨ مارس قبل ساعات من مواجهة أخطر رجل في العالم، قفشته في أوضته مع فتاة ليل، فانهارت ومسكت سكينة وهددته بيها، ولكن زي كل مرة لما هديت قررت تسكت وتكمل، لكنها على عكس كل مرة تمنت من كل قلبها خسارته أمام جو فريزر، وقد كان.

وعلى قدر مرارة الهزيمة على يد جو فريزر، كان في نزال آخر أكتر خطورة على وشك الخسارة فيه، سنة ١٩٦٩ المحكمة العليا صوتت لعدم سماع قضية محمد علي ومكنش عندهم مانع يتحبس، اللي نجده من السجن اعتراف وزارة العدل إنهم تنصتوا على مكالماته لإثبات تهربه من التجنيد، فالمحكمة قررت إعادة النظر في القضية ورجعتها تاني للمحكمة الابتدائية.

اللي أصدرت نفس حكمها الأولاني وأدانت محمد علي، فالقضية اتصعدت للمحكمة العليا تاني، اللي لتاني مرة كانت غير مهتمة بسماع القضية، لكن القاضي William Brennan أقنع المحكمة أنها على الأقل تسمع القضية، حتى لو قرروا يصوتوا ضده في الآخر عشان ميبقاش شهيد أمام الرأي العام، في ظل زيادة الأصوات اللي بتطالب بإنهاء الحرب على فيتنام.

وبالفعل تم عرض القضية أمام المحكمة اللي مقتنعتش بحجة فريق الدفاع، لإن محمد علي قال إن الحرب الوحيدة اللي ممكن يخوضها هي الحرب المقدسة اللي يدعوا إليها الإله، وده يخليه مش ضد الحرب بوجه عام ولكن ضد الحروب اللي مش على مزاجه.

إلى جانب إنه قال إنه مش مستعد يحارب عشان دولة بتعامله على إنه مواطن درجة تانية، وده في حد ذاته اعتراف منه إن موقفه سياسي ضد الحكومة دي تحديدًا، مش موقف ديني ضد الحرب بوجه عام.

فقضاة المحكمة صوتوا ضده ٥ـ٣، وتم توكيل القاضي سنة ٧٢ عنده اللي John Harlan خطوة في الأغلبية رأي وتوضيح الحكم حيثيات لكتابة، الفقري العمود سرطان وبيصارع Thomas Krattenmaker القاضي مساعد لكن، روتينية إجرائية عنده ٢٦ سنة، وكان بيشارك في المظاهرات المناهضة للحرب على فيتنام أثناء دراسته للقانون في جامعة كولومبيا، توماس قرأ كتاب السيرة الذاتية لمالكوم إكس وكان مقتنع بصدق قناعات محمد علي الدينية.

وفي نفس الوقت كان متفق مع القضاة، إن معارضة محمد علي تشمل جوانب عرقية واجتماعية ولكن الجانب الديني موجود، وطالما المحكمة معترفة بيه المفروض تحكم على أساسه، ورغم إن محمد علي قال إنه مستعد يشارك في الحرب المقدسة اللي بيدعو إليها الله، فطبقًا لكتاب إليجا محمد A Message to the Black Man in America، الحرب المقدسة دي مصطلح مجرد.

القاضي راجع الكتاب بنفسه وبعت جواب لباقي أعضاء المحكمة، بيبلغهم فيه إنه قرر يغير

تصويته لصالح محمد علي، لأنه بعد البحث والتدقيق اكتشف إن بالفعل الإسلام رسالته رسالة سلام، وضد القتل والحرب إلا في حالات معينة زي مثلًا الدفاع عن النفس، وكده التصويت بقى ٤ ـ ٤ وبالنتيجة دي محمد علي هيخش السجن برضه.

ولكن في بلوت تويست غير متوقع القاضي Potter Stewart قال إنه مقتنع إن اللي بيحصل مع محمد علي ده دوافعه سياسية وليست قانونية، وإن في زملاء في المحكمة معندهمش مانع يتسجن لمجرد إنهم خايفين يقروا إنه معترض ضميري، ويقروا سابقة قانونية هتدي الحق لكل أعضاء المنظمة إنهم يرفضوا التجنيد.

واقترح حل بسيط يمنع حدوث السابقة دي، وفي نفس الوقت يتفادى ظلم محمد علي وسجنه، وقال إن استئناف وزارة العدل رفض حكم المحكمة الابتدائية، اللي أقرت إن محمد علي معترض ضميري

من غير تحديد أسباب رفض الحكم ده، وبالتالي المحكمة العليا دلوقتي المفروض أنها تحكم إزاي؟ في حكم وفي إلغاء للحكم ده بلا أسباب، إذًا الحكم صحيح.

خطة في منتهى الذكاء أيدها أعضاء المحكمة بالإجماع، وفي ٢٨ يونيو سنة ١٩٧١ محمد علي بقى رجل حر بعد ٥٠ شهر من إدانته، في قرار تاريخي معقد يشمل الكتير من دعاء الوالدين.

بعد انتهاء كابوس السجن، وبعد ما إليجا محمد قاله إنه محتاج يبطل ملاكمة قبل ما يرجع للمنظمة، محمد علي بقى كل تركيزه على استعادة اللقب، عشان يعتزل ويعود للمنظمة ويتفرغ للدعوة، ولكن وهو بيتمرن كان واضح إن في حاجة مختلفة.

محمد علي اللي كان بيجري كل يوم من ٨ ل ١٠ كيلو، وهو لابس جزمة ثقيلة عشان يبقى خفيف على الحلبة، وبيلعب بطن لحد ما يتوجع وبعد كده يبدأ يعد، وفي اليوم الواحد بينط حبل ويلعب جولات على الساند باج وجولات مع ملاكمين في الحلبة.

دلوقتي بقى بيجري ٣ كيلو ويحس إنه عايز ينام، ومش قادر يتمرن زي الأول وده خلاه حاسس لأول مرة إن أيامه في الحلبة بقت معدودة، ورغم إنه مهتمش بعمل تحاليل لفهم التغييرات دي، لأنه رجح إن سببها السن والإرهاق.

إلا إنه أدرك بذكائه إن جسمه معدش قادر يعمل اللي كان بيعمله زمان، وأنه محتاج يغير طريقة لعبه وبما إنه مش قادر يتحرك ويرقص في الحلبة، عشان يتفادى الضربات زي زمان، محتاج يتعود على امتصاص الضربات.

فبقى بيسند على الحبل، ويطلب من الsparring partners بتوعه يضربوه بأقصى قوة، وبدل ما يتحرك بيثبت مكانه عشان يتعود على الألم، ومفيش حاجة تضاهي قدرة محمد علي على تفادي الضربات قد قدرته على تحمل الألم.

قلبه جامد وزي ما بيقولوا في الملاكمة عنده strong chin، دقن قوية بتخلي هزيمته بالضربة القاضية شبه مستحيلة، محمد علي طول عمره في الملاكمة حتى لو وقع بيقع ويقوم على طول، لكن مع اكتشافه لقدرته على تلقي الضربات، بقى بيعتمد عليها بصورة أكبر في الماتشات.

يتحرك فترة قصيرة ويبهر الجمهور بخفته زي زمان، وبعد كده يسند على الحبل منها يريح ومنها يرهق خصمه، وباستخدام أسلوب اللعب الجديد ده محمد علي قدر يكسب ١٢ نزال

من أصل ١٣، مخسرش غير مرة واحدة من Ken Norton اللي رجع وكسبه بعدها.
لكن محمد علي بعد ١٩٧٠ كان مختلف عن محمد علي قبل ١٩٦٧، محمد اللي كان بيتباهى بوسامته وبيستخدمها كدليل إن محدش بيعرف يضربه، بقى بيطلع من كل ماتش مضروب ومتعور لدرجة إن فكه اتكسر في المباراة اللي خسرها قدام كين نورتون، ورغم الإصابة والألم كان بيكمل وبيكسب.
في الوقت ده اتعرف على واحد من أشهر الشخصيات في تاريخ الملاكمة الأمريكية، شخص عملاق طول بعرض لكن شخصيته أكبر من جسمه: Don King.
دون كينج عامل في الرهانات غير القانونية، بيبيع تذاكر يانصيب ويزور الأرقام الكسبانة، اتسجن لحوالي أربع سنين بعد قتل زميل سابق من كتر الضرب، وقرر يشتغل في تنظيم ماتشات الملاكمة كوسيلة لكسب المال بصورة قانونية بعد الخروج من السجن.
وقرر يبقى مروج ماتشات محمد علي، واتقرب له عن طريق تنظيم مباراة استعراضية خيرية لصالح مستشفى على وشك الإفلاس في كليفلاند، محمد علي مكنش بيرفض أي دعوات خيرية، فوافق ومن هنا بدأت علاقته ب»دون كينج» اللي كان ذكي كفاية لزيارة إليجا محمد، وطلب موافقته إنه يشتغل مع علي في محاولة لمحاوطته برجال سود، يخافوا على مصلحته بدل البيض اللي محاوطينه في كل حتة.
كينج كان متأكد إن حتى لو علي رجع بمستوى أضعف كتير من مستواه القديم، إلا إنه لسه عنده القدرة على جذب الجماهير، وهزيمة أقوى الملاكمين على أمل الحصول على فرصة تانية لمواجهة فريزر، بس فريزر فضل يأجل المواجهة، المرة اللي فاتت قعد ٣ أسابيع في المستشفى وبعدهم عشر شهور بعيد عن الملاكمة، فمفيش أي داعي لتكرار التجربة، لكن كل ده اتغير في ٢٢ يناير سنة ١٩٧٣.
فريزر لاعب جورج فورمان، طفل لأسرة فقيرة كبر واتجه لعالم السرقة والجريمة، ولكنه بطّل بعد ما كان على وشك يتقبض عليه، وسجل في برنامج لمكافحة البطالة عمله الرئيس ليندون جونسون باسم Job Corps، وهناك اتعرف على مدرب ملاكمة تبنى موهبته وبدأ يدربه.

وفي خلال ٢٥ مباراة فقط في ملاكمة الهواة، قدر يكسب ذهبية أولمبياد ميكسيكو سيتي سنة ١٩٦٨، وبدأ مشواره مع ملاكمة المحترفين، وفي خلال ٥ سنين لعب ٣٧ مباراة كسبهم كلهم ٣٥ منهم عن طريق الضربة القاضية.

طوله ١,٩٢ سم، وقوته فكرت المشاهدين بسوني ليستون في عزه، الفرق الوحيد إن فورمان جسمه أكبر وأقوى، لما لاعب جو فريزر وقعه ست مرات قبل ما يفوز بالضربة القاضية في الجولة التانية، وبقى بطل العالم وهو عنده ٢٤ سنة.

دون كينج كان مدعو من جو فريزر وكان قاعد وسط مشجعيه، لكن بعد فوز فورمان راح احتفل معاه بالفوز تحت شعار يا عم خد وهات عم عشم مات، فورمان بعد كده لاعب كين نورتون اللي كسب محمد علي وكسرله فكه، وبرضه هزمه بالضربة القاضية في خلال أقل من جولتين.

الراجل الله أكبر عليه تريلا على شكل بني آدم، بينما محمد لاعب فريزر وكسبه وخد حق الماتش اللي فات، ومشجعين الملاكمة في كل مكان بقوا في انتظار لقاء القمة المرتقب، بين فورمان البطل الجديد ومحمد علي البطل القديم وحبيب الملايين.

دون كينج استغل إن فورمان كان بيمر بفترة صعبة في حياته، جوازه انهار وعلاقته بمديرين أعماله باظت، وقدر يقنعه إنه أسود زيه وواقف في صفه، وهيديله فرصة يكسب ٥ مليون دولار لو لاعب علي.

رقم غير مسبوق في الوقت ده، وفي نفس الوقت راح لعلي وقال له: إلى جانب الخمسة مليون دولار، فهيستعيد اللقب بتاعه اللي الحكومة البيضاء الظالمة سحبته منه بدون أي وجه حق، فورمان وعلي وافقوا لكن المشكلة إن كينج مكنش عارف هيجيب الفلوس دي كلها منين.

فبدأ رحلة البحث ولكن المبلغ كان صعب جدًا يتلم، والمشكلة إنه لو متلمش هيدفع شرط جزائي لعلي ولفورمان وهيضيع فرصة عمره، وفي وسط محاولاته لإقناع رجال الأعمال والمستثمرين بتمويل اللقاء المنتظر، فوجئ بمكالمة من طرف الرئيس جوزيف موبوتو، بيعرض التكفل بكافة المصاريف بشرط عمل اللقاء عنده في زائير في إفريقيا.

موبوتو ديكتاتور حكم بالحديد والنار من سنة ١٩٦٥، شاف استضافة مباراة زي دي فرصة لتحسين صورة زائير أمام العالم وتقديمها كدولة متقدمة، رغم إنها واحدة من أفقر وأقل دول العالم استقرارا ومن أكترهم فسادا، لدرجة أنها ألهمت رواية جوزيف كونراد الشهيرة The Heart of Darkness.

استضافة زائير للمباراة معناها دعم ضمني لحكومة موبوتو، اللي بتعرض السود لقهر ياما اتكلم عنه محمد علي ووقف ضد اللي بيحصل زيه في أمريكا، لكن الكاش مبيستناش، وطالما موبوتو هيدفع يبقى أرض الله واسعة وزائير أحسن من غيرها.

وهكذا تم عمل مؤتمر صحفي للإعلان عن اللقاء اللي أطلق عليه لقب Rumble in the Jungle، وأول ما محمد علي وصل أفريقيا بدأ واحدة من أقوى الحملات الدعائية في التاريخ ضد فورمان، أول حاجة سأل عليها مضيفينه هم الناس هنا مبيحبوش إيه؟

قالوا له الرجل الأبيض.

قال لهم: لأ مش هعرف أقول على فورمان أبيض دي صعبة شوية.

فقالوا له الناس مبتحبش البلجيكيين اللي داقوا على أيديهم مرارة الاحتلال.

فقال بس وجدتها، وأول مآ نزل من الطيارة قال:
I am the greatest. George Foreman is a Belgian!
أنا الأعظم، جورج فورمان ده بلجيكي.
فالأفارقة خدوا صفه من أول دقيقة، خاصة إن جورج فورمان سافر زائير مع كلبه دييجو ال German shepherd، عشان عليهم بيطلقوه كانوا البلجيكيين أتحديد ده والنوع
Ali Boma Ye ويقول لعلي يهتف ابتدا فالجمهور، يرعبوهم، أو اقتله يا علي!
لكن رغم نجاحه في كسب الجماهير، الصحفيين والكتّاب كانوا في صف فورمان، وتوقعوا فوزه بسهولة على محمد علي العجوز، اللي بعضهم توقع إن فورمان ممكن يموته حرفيًا من كتر الضرب، لكن محمد علي كالعادة لا يعترف بآراء الصحافة، وماشي بمبدأ اللي يرشنا بالميه نرشه بالدم.
لما صحفي رياضي شهير قال، إن محمد علي مش نفس الملاكم اللي لاعب سوني ليستون من ١٠ سنين، طلع رد عليه وقال له: وأنا مراتك قالت لي أنك مش نفس الراجل اللي كنته من سنتين فاتوا، ورد على الصحفيين اللي قالوا إنه ميقدرش يعمل أي حاجة قصاد فورمان غير الدعاء وقال:
For those who say that I got nothing against Foreman except my prayers, Well If those prayers are answered not only GeorgeForeman will fall, but mountains will fall.
اللي بيقولوا أني معنديش غير الدعاء قدام جورج فورمان، أحب أقولهم لو دعائي استجاب مش بس جورج اللي هيقع، دي الجبال نفسها هتقع.
وبدأ يروج إن فورمان اللي كل الناس خايفين منه ده بطيء زي المومياء وميتخافش منه، وقال:
Float like a butterfly sting like a bee,
George Foreman can’t hit what his eyes can’t see.
عشان كده هيرقص حواليه طول المباراة تحت شعار اللي يحصلني يكسرني، بس الحقيقة رغم كل اللي قاله من جواه كان مرعوب، محمد علي كسر التلاتين وأول مرة يلاعب حد أصغر منه بسبع سنين، وده مش أي حد، ده دبابة متحركة، مرة وهو بيتمرن على الساند باج اتخرمت من قوة الضرب، يعني حتى الرمل اشتكى منه أومال هيعمل إيه في وشه.
وفي لحظة نادرة من الصراحة وهو بيتكلم مع أحد أصدقائه المصورين، صارحه بحقيقة خوفه من فورمان، فالراجل طمنه قاله إنه واثق إنه يقدر يستحمل ضربات قوية، لأنه شافه في التمرين بيسند على الحبال وزمايله بيضربوه عشان يتعود على الألم ومحدش بيعرف يوقعه، فنصحه يطبق نفس الاستراتيجية مع فورمان وسمى التكنيك ده Rope-A-Dope.
أو اضحك على المغفل باستخدام السند على الحبال، والمغفل في الحالة دي جورج فورمان اللي هيفتكر إن علي تعبان أو خايف مش بيعمل كده قصد، في نفس الوقت علي اتصل بكاس داماتو المدرب الشهير اللي كان علي علاقة كويسة بيه يطلب نصيحته، فقال له جورج فورمان Bully، لو شافك ضعيف وخايف منه هيشوط فيك، عشان كده لازم تبدأ الماتش بقوة وأول لكمة توصله رسالة إن اللي هيتهور هيتعور، وقد كان.

في ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٧٤، قبل لحظات من بداية أهم مواجهة في حياته، محمد علي كان مع حاشيته ومدربينه في أوضة اللبس، ولاحظ إن الخوف ابتدا يتسلل لقلوبهم، واضح إن حتى أقرب الناس ليه مقتنعين إنهم لما يوصلوه للحلبة هيكونوا بيوصلوه لنهايته.
فقال لهم: متقلقوش يا شباب، ده مجرد أحد أيام الحياة الدرامية لمحمد علي، وبدأ يحمس نفسه بترديد شعاراته المفضلة، في واحدة من أروع أمثلة القدرة على تشجيع النفس.
الراجل أستاذ في مدرسة Fake it till you make it، بس كلها لحظات ويبدأ الامتحان حيث يكرم المرء أو يهان، والمرة دي مش هيهان بينه وبين نفسه لأ، هيهان قدام مئات الملايين اللي هيتفرجوا على الماتش حول العالم.
وبعد دخول الحلبة على هتاف ٤٠ ألف واحد من الجماهير، اللي بيحبوا علي أكتر ما بيحبوا النادي الأهلي، وأثناء توضيح الحكم لتعليمات الأمن والسلامة، بدأ آخر جولة من حربه النفسية مع فورمان وقال له:
Chump! You're gonna get yourself beat in front of all these Africans!
.You been hearing about how bad I am since you were a little kid
إنت يالا يا مهزق هتضرب قدام الأفارقة، ده انت كنت بتسمع عني من أيام ما كنت عيل صغير، أنا بابا يلا!
وأول ما الماتش بدأ وعلى عكس توقعات الجماهير، اللي سمعوا محمد علي بيعيد ويزيد إنه هيرقص على الحلبة وفورمان مش هيعرف يلمسه، أول ما سمع الجرس علي اتحرك تجاه فورمان وضرب أول لكمتين، بووم بووم.
الجماهير قامت والاستاد ولع، بووم بووم بووم، يتحرك يتحرك وبعد كده يضربه لكمات مستقيمة رجعت الجماهير للزمن الجميل، وفورمان اللي كسب آخر ٤٠ ماتش ٣٧ منهم باللكمة القاضية، بيحاول ينهي النزال بلكمة واحدة قوية زي ما ياما عمل قبل كده، لكن سعيه ورا القاضية خلى إيده بطيئة ووشه مفتوح، بقى عامل زي الدبابة اللي مش عارفة تنشن.
بينما محمد علي إيده مدفع رشاش عارف هو رايح فين، وعلى نهاية الجولة محمد علي ابتدا يثبت على رجله أكتر ويسند ضهره على الحبل، وفورمان بقى بيتعامل معاه على إنه ساند باج بيضربه بلا توقف، وبين كل تسونامي لكمات inefficient من فورمان، محمد علي يروح ضارب لكمتين مفوقينه، الجولة انتهت وفورمان سعيد وبيبتسم.
محمد علي اللي محدش كان بيعرف يوصله واقف على الحبل وبيقوله اضربني، الراجل شكله عايز ينتحر وفورمان يسعده يكون سفير عزرائيل، بينما كورنر محمد علي كانوا هيتجننوا، إنت بتعمل إيه؟ لازم تتحرك! محدش يقف قدام القطر! فقال لهم بكل هدوء يخرسوا خالص لأنه عارف هو بيعمل إيه
في الجولة التانية والتالتة فورمان كان مصمم ينهي النزال بدري بدري عشان ميتأخرش على الطيارة، ومحمد علي بقى يسند على الحبل ويرجع ضهره ورا ويعمل فيها ساند باج، وقصاد كل تلات أربع لكمات من فورمان يرد بلكمة أو اتنين، وبعد كل جولة مدربه ديك سادلر يقوله هاجم أكتر متريحش، خلص عليه خلينا نخلص بقى.
وكل ما يضربه بلكمة قوية ممكن تهز جبال، محمد علي يقوله:
Is that all you got George?

هو ده آخرك يا جورج؟
ففورمان يتجنن ويقعد يضرب فيه لحد ما يبان له صاحب، المشكلة إنه ضرب غير فعال أغلب اللكمات علي بيرجع بضهره ويتفاداهم أو ياخدهم على دراعه، في الحالتين مبيتأثرش بيهم ولا بقوتهم، وفورمان مش متعود يلعب ماتشات طويلة، الراجل بيكسب بالقاضية من أول جولتين، فنفسه ابتدا يتقطع، ومدربه مش واخد باله من الفخ وبين كل جولة وجولة بيقوله متوقفش هجوم.
في مقولة شهيرة في عالم الملاكمة بتقول:
If a fighter tries to go fifteen rounds with a heavy bag, the bag will win.
لو ملاكم نزل نزال قصاد الساند باج لمدة ١٥ جولة، الساند باج هي اللي هتكسب. وعلي كان الساند باج، بيسيب فورمان يضرب طول الجولة وأخر ٣٠ ثانية الروح بتدب فيه كأنه صغر ١٠ سنين، ورغم إن فورمان ضرب لكمات أكتر بكتير.
إلا إن اللكمات الفعالة اللي وصلت لعلي كانت قد اللكمات اللي علي وصلها ليه، الفرق إن فورمان بيوورك هارد وعلي بيوورك سمارت، الوضع استمر كما هو عليه لحد الجولة السابعة، فورمان تعب وإيده بقت بطيئة.
وعلي كما هو معتاد استنى لآخر ٣٠ ثانية وضربه right cross أو لكمة مستقيمة بإيده اليمين لفت دماغه ١٨٠ درجة، وبعد كده قاله في محاولة لهزيمته نفسياً وإحباطه قال له:
You got eight — EIGHT — long rounds to go, sucker.
لكن النهاية محتاجتش ١٥ جولة.
مع بداية الجولة الثامنة، وفي مشهد شبيه باللي حصل من ١٠ سنين في مباراته الأولي ضد ليستون، جورج فورمان مكنش قادر يقوم يقف من على الكرسي، وقرر إنه محتاج ينهي النزال بالضربة القاضية في أسرع وقت، لأنه بالمنظر ده مش هيقدر يكمل ١٥ جولة.
علي اتبع نفس الاستراتيجية ورمى نفسه على الحبال، وقبل نهاية الجولة ب ٢١ ثانية على غفلة من فورمان، اللي فضل يهاجم لدرجة إنه مكنش مغطي وشه، علي ضربه شمال يمين سريعة واللكمتين وصلوا، ولما فورمان متحركش ضرب شمال يمين تاني بمنتهى القوة.
وراح طالع من الحبال وضاربه شمال يمين شمال يمين، كانوا كفاية لسقوط أخطر رجل في العالم، لكمات سريعة ومتتالية وقعوه زي ما نقط الميه بيحفروا في الصخر، الحكم عد لعشرة وفورمان فاقد الوعي على الأرض، ومحمد علي بقى بطل العالم للوزن الثقيل لتاني مرة بعد عشر سنين من هزيمة سوني ليستون سنة ١٩٦٤.

الأبطال يمرضون أيضًا

محمد علي رجع للقمة، والعالم ابتدا يعترف بيه كواحد من أعظم الملاكمين في التاريخ، ولكنه كزوج مكنش بهذه العظمة، خيانته لبيليندا استمرت حتى وهو في المعسكر، وفي إحدى خناقاتهم ضربها في وشها بعنف وورملها عينيها الاتنين، لدرجة أنها اضطرت تلبس نضارة شمس عشان تخبي عينيها.

وابتدت تعلن تشجيعها لجورج فورمان بصورة علنية، وحطت دبوس فيه صورته على هدومها، ومحمد علي شوية يتخانق معاها وشوية يصالحها، وقبل ما يرجع من زائير كان متجوز عليها مراته التالتة Veronica Porche، طالبة جامعية جت زائير تشتغل وتساعد في الترويج للماتش، فأعجب بيها واتجوزها ومراته لسه على ذمته.

ومش بس كده، في نفس الوقت ده محمد علي المعروف بالكرم وروحه الحلوة وحسه الفكاهي اللي بيحبب الناس فيه، كان أوقات صديق سيئ بيسيء لأقرب الناس ليه، كمثال الشاعر باندیني اللي كان يعتبر المحمس والمحفز الرئيسي لعلي، وعضو رئيسي في حاشيته كان أوقات بيهينه ويضربه بالقلم.

وزي أي توكسيك بوي فريند يروح يصالحه ويراضيه بعد كده، تحت شعار أنتي اللي خرجتيني عن شعوري، وفي اللي كان بيقدر يستحمل التصرفات دي إما بسبب الحب أو بسبب المصلحة، وفي اللي مقدرش يكمل ككومبارس في المسرحية اللي بيقوم محمد علي فيها بدور البطولة المطلقة، وفضل ألم الوداع على مرارة عدم الاحترام وقلة القيمة، زي بيليندا اللي قررت تنفصل عنه في النهاية.

وفي أمريكا محمد علي تم استقباله استقبال الأبطال، وبما إنه قال قبل الماتش إنه لو كسب هيعتزل، ابتدا يفكر يعمل إيه بعد الملاكمة، هل يتفرغ للدعوة والعمل للمنظمة؟ هل يتجه للتمثيل؟ هل يستغل شعبيته الدولية ويشتغل كدبلوماسي؟ هل يترشح للرئاسة؟

لكن علي قرر يعمل اللي بيعرف يعمله ويستمر في الملاكمة، وظهر سؤال هيلاعب مين؟ جورج فورمان كان عايز يلاعبه تاني، وشك إن مدربه حطله حاجة في المية اللي شربها قبل الماتش، وحمله جزء كبير من خسارته، لأنه طول الماتش مع علي كان بيقوله يهاجم، ومفيش مرة قال له: استنى وخليه هو اللي يجيلك.

الشكوك دي تحولت لإشاعات إن ديك سادلر مدرب فورمان، متواطئ مع هربرت محمد إنه يخلي فورمان يخسر، بحيث يبقى في ماتش تاني والاتنين يكسبوا فلوس أكتر، والإشاعات بقت أقوى بعد انضمام سادلر لحاشية علي بعد انفصاله عن فورمان.

لكن رغم العائد المادي اللي كان ممكن يكسبه لو لاعب فورمان تاني، علي كان ذكي كفاية لإدراك إنه لو لاعب فورمان تاني هيبقى بينتحر، فورمان مش هيقع في الفخ المرة دي، والخدعة اللي نفعت مرة مش هتنفع تاني.

في كتاب Rope-A-Dope عن قال سيلفر مايك الكاتب، The Arc of Boxing:

.In the entire history of boxing, this non-strategy worked only once

فعلي وفريقه رفضوا لعب علي ضد فورمان، وفضلوا إنه يلاعب ملاكم على قده عشان يعمل

قرشين سهلين قبل التقاعد، تحت شعار إيزي ماني إيزي ماني، فاختاروا Chuck Wepner.
ملاكم غلبان من نيو جيرسي على باب الله، عنده ٣٦ سنة وشغال بارت تايم في المبيعات، وسجله مكون من ٣٠ فوز و٩ هزائم و٢ تعادل، وأكتر من ٢٠٠ غرزة، الراجل لو قلت له صباح الخير بصوت عالي ممكن يتعور.
الجمهور تلقى خبر المباراة المنتظرة بمزيج من السخرية وعدم الاهتمام، ومحمد علي مقدرش يستخدم قدراته الدعائية في خلق حالة من التشويق لمباراة نتيجتها محسومة من قبل ما تتلعب، لدرجة إنه ابتدا يناشد الجمهور يشتروا تذاكر مش عشان الماتش قوي، لأ عشان ويبنر رجل متزوج ويعول ومحتاج يدفع اشتراك الباص ومصاريف المدارس.
رغم إن كل شيء وارد في ماتشات الملاكمة، اللي ممكن نتيجتها تتقلب بلكمة واحدة، إلا إن محدش كان مراهن على ويبنر، اللي سوني ليستون مسح بيه بلاط الحلبة في آخر ماتش ليه قبل وفاته سنة ١٩٧٠، واضطر بعدها يخيط وشه ٧٠ غرزة لإصلاح ما أفسده ليستون.
لكن اللي محدش افتكره إن تشاك فضل واقف على رجله، ومستسلمش رغم كل الضرب اللي كله، وأثناء تحضيره لمواجهة محمد علي، تشاك موت نفسه في التدريب للاستعداد لبطل العالم، بينما محمد علي متمرنش وقال الموضوع مش مستاهل.
ولكن مع بداية المباراة محمد علي أدرك خطر الاستهانة برجل معندوش أي مانع يموت نفسه قدامه، لمدة ٨ جولات تشاك وقف قدام علي راس براس، وفي الجولة التاسعة بينما محمد علي بيهاجم بأشهر jab في العالم، تشاك نزل تحت دراعه الشمال وضربه بإيده اليمين بمنتهى القوة عند قلبه.
محمد علي وقع لتالت مرة في حياته، والجماهير مبقتش مصدقة اللي بيحصل ده، محمد علي حس بالإهانه وقام عشان ينتقم، تسونامي لكمات في وش تشاك، اللي فضل واقف على رجله رغم إن محمد علي عمل كل اللي يقدر عليه عشان يوقعه بالقاضية.
ولكن تشاك وقف ثابت لحد ثواني من نهاية المباراة اللي الحكم وقفها لصالح علي، تشاك بعد الماتش قال إنه حس بالفخر، إن رغم سخرية الناس منه، إلا إنه أثبت إنه يستحق يقف في حلبة واحدة مع بطل العالم، اللي وقف قصاده ل١٥ جولة.
الماتش ده اتفرج عليه ممثل شاب اسمه سيلفستر ستالوني، وألهمه يكتب قصة عن ملاكم لاعب بطل العالم وقدر يقف قصاده، ودي كانت بداية فيلم روكي اللي سيلفستر قام ببطولته، وكسب أوسكار أحسن فيلم سنة ١٩٧٧.
وكالعادة بعد كل ماتش، محمد علي قرر يلعب ماتش كمان قبل الاعتزال، وليه لأ طالما الناس بتدفع ومديرين أعماله ومنظمين ماتشاته وخاصة دون كينج وهربرت محمد، بينصحوه يكمل لعب طالما قادر، وعشان يضمن احتفاظه باللقب لأطول وقت ممكن، ابتدوا ينقوا خصومه على الفرازة، وده خلى الماتشات أضحوكة في ظل غياب منافسة حقيقية.
لكن المفاجأة إن حتى الملاكمين الفرز تاني دول كانوا بيسببوله مشاكل، رغم إنه كان ببيكسب في النهاية سواء بسبب الخبرة، أو إيده اللي لسه سريعة رغم بطء ردود أفعاله وتقل رجليه، أو حتى بسبب مجاملات الحكام وأسلوب لعبه اللي بيعرف يبان فيه مسيطر على الحلبة، حتى وإن كان عدد لكماته أقل من اللي قدامه.
لكن الإقبال والاهتمام الجماهيري قلوا بصورة ملحوظة، ووزنه كمان زاد بصورة ملحوظة،

بقى بيشرب الكوكا كولا زي المية وبيحط ٦ معالق سكر في الشاي، ده واحد بيحاول يجيله السكر مش يحتفظ ببطولة العالم، إلى جانب إنه مكنش قادر يتمرن خالص.
ومبقاش عارف ينام بالليل فبقى بينام وهو قاعد طول النهار، وكل ده مش فارق لمديرين أعماله وأغلب حاشيته، اللي بيتعاملوا معاه على إنه بقرة بتطلع فلوس محتاجين يحلبوها كل يوم لحد ما تموت.
وسنة ١٩٧٥ كتاب محمد علي نزل بعد خمس سنين من الإعلان عنه، وباع كويس وجاتله ريفيوز مشجعة، وظهرت فرصة ذهبية تانية لكسب ملايين زي اللي خدوها في زائير، رئيس الفلبين ماركوس فيردناند قال اشمعنى موبوتو، وأعلن عن رغبته في استضافة مباراة لتبييض وش حكمه الدكتاتوري، وإظهار الفلبين كواجهة حضارية أمام العالم.
وتم الاتفاق على لعب مباراة تالتة وحاسمة بين محمد علي وجو فريزر، وكعادة محمد علي بدأ في الإساءة لفريزر بمنتهى القسوة والعنصرية، قال إنه غبي وجاهل وقبيح وخاين للسود وخادم للبيض، وتمادى في الإهانة لدرجة إنه لبس زميله في التدريب قناع غوريلا، ولاعبه على اعتبار إنه بيلاعب فريزر.
وفريزر بقى بالنسبة له هزيمة علي حياة أو موت وقال:
I am going to eat this half breed's heart right out of his chest. This is the end of him or me.
أنا هاكل قلبه بسناني، ودي يا هتبقى نهايته يا نهايتي.
وفي ١ أكتوبر سنة ١٩٧٥ في يوم مشمس عالي الرطوبة في مانيلا، محمد علي وجو فريزر دخلوا الحلبة كبطلين جار عليهم الزمن وخفت نجمهم، ولكنهم مصممين يحسموا الأمر ويشوفوا مين فيهم أحسن من التاني لمرة أخيرة.
محمد علي أبطأ وحركته أقل، لكن لسه إيده سريعة ودقة لكماته عالية، وفريزر لكماته أضعف ولكن لسه الهوك الشمال ممكن يودي القبر، لمدة ١٠ جولات الاتنين كل واحد فيهم عمل اللي يقدر عليه عشان يوقع التاني.
غريزة البقاء كانت أقوى من اللكمات، لكن الاتنين معادوش صغيرين، كل واحد فيهم وشه ورم وعينه أحمرت، وبعد الجولة العاشرة محمد علي اللي كان كسبان بالنقط، جاب أخره ومبقاش قادر يقف من على الكرسي.
ولكن كما جرت العادة في عز لحظات ضعفه باندیني عرف يحمسه، وقال له: وهو بيدمع من منظر علي وهو تعبان ومضروب:
The world needs ya champ!
محمد علي قام وكأنه فتح تانك العينيه إن لدرجة فريزر ضرب جولات ٣ ولمدة، reserve Eddie Futch مدربه، ال١٤ الجولة وبعد خالص شايف ومبقاش، ورموا الاتنين اللي حضر أربع ماتشات قبل كده مات فيهم ملاكمين من شدة الضرب، خاف على فريزر وعلى أولاده من بعده وقرر ينهي المباراة.
في نفس الوقت اللي بعض الناس سمعوا فيه محمد علي، بيقول لداندي إنه مش قادر يكمل، فالحكم نهي الماتش وأعلن فوز محمد علي في المواجهة التالتة، لواحدة من أشهر الصراعات في التاريخ.

لكن رغم فرحته بالفوز، لما قابل مارفن آبن جو فريزر وحكاله عن المعاناة اللي مر بيها هو وأبوه بسبب تنمره عليه وإهانته ليه على مدار السنين، انهار في العياط واعتذر له وأكد له إنه مكنش يقصد أبدًا يمروا بكل اللي مروا بيه ده.

وبعدها بسنوات اعتذر لفريزر بصورة مباشرة عن كلام مكنش المفروض يقوله، لكن بعد إيه! بعد الفوز مبقاش في ملاكم محمد علي لسه مكسبوش، ولكن حتى مع غياب غريم يستحق المواجهة محمد علي فضّل عدم الاعتزال، واستمر في اللعب رغم نصيحة بعض الكتّاب والأصدقاء بالاعتزال وهو على القمة، والأهم وهو لسه بصحته.

التغييرات اللي ظهرت عليه بعد ماتش فريزر، بقت في منتهى الوضوح خاصة فيما يتعلق بكلامه، محمد علي اللي مكنش بيبطل كلام، بقى بيتكلم أقل وسرعة كلامه بقت أبطأ، إلى جانب إنه بقى بينام كتير ومش قادر يتمرن حتى قبل الماتشات، وده خلى البعض يشك إن جاله brain damage، أو مخه اتعرض لتلف من كتر الضرب.

المخ أشبه بالسائل جوة الجمجمة اللي لما بتتخبط المخ بيترج جواها، والرجة دي أو الارتجاج في المخ اللي بيحصل في الحوادث، أو في الرياضات العنيفة زي الملاكمة أو كرة القدم الأمريكية، اللي اتعمل عنها فيلم Will Smith بطولة concussion، بتدمر الخلايا العصبية وبتعمل تلف دائم للمخ.

الضرر الناتج عن لعب الملاكمة، اتدرس بصورة علمية من سنة ١٩٢٨، طبيب أمريكي استخدم تعبير فقدان من بيعانوا اللي السابقين الملاكمين حالة لوصف، Punch drunk أو الخرف لمرحلة بيوصل النهاية وفي، الكلام في وصعوبة واكتئاب عدائية وميول، الذاكرة dementia ال.

بعد مزيد من الدراسة الظاهرة دي اتعرفت باسم،

chronic traumatic encephalopathy CTE، مرض بيأثر على المخ بيزيد مع تعرض المخ للصدمات، والملاكم على عكس لاعب كرة القدم الأمريكية، مبيلبسش خوذة وبيتعرض لآلاف الضربات في المخ على مدى السنين.

الإشاعات ابتدت تنتشر عن تعرض محمد علي لتلف في المخ، هو اللي مخليه حاسس بإرهاق طول الوقت، ومش قادر يتكلم أو يتمرن زي زمان، ولكن كل ده مكنش مهم بالنسبة له، سنة ١٩٧٦ محمد علي تحول لواحد من أشهر إن لم يكن أشهر واحد على وجه الأرض، وهدفه في الوقت ده كان استغلال الشهرة دي لتحقيق أكبر كم من الفلوس.

في الوقت ده إلى جانب كتابه مثل في فيلم بعنوان الأعظم بيحكي قصة حياته، ومضى عقود رعاية مع شركات عربيات ومطاعم ومشروبات غازية، وبقى فيه عرايس للأطفال على شكله، وملايات للسراير مطبوع عليها صورته.

كل ده خلاه عايز يفضل في دايرة الأضواء لأطول وقت ممكن، ويتجاهل الرسائل اللي جسمه بيبعتهاله، واللي ساعده على كده إن الحكّام بقم بيكسبوه في ماتشات، عليها جدل كبير إذا كان يستحق يكسبها، لمجرد إنهم بيحبوه وصعب يخسروه إلا في حالة الضربة القاضية.

ولكن رغم محاباة الحكّام ليه الإعلام مرحموش، المعلق الرياضي وصديقه هوارد كوسيل قال في أحد الماتشات، اللي فشل في إحدى جولاتها إنه يوصل لكمة واحدة لخصمه:

You have to begin to wonder how much if anything Ali can do anymore, because, at this point in time, as a matter of self-respect, you would have expected him to do something. You have to suspect that there is little if anything left in the great fighter we once knew. .Look at him miss. Look at him miss

Do you remember Muhammad Ali?

محمد علي مبقاش نفس الملاكم بتاع زمان، ولو عنده احترام لنفسه مش هيفضل واقف يتلقى الضرب كده، بصوا عليه وهو مش عارف يوصل ضربة واحدة، فاكرين محمد علي يا جماعة؟

المشكلة إن محمد علي نفسه مبقاش فاكر حاجة، إلى جانب الصعوبة في الكلام بقى بينسى كتير، أبوه ومدربه نصحوه يبطل حفاظا على صحته، وطبيبه الخاص فريدي باتشيكو لاحظ التغييرات دي، وحذره إنه بيعرض نفسه لتلف في دماغه لا يمكن علاجه، ولكن علي اللي كان بيمر بأزمة مادية نتيجة تبذيره، وسوء إدارة ممتلكاته وفشل العديد من المشاريع اللي دخل فيهم بفلوسه قرر يكمل.

لكن لما باتشيكو حصل على تقرير من اللجنة الرياضية لولاية نيويورك، اللي بتعمل تحاليل طبية للملاكمين قبل المباريات، بيقول إن كلية محمد علي تعرضت لتلف كبير، وبعته لمحمد علي وفيرونيكا وهربرت محمد، محدش رد عليه.

بقى واضح إنهم هيعملوا اللي في دماغهم، وهيشجعوه يكمل لعب لحد ما يحلبوا آخر دولار، فاستقال وقال إن إهمالهم لصحة محمد علي دي جريمة يعاقب عليها القانون، ومحمد علي ولا هو هنا.

وفي محاولة لحصد الملايين وتعويض خسارته المادية، وفي نفس الوقت تفادي مواجهة خصوم ممكن يأذوه، زي جورج فورمان وكين نورتون، أعلن إنه هيواجه الملاكم الشاب ليون سبينكس الفائز بالميدالية الذهبية في أولمبياد مونتريال ١٩٧٦.

سبينكس مبقالوش سنتين بيلعب في المحترفين، والإعلام اعتبره هدف سهل لعلي اللي بيحاول بصورة مستميتة الحفاظ على لقبه لأطول وقت ممكن، لكن سبينكس فاجئ العالم كله وهزم محمد علي، في مباراة كل اللي اتفرجوا عليها اقتنعوا إن محمد علي انتهى مع نهايتها، اللي شهدت تتويج ملك جديد على عرشه المفضل اتلم عليه الجماهير، بينما محمد علي غادر الحلبة في صمت والدموع مالية عينيه.

الرياضة مكسب وخسارة، ودي سنة الحياة زي ما قال الفنان حسين الجسمي، كل نهاية بتيجي معاها بداية جديدة، لكن محمد علي رفض إن دي تبقى نهايته، ورفع شعار It ain't over till it's over، وأعلن إن الرسالة وصلته وأنه هيعتزل، لكن بعد ما يلاعب سبينكس مرة تانية ويستعيد اللقب.

محمد علي اللي مخسرش من حد إلا ورجع كسبه تاني، قرر إنه يا قاتل يا مقتول، رجع للتمرين بكل قوة، رغم إن التدريب ده أوقات كان عبارة عن إنه يخلي ال sparring

من رغم، اللكمات تلقي على قدرته بيزود كده إنه فاكر عشان قوة بكل يضربوه، partners brain damage بال الإصابة في فرصه بيزود كده إنه ليه المقربين بعض تحذير.
بينما سبينكس مصدقش نفسه إنه كسب أسطورة الملاكمة الحية وبقى بطل عالم، ولمدة سبع شهور ساب التمرين وغطس في مستنقع من المخدرات والستات وأصدقاء السوء، لدرجة إنه في أحد الأيام تدريبه كان عبارة عن جري كيلو ونص وبعد كده شرب سيجارة ماريجوانا، وجري كيلو ونص تانيين وبعدها شرب سيجارة تانية.
ولا كأنه هيلاعب بوب مارلي! ده إلى جانب الكوكايين والخمرة والحلويات، على اعتبار إن علي اللي هزمه قبل كده هيهزمه تاني بسهولة، لكن علي المرة دي كان مستموت على الفوز.
وفي سبتمبر ١٩٧٨ سبينكس دخل الحلبة زي روكي ٣ لما خسر من Mr T، بينما محمد علي دخل كمحارب قديم لا زال جواه القدرة على الفوز بمعركة أخيرة، وبدل ما يسند على الحبال ويسيب سبينكس يضربه، بقى بيضرب، وبعد كده ياخد نفسه عن طريق إنه يحضنه ويكتف إيده، لحد ما الحكم يفصلهم.
محمد علي مكنش في أحسن مستوي ليه بوجه عام، ولكنه أحسن مستوى ليه السنتين اللي فاتوا، وده كان كافي لإعلان فوزه بالنقط في نهاية المباراة، ودخوله التاريخ بعد نجاحه غير المسبوق في الحصول على بطولة العالم لتالت مرة.
وفي سنة ١٩٧٩ محمد علي أعلن اعتزاله الملاكمة، في وقت تقمص فيه دور الفنانة شادية في فيلم معبودة الجماهير وتحول من عدو أمريكا لحبيب الملايين، خاصة بعد وفاة إليجا وتحول ابنه والاس للإسلام السني، ورفضه لخزعبلات السيد الوالد اللي ادّعى النبوة.
محمد علي معدش المسلم الأسود الكاره للبيض، الراجل بقى يتفادى الكلام في القضايا الشائكة، عشان ميزعلش حد منه وميخسرش عقود رعايا أو يضر بمصالحه التجارية، ووصل بيه التسامح إنه يدعم الرئيس رونالد ريجان في الانتخابات، رغم إنه رفض استضافة ماتشاته لما كان حاكم كاليفورنيا قبلها بعشر سنين.
لكن محمد علي مع تقدمه في السن اتبع مدرسة مش عايز قلق هنا، ومبقاش عايز مشاكل وبقى بيفضل يقضي وقت أطول مع أولاده في سلام، وأولاده دول اللهم صلِ على النبي من مراته الأولى، والتانية ومن علاقات خارج إطار الزواج.
كان يحب يلمهم كلهم حواليه عشان يقضوا معاه إجازاتهم كل سنة، وعلى قد ما كان زوج سيئ بخيانته المتكررة، على قد ما كان أب حنين وكريم لعب دور الgood cop مع أطفاله، كان بيجيبلهم أيس كريم ويبلع الفيتامينات بدلهم لو مش عايزين ياخدوها، ويعمل أي حاجة عشان يرضيهم.
بالإضافة إنه بقى عنده شغف بتسجيل مكالماته التليفونية معاهم، وقال لهم إنهم هيعرفوا قيمة التسجيلات دي لما يكبروا وميبقاش موجود، حالة من الشجن لرجل كسّر الدنيا قبل ما الزمن يهده وياخد حقه، بس المشكلة إن محمد علي كان لسه مقتنع إنه أقوى من الزمن.
بعد حوالي سنتين من آخر ماتش لعبه، وأربع سنين ونص من آخر فوز ليه بآداء جيد في النزال التالت والأخير بينه وبين فريزر، محمد علي أعلن عن نيته للعودة للملاكمة، وقال إن هدفه هو الحصول على اللقب لرابع مرة في سابقة لم تحدث في التاريخ.
لكن بدل ما الهدف ده يحمس الجماهير، أغلب ردود الأفعال نصحته بعدم العودة

والمخاطرة بحياته، مش محتاج تروح المريخ لو بالفعل طلعت على القمر، حتى بنته الصغير لما قال لها كده قالت له:
.No Daddy you are too old
لا يا بابا انت عجوز، أنا مش عجوز أنا معرفتش أربي!
ولكن كما جرت العادة هربرت محمد ودون كينج، شجعوه على الرجوع طالما الرجوع ده هيجيبلهم فلوس، وكينج عمل اتصالاته، وجابله عرض ب٨ مليون دولار لمواجهة حامل اللقب وزميله في التدريب السابق: Larry Holmes.
تقول لي: طب ما ده كويس ده معناه إنه هيلاعب واحد كان بيتمرن عليه، أقولك لأ ده المشكلة الكبيرة إنه هيلاعب واحد كان بيتمرن معاه وعارف كل ألعابه، لاري هولمز اشتغل لمدة ٤ سنين sparring partner لمحمد علي، أربع سنين شرب منه فيهم صنعة الملاكمة. اتعلم إيه اللي يعمله زي الحركة الخفيفة والاعتماد على الjab السريع، وإيه اللي ميعملوش زي إنه يسيب اللي قدامه يضربه سواء في الماتشات أو في التدريب، ومع الوقت بقى نسخة من محمد علي بتاع زمان، كسب بطولة العالم وفاز ب٣٤ مباراة متتالية.
الماتش اتحدد في فندق سيزر بالاس في لاس فيجاس، بس عشان علي يلعب محتاج تصريح وعشان يطلعه، راح عمل كشف طبي في Mayo Clinics الشهيرة، التقرير الطبي جه كارثة، وأكد وجود ضعف في الذاكرة وصعوبة في التحدث والحركة.
في اختبار شهير اطلب منه فيه يحط صباعه على مناخيره كان بيخطئ الهدف أحيانًا! ولو مش عارف يحط صباعه على مناخيره، أومال هيوصل لكماته لمناخير بطل العالم إزاي؟! الدكاترة رجحوا إن الإرهاق هو السبب، ولما عملوا أشعة على المخ ووضحت وجود فراغ صغير بين الفصين، الدكاترة رجحوا إن ده عيب خلقي موجود منذ الولادة وملوش علاقة بالملاكمة، فنجحوه في الكشف الطبي وخد التصريح، وكأن العالم رافض يصدق إن محمد علي ممكن يحصله حاجة.
وفي أكتوبر سنة ١٩٨٠ محمد علي دخل الحلبة لآخر مرة، مع تلميذه السابق وبطل العالم الحالي، ومن أول دقيقة لاري هولمز أثبت إنه جدير باللقب، ومحمد علي واقف لا حول له ولا قوة، قوته الوحيدة اللي أثبتت الأيام أنها لعنته بعد كده، هي القدرة الفائقة على تلقي اللكمات.
لاري هولمز مكنش عاجبه العلقة اللي بيديها لأستاذه فحاول ينهي النزال بالقاضية، لكن دقن علي معمولة من حديد، جولة ورا التانية محمد علي اتعرض لكمية ضرب متعرضلوش في حياته، وبقى عامل زي المذعور في رعب في عينه ومش عارف إيه اللي بيحصله، لا عارف يجري ولا عارف يضرب ولا حتى عارف يدافع.
لدرجة إن لاري هولمز قال لمدربه بعد الجولة الثامنة، إنه خايف على علي لأنه بقى عامل زي الساند باج، وسأله إذا كان المفروض يتراجع عن الهجوم شوية عشان ميأذيهوش، فمدربه قال له لا استمر في الهجوم، عشان ركن محمد علي ميبقاش قدامهم حل غير إنهم يوقفوا الماتش.
وبالفعل في الجولة التاسعة لاري هولمز هاجم بكل ما عنده ووصل لكمتين يمين أقوى من بعض، فمحمد علي عمل أغرب رد فعل في تاريخ الملاكمة وصرخ في وسط الحلبة.
محدش عارف سبب الصرخة إذا كانت صرخة رعب ولا صرخة ألم، لكنها كانت معبرة عن

ملاكم عجوز وشه وارم وعينه سودة وشفايفه متعورة، كسب العالم كله لكن خسر معركته أمام الزمن.
وبعد الجولة العاشرة داندي اللي ياما شجعه على الاستمرار، وخلاه يكمل في أول مباراة ليه أمام ليستون ويكسب بطولة العالم بعد ما كان عايز ينسحب بسبب عينه، وقف المباراة.
لاري هولمز بدل ما يفرح ويتنطط، انهار في العياط وراح حضن علي وطلب منه ميلعبش تاني، وقال في المؤتمر الصحفي جملة بليغة ومعبرة، We come and we go، ولكن محمد علي مكنش عايز يروح في حتة.
الهزيمة ثقيلة أوي على شخص اتعود على المكسب، ولكن رغم صعوبة خسارته داخل الحلبة إلا إنه مفقدش تأثيره خارجه، في يناير ١٩٨١ أحد أصدقائه اتصل بيه يقوله إن في شاب أسود بيهدد يرمي نفسه من الدور التاسع.
راح لقى البوليس محاوط المبني والناس ملمومة ومستنيين الراجل ينتحر في أي لحظة، فطلع له الدور التاسع وقال له: إن مفيش حاجة تستاهل يموت نفسه، وقال له:
.You are my brother! I love you and I couldn’t lie to you
الراجل مكنش مصدق إنه بيكلم محمد علي، وبعد نص ساعة تراجع عن الانتحار ونزل معاه، وعلي زاره تاني يوم في المستشفى ووعده يساعده يلاقي شغل، وهكذا أنقذ الموقف زي ما عمل في شيكاجو من ١٥ سنة.
وفي يوم ١٧ يناير في عيد ميلاده كان متعود يكلم أسطورة التدريب كاس داماتو اللي عيد ميلاده نفس اليوم، محمد علي اللي كان لسه في حالة denial بعد الهزيمة، اشتكى لكاس إن الأدوية اللي كان بياخدها قبل الماتش، هي اللي خلته في حالة من الضعف وعدم التركيز، ولكن المفاجأة إن كاس قال له إنه بيمرن مراهق صغير شايف فيه موهبة جبارة اسمه مايك تايسون.
طلب منه يقوله إنه لو سمع كلام كاس هيبقى بطل العالم، تايسون الصغير مكنش مصدق إنه بيكلم محمد علي اللي يعتبر سبب رئيسي في لعبه للملاكمة، في السبعينيات محمد علي جاتله دعوة لزيارة مدرسة إصلاحية في نيويورك محدش بيروحها خالص.
فراح واتكلم مع المراهقين اللي أغلبهم بيعاني من الانغماس في العنف والجريمة، بعد عرض الفيلم اللي بيحكي قصة حياته، تايسون كان من ضمن المراهقين اللي حاضرين، وفي اللحظة دي تحديداً قرر إنه عايز يبقى زيه، واتغير تاريخ الملاكمة إلى الأبد.
وبعد خروج تايسون من الإصلاحية ودخوله مدرسة تانية، صرح لأحد العاملين فيها إنه عايز يلعب ملاكمة فوصله بكاس داماتو اللي معروف عنه تبني المواهب، فبدأ يدربه ويجهزه للحصول على بطولة العالم.
ولما محمد علي كلمه، حكاله عن هزيمته من هولمز وطلب من الولد الصغير إنه ياخد له حقه، فتايسون تأثر بكلام علي اللي كان بيعتبره مثل أعلى في اللعبة، وحلف لعلي وهو بيعيط إنه هينتقم من هولمز لما يكبر، وقد كان.
وعلى الرغم من الأثر الكبير خارج الحلبة، محمد علي مكنش متقبل فكرة الهزيمة جواها، فتجاهل نصيحة الكل وقرر يلعب تاني مع ملاكم متواضع باسم تريفور بيربيك، على أمل هزيمته والحصول على فرصة، لمواجهة لاري هولمز مرة تانية.

لكن المرة دي مفيش ولاية في أمريكا رضيت تديله تصريح بعد ما شافوا مستواه الماتش اللي فات، فتم الاتفاق على لعب الماتش في الباهاماس، وكما هو متوقع محمد علي خسر للمرة التانية على التوالي وللمرة الخامسة في تاريخه، وأعلن الاعتزال إلى الأبد.

النجم المحترق يستمر في الإضاءة

وعلى قد ما الخسارة ساعدته في تقبل الحقيقة المرة إنه معدش ينفع يلعب ملاكمة تاني، على قد ما صحته اتدهورت أكتر بعدها، مراته ابتدت تلاحظ هزة خفيفة في إيده الشمال، وحتى تعبيرات وشه ومشيته بقت بطيئة.

سنة ١٩٨٣ محمد علي بقى بيتحرك وبيتكلم وهو عنده ٤١ سنة كأن عنده ٧٠ سنة، وده خلاه يقلق لأول مرة على حالته الصحية فقرر يروح يكشف عشان يفهم إيه اللي بيحصله، وهنا كانت المفاجأة غير السارة إطلاقًا.

محمد علي طلع بيعاني من تلف دائم في المخ، وتم تشخيصه بما يسمى بال Parkinson's Syndrome، أعراض شبه أعراض مرض الباركينسون وبتتعالج باستخدام نفس الأدوية، مخه انكمش والفراغات اللي فيه اللي مملية بالسوائل حجمها كبر، وده بيأثر على الحركة والكلام والذاكرة والاستيعاب.

وعلى الرغم من إن المرض ممكن يكون له عوامل وراثية، إلا إنه يرجح إنه ظهر عند علي من كتر الضرب في الدماغ خاصة في الماتشات الأخيرة، ويمكن المرض هو سبب عدم قدرته على الحركة في الماتشات، اللي لولاه كان نيم قسم الوزن الثقيل من المغرب.

خبر المرض كسر نفس محمد علي وحسسه بالخجل، معقول رمز القوة والذكورة كلها مسألة وقت ومش هيقدر يخش الحمام من غير ما حد يساعده؟

محمد علي بيكره العطف والشفقة، وعمره ما اتعود يبقى في موقف ضعف، عشان كده في البداية كان رافض الإعلان عن مرضه أو المشاركة في التوعية عنه، ورغم الحالة النفسية الصعبة اللي كان فيها، إلا إنه استمر في علاقاته النسائية المتعددة.

فيرونيكا في البداية حاولت تستحمل زي بيليندا، بغض النظر إنه كان متجوز لما عرفها ودخل عليها بإسطوانة عارفة يا فيرونيكا، أنا البيت بقى بالنسبة لي لوكاندة، لكن في النهاية قررت تنفصل عنه وطلبت الطلاق سنة ١٩٨٥.

محمد علي انهار من العياط وحاول يصالحها بكل الطرق، لكن فيرونيكا كانت عارفة إن ده طبع صعب يتغير، فمتراجعتش عن موقفها وبالفعل اتطلقوا سنة ١٩٨٦.

محمد علي خد حاجته من البيت، ولكن ساب في المكتب صندوق مليان جوابات، بيعبر فيهم عن مدى حبه وندمه وبيطلب منها تسامحه، لكن الندم كان متأخر أوي وفيرونيكا عمرها ما شافت الجوابات دي، وزي ما قال الفنان جورج وسوف اتأخرت كتير يا حبيبي، اتأخرت كتيير.

وتحت شعار الحي أبقى من الميت، محمد علي اتجوز للمرة الرابعة والأخيرة من Yolanda williams الهزيمة بعد شافته، علي لعائلة أصدقاء عيلتها سنة ب١٥ علي من الأصغر لوني، الصحية رعايته عن كمسؤولة البيت في معاه تقعد فسافرت، لها يرثي حالة في وهو هولمز من UCLA في بتاعتها MBA ال ثمن يدفعلها إنه مقابل في، care giver أو.

في الوقت ده حصل بينهم فليرتيشن وبلاي ستيشن انتهى بجوازهم بعد تخرجها وطلاقه من فيرونيكا، لوني خدت بالها إن محمد علي محاط بالطفيليات، اللي مبيضيفوش أي حاجة

لجوزها وفي المقابل بيستمدوا أهميتهم من قربهم منه وبيستنزفوا وقته وفلوسه.
والمشكلة إن محمد علي في الأمور المادية طيب لدرجة السذاجة، وودني كلمة تمشيه وكلمة تجيبه، لو حد طلب منه فلوس ميقولش لأ، ولو شاف حد بيستغله زي هربرت محمد، بيفضل يسكت وميزعلوش على إنه يواجهه ويخسره، وده خلاه لقطة لأي حد عايز يعمل فلوس من الهوا.
لكن لوني على عكسه، معاها ماجيستير في إدارة الأعمال من واحدة من أقوى الجامعات في العالم، أول حاجة عملتها هي أنها حطت نفسها كحارس بوابة، وسجلت العلامة التجارية G.O.AT لتحقيق أكبر استفادة مادية لجوزها، وفي خلال وقت قليل قدرت تحول الوضع المالي لمحمد علي ١٨٠ درجة.
وكمان أقنعته يستغل شهرته في نشر التوعية عن مرض الباركنسون، اللي بيسلب من مرضاه قدرتهم على الحياة الطبيعية بقسوة وإصرار، ورغم تدهور صحته بشكل ملحوظ سنة بعد سنة، إلا إن حجم تأثيره كان بيكبر مش بيقل.
في أي حتة بيروحها الناس كانت بتسقف له وهو داخل وبتسقف له وهو خارج، وتحول لحبيب الجماهير بيض وسود ومسلمين ومسيحيين، فبقى بيستغل شعبيته في جمع التبرعات الخيرية داخل أمريكا، وبعد فترة بقى بيستغل شعبيته الطاغية للتدخل في حل الأزمات الدولية.
سنة ١٩٨٥ سافر لندن لمقابلة بعض المقربين من الحاكم الأعلى لإيران الخميني، في محاولة لتحرير ٤٠ رهينة منهم أربعة أمريكان، خطفتهم إحدى الجماعات الإسلامية الراديكالية التابعة لإيران في لبنان.
وهناك اتكلم مع الخميني على التليفون، مكالمة مطولة أدت للإفراج تاني يوم عن واحد من الأمريكان الأربعة، ولكن لما حكى عن المكالمة بكل سذاجة للصحفيين، زي ما بتروح تحكي لصاحبة الكراش على اعتبار إن سرك في بير.
إيران رفعت شعار أقسم بالله ما أولادي، وأعلنت إن ملهاش أي دعوة باللي بيحصل في لبنان، ولم يتم الإفراج عن الرهائن التانيين، ولكن محمد علي ماؤحبطش من فشل المهمة.
بعد غزو العراق للكويت سنة ١٩٩٠، صدام حسين أمر بحبس آلاف الأجانب ومنهم ١٥ أمريكي، لاستخدامهم كحائط بشري ضد القصف الأمريكي المتوقع، وكورقة تفاوض مع الغرب، محمد علي راح العراق في محاولة لإقناع صدام بالإفراج عنهم، وسط هجوم شرس من الإعلام الأمريكي، اللي قال إن سفر محمد علي للعراق مش هيحقق حاجة، غير إنه هيقوي البروباغاندا العراقية.
لكن الرئيس العراقي على عكس المتوقع مقابلش محمد علي وخلاه قاعد مستني، محمد علي استغل الوقت ده في نزول الشارع ومقابلة العراقيين، المشكلة إنه بعد أسبوع من الانتظار فوجئ إن أدوية باركنسون اللي معاه خلصت.
مبقاش قادر يقوم من السرير ولا يتكلم حتى، لحد ما جابوله أدوية لقوها بالعافية في العراق، وصدام وافق أخيرًا على مقابلته، محمد علي وعده بنقل صورة حقيقية عن العراق لأمريكا، وصدام قال له والله ما انت راجع وإيدك فاضية، وأمر بالإفراج عن الأمريكان كلهم.
بغض النظر إن الحرب قامت بعدها على طول، إلا إن محمد علي بقى ليه قوة ناعمة لا

يستهان بها، الراجل شعبيته وصلت لكافة أنحاء الكرة الأرضية، وبقي يتعامل كأنه نموذج مصغر للأمم المتحدة، وبقى مستمتع بحياته من غير تدريب ومقضي وقته في السفر حول العالم للأعمال الخيرية والدعوة الإسلامية.

وفي إحدى سفرياته لباكستان، زار المدارس والجوامع وحيا الأفغان على وقوفهم أمام الغزو الروسي، وخطب في مجموعة من محبيه في قاعة قديمة في بيشاوار وقالهم:

I never enjoyed boxing. I never enjoyed hurting people, knocking people down. But this world only recognizes power, wealth, and fame. And after hearing the powerful message of Islam, and seeing the beautiful unity in Muslims, after seeing how the children are raised, after seeing the procedures of prayer, after seeing the way we eat, the way we dress, just the whole attitude of Islam, it was so beautiful — I said this is something more people have to know about, this is something more people would accept and join if they really understood.

أنا عمري ما استمتعت بالملاكمة، وعمري ما استمتعت بأذية الناس ولا بضربهم، لكن العالم ده مبيعترفش غير بالقوة والشهرة والثروة، وبعد سماع رسالة الإسلام القوية ورؤية وحدة المسلمين، وازاي بيربوا ولادهم وازاي بياكلوا وازاي بيلبسوا وازاي بيعيشوا في منتهى الجمال بوجه عام، قولت لازم ناس أكتر تعرف عن الإسلام، وإن دي حاجة ناس كتير هتتقبلها لو فهمتها.

وفي آخر القاعة كان قاعد شاب عربي رفيع وطويل، محمد علي مكنش يعرفه، بس العالم كله هيعرفه بعدها بسنين قليلة، اسمه أسامة بن لادن.

وفاة الأسطورة

ورغم سفره لآلاف الأميال كل سنة، مع الوقت حركته بقت أصعب وبقى بيقضي وقته في بيته، بيتفرج على الأخبار وتسجيلات ماتشاته القديمة، خاصة بعد ابتعاد ووفاة أفراد كتير من الحاشية القديمة، اللي بعضهم حياته وقفت بعد توقف قطار محمد علي.

زي باندیني اللي قضى آخر أيامه بيسكر في أحد الفنادق الرخيصة، وفي يوم من الأيام وقع وقعة جامدة واتنقل على المستشفى، محمد علي أول ما سمع الخبر راح يشوف صديقه، اللي ياما وقف في ركنه وحمسه بكلامه، وأول ما شافه مسك فوطة وقعد يمسح عرقه ويقوله:

My turn to wipe your sweat off.

وبصوت هامس قال له لآخر مرة شعارهم اللي اخترعه باندیني وياما قالوه سوا:

Float like a butterfly, and sting like a bee.

وباسه في راسه ومشي، وباندیني توفى بعدها بأسبوع.

وبعد اشتداد المرض عليه، محمد علي اللي مكنش بيسيب مراية إلا ويبص على نفسه ويعجب بجماله، مكنش مهتم لا بشكله ولا بلبسه بدرجة خلت بعض أصدقائه يرجحوا، إنه بيعاني من اكتئاب خلاه يتفادى وسائل الإعلام، عشان الناس متشوفوش بالشكل ده.

بس كان مهتم حتى وهو في عز مرضه، بقضاء وقت مع والدته أوديسا، حجر الأساس ومصدر الأمن والاستقرار والحنية الأهم في حياته، اللي شاركته في كل لحظات الرحلة، لكن القدر شاء إنه يكمل ما تبقى من الرحلة لوحده.

أوديسا جالها جلطة في المخ، واتنقلت للرعاية المركزة وهي مش قادرة تتكلم أو تفتح عينيها، محمد علي كان بيبات جنبها في المستشفى كل يوم لأسابيع وأسابيع، مبيعملش فيهم حاجة غير إنه

يمسح على مناخيرها ويطبطب عليها ويقول لها:

I love you bird. Are you in pain? You gonna get up?

ولكن أوديسا مقامتش تاني، وتوفت في أغسطس سنة ١٩٩٤، والحزن ملى قلبه بعد توقف عصفوره المفضل عن التغريد إلى الأبد.

لكن القدر شاء لنجم محمد علي إنه يسطع لآخر مرة، أثناء استضافة أتلانتا لأولمبياد سنة ١٩٩٦، في نهاية مراسم الافتتاح وقبل لحظات من إعلان بداية الألعاب، السباحة Janet Evans مسكت الشعلة الصغيرة، وجريت على مصعد تجاه الشعلة، لكن بدل ما تولعها فجأة خرج من جنبها محمد علي.

إيده بتترعش ولكنه واقف بثبات وشموخ، الإستاد اتقلب والناس بقت مش مصدقة اللي هي شايفاه، محمد علي أشعل الشعلة، وبدأت الألعاب اللي فاز فيها بالميدالية الذهبية من ٣٦ سنة، في تكريم لا يضاهيه سوى اختياره من قبل البي بي سي ك Sports Personality of the century في نهاية الألفية التانية.

ومع بداية الألفية التالتة تم اختياره لوضع نجمة باسمه في Walk of Fame الشهير في

هوليوود، ولكن محمد علي رفض وضع النجمة على الأرض عشان اسم محمد ميتداسش عليه، فاللجنة المنظمة وافقت وبقى صاحب النجمة الوحيدة على الحيطة.
ولكن زي أي نجم بيمر بمرحلة سطوع وتمدد، بييجي بعدها ميعاد الخفوت والانطفاء، في سنة ٢٠١٦ محمد علي دخل المستشفى بسبب التهاب رئوي، دي مكنتش أول مرة يخش المستشفى للسبب ده، لكن المرة دي غير كل مرة.
حالته ساءت من يوم للتاني واتحط على جهاز تنفس، وبقي واضح إنه على وشك الرحيل، لوني كلمت ولاده عشان يلحقوا يودعوه، وفي يوم ٣ يونيو بعد التأكد من عدم جدوى المحاولة، تم فصله عن الجهاز.
ولكن الرجل اللي اتعود يصارع الدنيا محبش يسيب الدنيا من غير جولة أخيرة، فاستمر في التنفس لمدة ٤٠ دقيقة قبل إعلان وفاته عن عمر ٧٤ سنة، كسب فيهم كل حاجة وعاش وشاف نفسه بيخسر كل حاجة إلا نفسه.
وفاة محمد علي كانت حدث اتكلم عنه العالم كله، اللي زعل على فراق شخص بدأ حياته زي أي شخص عايز يبقى ناجح وغني ومشهور، لكن لما اتحط في اختبار اختار اللي مؤمن بيه، حتى لو الاختيار ده كلفه كل حاجة.
الاختبارات صعبة وإلا متبقاش اختبارات، وأوقات الخطوة اللي مبناخدهاش زي الخطوة اللي علي رفض ياخدها في مكتب التجنيد، بتبقى في نفس أهمية الخطوات اللي بناخدها، لكن كل خطوة لها ثمن.
محمد علي كان مستعد يدفع الثمن ده، زي ما كولين كايبرنيك كان مستعد يتحمل عواقب عدم وقوفه، وفي النهاية الرياضي زيه زي أي حد بيحاول يستغل إمكانياته في سبيل الدفاع عن القضايا اللي مؤمن بيها، ودوره في المجتمع خارج الملعب، ممكن يكون أكبر من مجرد الترويج لمنتجات الشركات اللي بيتعاقد معاهم.
إنت كمان يا عزيزي، لازم تبقى مستعد تاخد موقف لصالح مبادئك وقناعاتك، والأهم تكون مستعد تدفع ثمن الموقف ده، والملاكمة زيها زي الدنيا، القدرة على تلقي اللكمات من غير انفعال أو خوف مهارة لا تقل أهمية عن القدرة على اللكم.
وزي ما قال الفنان سيلفستر ستالون في روكي بالبوا:
It ain’t about how hard you can hit, it’s about how hard you can get hit and keep moving forward. How much you can take and keep moving forward.
الموضوع مش انت تقدر تضرب قد إيه، ولكن انت تقدر تضِّرب وتستحمل قد إيه، وتفضل ماشي لقدام.
****

للتواصل مع الكاتب: taher@aucegypt.edu

المصادر

Books

1-1The American Holocaust, David Stannard

2-The Penguin History of the United States, Hugh Brogan

3-The Dead Are Arising: The Life of Malcolm X.

4- The Autobiography of Malcolm X, Malcolm X and Alex Haley.

5- Malcolm X: A Life of Reinvention, Manning Marable.

6-The Diary of Malcolm X, Malcolm X.

7- Blood Brothers, The Fatal Friendship Between Muhammad Ali and Malcolm X.

8-8The Sword and the Shield: The Revolutionary Lives of Malcolm X and Martin Luther King Jr, Peniel Joseph.

9- X: A Novel, Ilyasah Shabazz & Kekla Magoon.

10- The Greatest: My Own Story, Muhammad Ali & Richard Durham.

11- My Brother: Muhammad Ali, Rahman Ali.

12- Muhammad Ali: A Memoir, Michael Parkinson.

13- Ali: A Life, Jonathan Eig.

Documentaries

1- The Hate That Hate Produced 1959.

2- Malcolm X 1972.

3- Malcolm X - Make It Plain.

4- The Life and Death of Malcolm X 1992.

5- 60 minutes report on the death of Malcolm X.

6- Who Killed Malcolm X?, 2020, Netflix.

7- Blood Brothers, 2021, Netflix.

8- Ali & Cavett: The Tale of The Tapes 2020.

9- I AM ALI 2014.

10- When We Were Kings 1996.

11- The Full Story of Muhammad Ali, World Documentary Films, 2016.

12- What's My Name Part 1 2019.

13- What's My Name Part 2 2019.

Articles

Native American

https

Trail of Tears

https

How Native Americans Struggled to Survive on the Trail of Tears

https

The American West - The reservation system

https

Indian Reservations

https

How Game of Thrones drew on the Wars of the Roses

https

Treaty of Tordesillas

https

Henry VIII of England

https

The Seven Years' War begins

https

Revolutionary War

https

The Columbian Exchange: A History of Disease, Food, and Ideas

https

Treaty of Paris

https

Manifest Destiny

https

Louisiana Purchase

https

Monroe Doctrine

https

James Monroe

https

The Louisiana Purchase Was Driven by a Slave Rebellion

https

?Political Analysis: Is the "Campbell-Bannerman Document": Real or Fake

political-analysis-campbell-bannerman-/٢٠١٧/٠٩/٢٨/https://eng.alzaytouna.net
document-real-fake/#.YNhRwGgzaUk
Marcus Garvey
https
Federal Bureau Of Investigation Malcolm X Little
https
The Exploitation Of Women And Elijah Muhammed
https
Black Muslims Asked To Help Treat Addict
https
When Malcolm X went to Africa
https
Preaching The Apocalypse
https
Montgomery Bus Boycott
https
The Colored Genius
https
How Bobby Kennedy Started the War on Gangs
https
The Murder of Malcolm X
https
Muhammad Ali's one regret: turning his back on Malcolm X
https
a.m. to get Sonny Liston to fight him ٣ How Muhammad Ali used a bus at
muhammad-ali-dead-sonny-liston-fight-bus-/٢٠١٦/٠٦/٠٤/https://www.si.com/boxing
٢٠and,٪٢٠bus٪٢٠a٪٢٠rented٪story#:~:text=Ali
٩D٪٨٠٪٢٠Fighter.٪E٢٪٢٠Colorful٪٢٠Most٪٩CWorld's٪٨٠٪٪E٢
MALCOLM X SPLITS WITH MUHAMMAD; Suspended Muslim Leader Plans Black
Nationalist Political Movement
https
Sonny Liston: The mysterious death that haunts boxing
https
Young Muhammad Ali knocks out Sonny Liston for first world title
https
٥٠ Bunce On Boxing: Cassius Clay was all mouth, Sonny Liston a dark force of nature, but

years ago their fight changed the sport
https
١٣th amendment Slavery abolished in America with adoption of
https
Jim Crow Laws
https
How the History of Blackface Is Rooted in Racism
https
The Flag and the Shield: The Long Alliance Between the NFL and US Military
https
The Difference Between President Trump and President Obama's Reactions to the NFL Kneeling Movement
https
National Football League (NFL) - statistics & facts
national-football-/٩٦٣/https://www.statista.com/topics
٢٠s%٢٠٢٠١٩%٢٠the%٢٠throughout%٢٠the,total%٢٠also%٢٠is%٢٠NFL%league/#:~:text=The
.eason
٤٩ers quarterback Colin Kaepernick's sitting out the national anthem Twitter's reaction to
https
The Awakening of Colin Kaepernick
Bee
Colin Kaepernick: Timeline of the QB's football and post-NFL days since he first knelt in ٢٠١٦
https
Joe Frazier's Death: Remembering Muhammad Ali's Greatest Rival
https
George Foreman
https
Why Mike Tyson vs. George Foreman Never Happened
https
The forgotten story of ... Muhammad Ali v Antonio Inoki
https
Leon Spinks: Neon fades as Olympic gold medallist and former heavyweight champion dies ٦٧ at
https://www.independent.co.uk/sport/boxing/leon-spinks-death-muhammad-ali-
٢٠gr%٢٠the%٢٠of%٢٠Olympic,one%٢٠an%٢٠won%٢٠Spinks%html#:~:text=Leon.b١٧٩٩٠٨٦

٢٠was%٢٠Spinks%٢C%٢٠with,Vegas%٢٠fight%٢٠first%٢٠the%٢٠heavyweights.&text=In%eat
.٢٠brilliant%٢٠quite%

US hostages in Iraq ١٥ How Muhammad Ali secured the release of

https

Videos

٢٤# Westward Expansion: Crash Course US History

https

How America became a superpower

https

Germs, Genocide and America's Indigenous Peoples

https

١# The Black Legend, Native Americans, and Spaniards: Crash Course US History

https

٢# When is Thanksgiving? Colonizing America: Crash Course US History

https

٣# The Natives and the English - Crash Course US History

https

'America is a stolen country'

https

"The "Indian Problem

https

How the US stole thousands of Native American children

https

American Holocaust: The Destruction of America's Native Peoples

https

Why the US celebrates Columbus Day

https

History vs. Christopher Columbus - Alex Gendler

https

History vs. Henry VIII - Mark Robinson and Alex Gendler

https

How the Brutal Trail of Tears Got Its Name

https

١٢# ١٥th Century: Crash Course World History Fall of The Roman Empire...in the

https

The rise of the Ottoman Empire - Mostafa Minawi

https

The rise and fall of the Byzantine Empire - Leonora Neville

https

١٩# Venice and the Ottoman Empire: Crash Course World History

https

١٥th Century Mariners: Crash Course World - Columbus, Vasco da Gama, and Zheng He

٢١# History

https

Know about the factors that led to the defeat of the Spanish Armada in an attempt to

١٥٨٨ ,invade England

https

Why Elizabeth I Was a Badass Queen

https

years on ١٠٠ ,The Balfour Declaration's impact

https

Origins of European exploration in the Americas

https

Ku Klux Klan

https

Years Later - Fast Facts | History ٦٠ :Rosa Parks and the Montgomery Bus Boycott

https

Montgomery Bus Boycott |American Freedom Stories | Biography

https

Fidel Castro - Military Leader & President | Mini Bio | BIO

https

ossie davis's eulogy for Malcolm X(the ending of the Malcolm X movie)

https

The Full Story Of Muhammad Ali - World Documentary Films

https

How Colin Kaepernick went from football star to civil rights icon | Nightline

https

Obama discusses Kaepernick's anthem protest

https

How Nike Turns Controversy Into Dollars

https

What Happened to Colin Kaepernick? (What Led An NFL QB To Taking a Knee?)

https

A Jon M Will Documentary (Reupload) | ٢٠١٦ Colin Kaepernick & The Summer of

https

What is Black Lives Matter? George Floyd, Breonna Taylor, All Lives Matter,Systemic Racism Explained

https

History Of The Black Lives Matter Movement

https

BlackLivesMatter: A Look Into The Movement's History | Long Story Short | NBC News#

https

Black Lives Matter explained: The history of a movement

https

An interview with the founders of Black Lives Matter | Alicia Garza, Patrisse Cullors, Opal Tometi

https

Al-Daheeh American football

https

Mike Tyson's Phone Call With Muhammad Ali | CONAN on TBS

https

(Gold medal boxing match ١٩٦٨) George Foreman vs Ionas Chepulis

https

(١٩٧٤ ,Interview Frost) MUHAMMAD ALI: On the uncoming Geoge Foreman's fight

https

Chuck Wepner: How My Fight With Muhammad Ali Inspired The Rocky Movies | SI NOW | Sports Illustrated

https